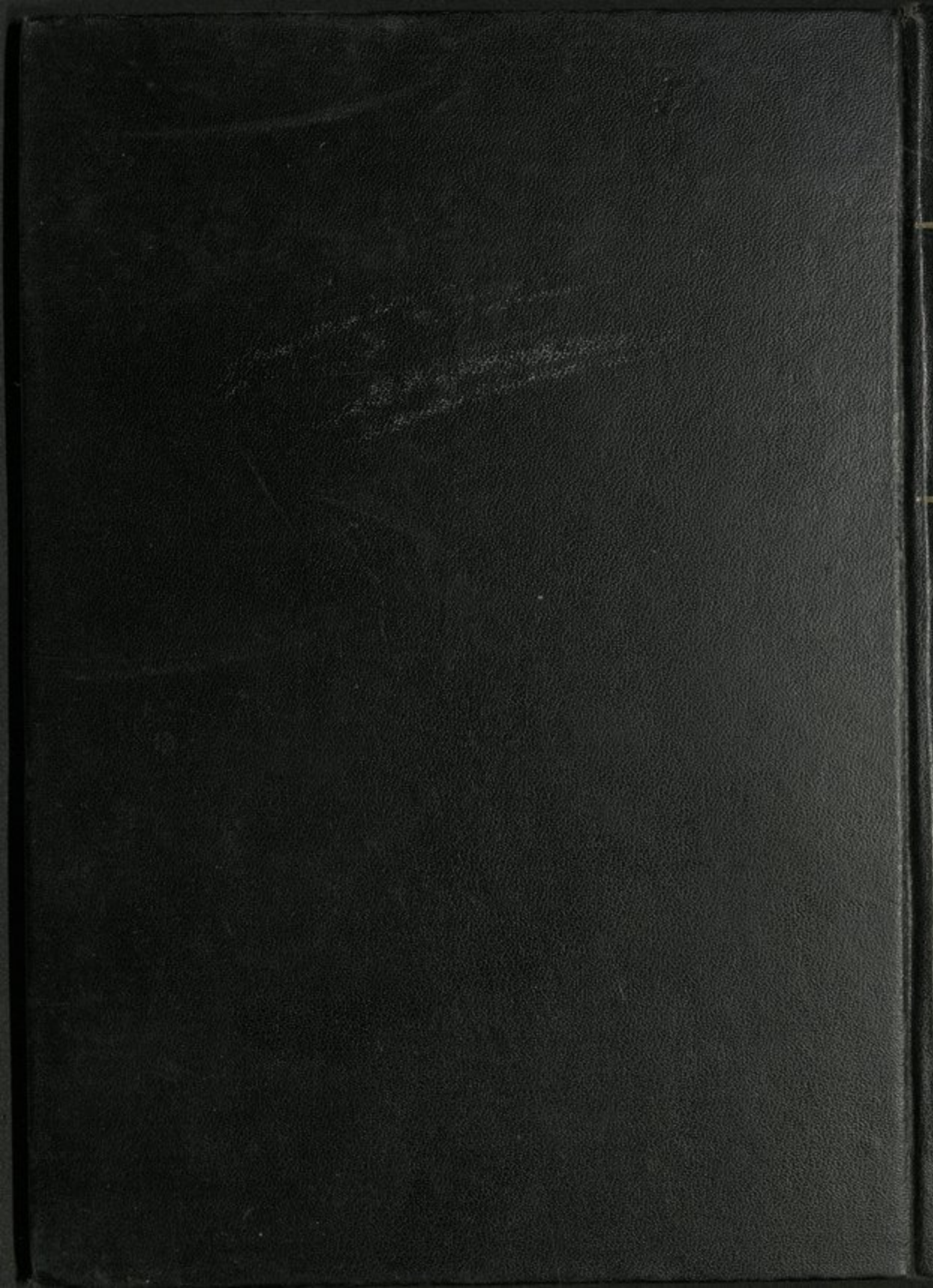


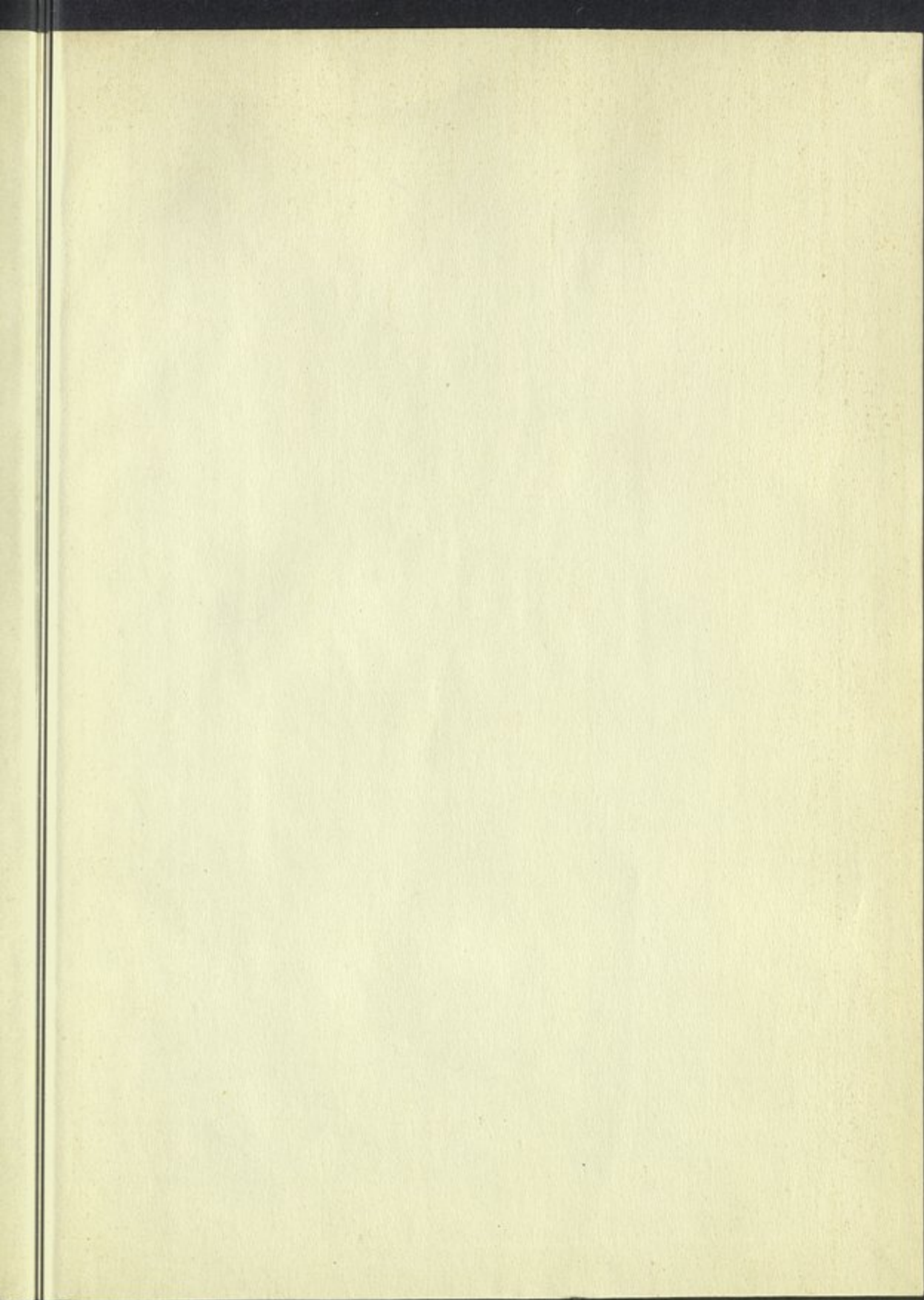


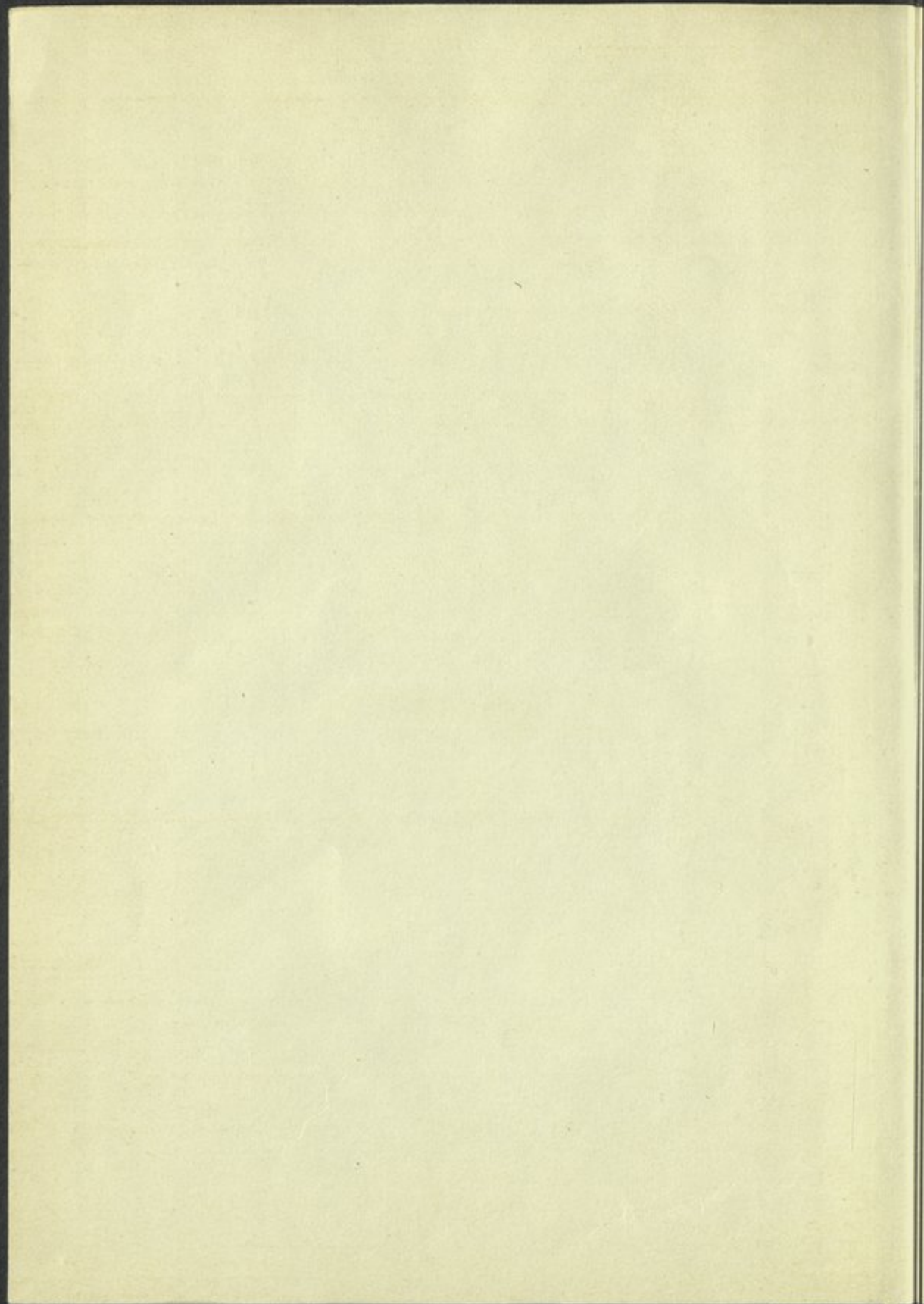
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

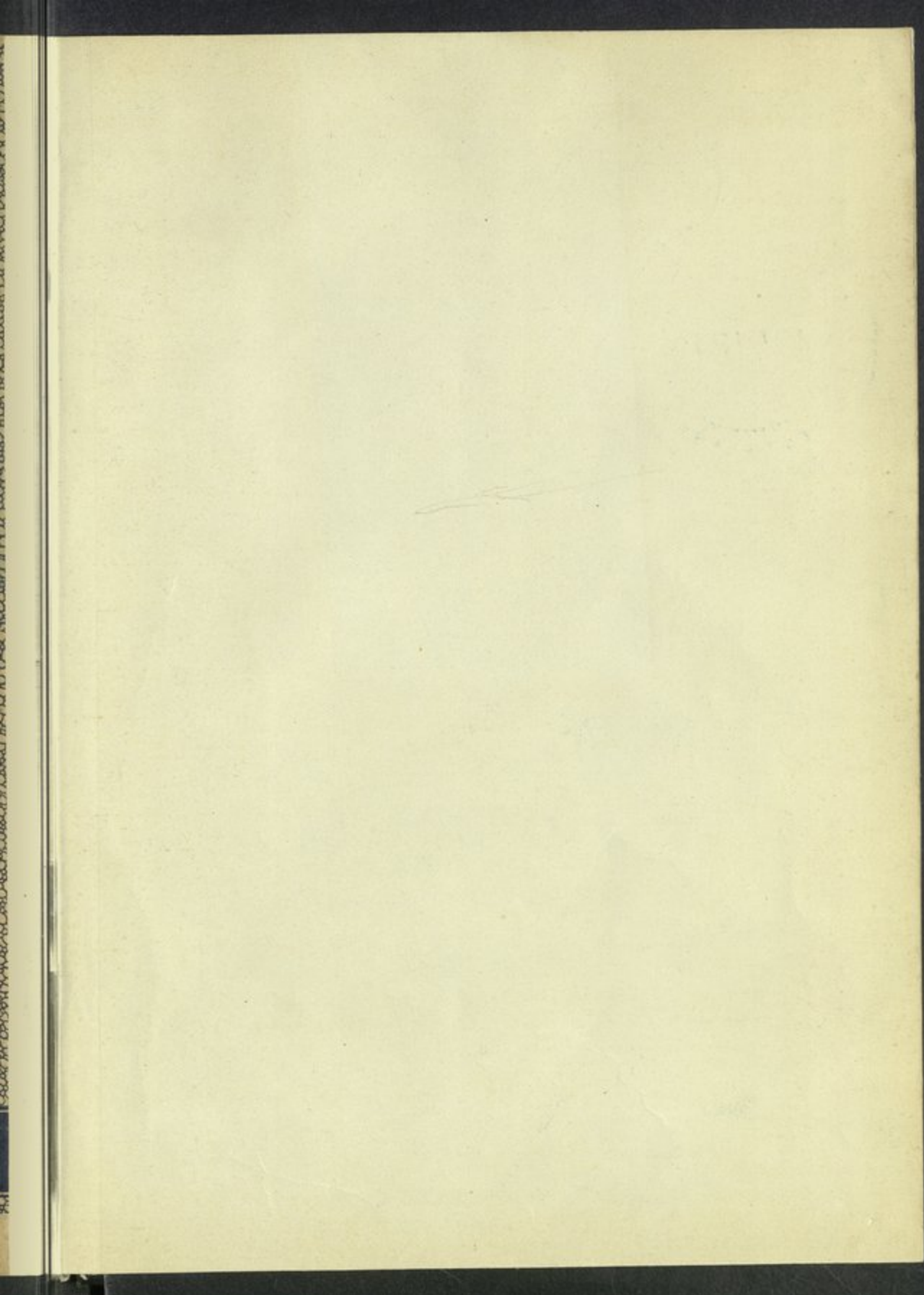


تجلید صالح الدقر

تقریباً ۲۱۲۹۷۷



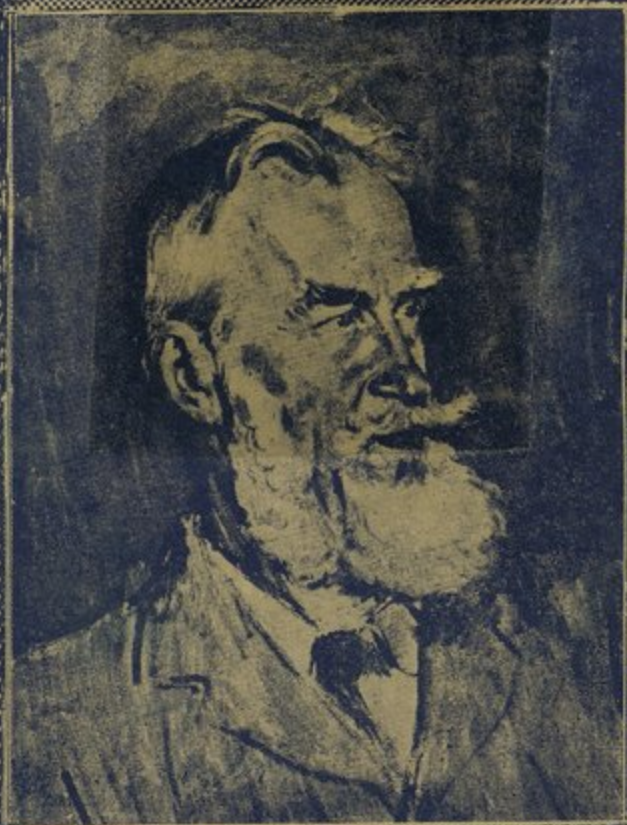




سبیل نظر

جورج برنارد شو

مقدم



از استادان طولی و کثیری، لکنی آفت علی کنفی !!
مقدم برنارد شو



افرا جورج برنارد شو نفسه فی بعض رسائله مع المؤلف ...

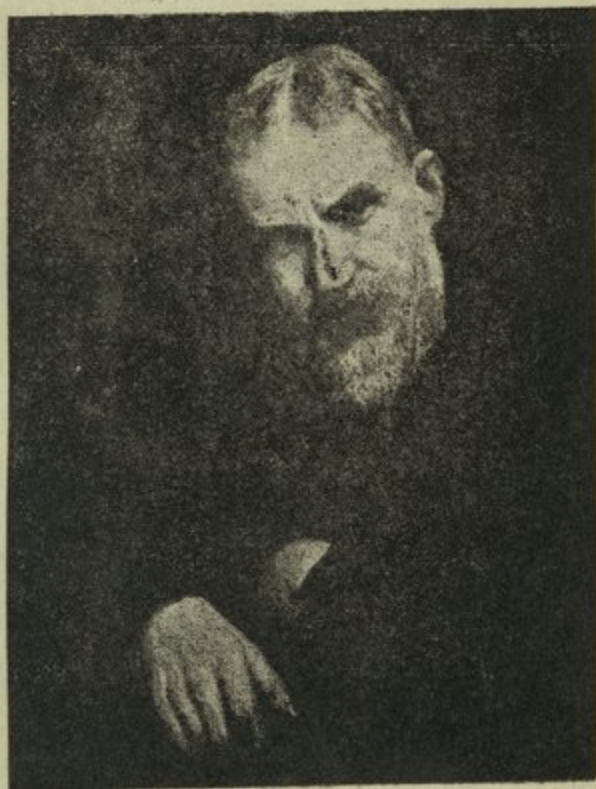
1845



109

828
S534Y6A
C.2

دار نشر الثقافة
كتابه الشهر الاول
چورچ برناردشو



حقوق الطبع والنقل
محفوظة للؤلؤف

الطبعة الاولى ١٩٤٦

بقلم
ميسيل نكلا

کتابخانه قوامی

کتابخانه قوامی

کتابخانه قوامی



کتابخانه قوامی

کتابخانه قوامی

کتابخانه قوامی

کتابخانه قوامی

الاهداء

ليس في هذه الدنيا من يحبه ان
 يهدي له باكوته اتنا من الوردى، غيراتنا
 كريمة النفس، طيبة القلب، لا اكبر الاثر في
 مياقي. فزى وهدى صاحبة هذا النفس. وصى
 وهدى ابن اجدل من الدوام ان تكون في
 معنا لا يغيبه، ربنا لا ينقلب ..

فالسيد اذن ..

ابن البنتاة الكبيرة، يان صبيك " الجنة
 مجرى نكهة ادماء اولاء " اسخني اني ادم
 الطاهرة ماضى اياك هذا الكتاب (

ردك
 مشين

مصادر هذا الكتاب

تاريخ إنجلترا	س . ر . جلد نر	
جورج برنارد شو	١٩٠٩	جلبرت تشسترتون
د د د	١٩٣١	فرانك هارس
د د د	١٩٣٢	ارشيبالد هندرسون
جورج برنارد شو وفرانك هارس وأوسكار وايلد	١٩٣٧	روبرت هاربورت شيرارد
جورج برنارد شو	١٩٤٢	هشكث بيرسون
TRY AND STOP ME	١٩٤٥	بات كيرف

* * *

وذلك عدا جميع مؤلفات جورج برنارد شو . . . فقد كانت موضع دراستي الدقيقة خلال العشر سنوات الماضية ؛ مع نخبة طيبة من الجرائد والمجلات التي حررها برنارد شو من فجر نهضته إلى اليوم .

وإني أتهنئ هذه الفرصة لأقدم خالص شكرى لأصدقائى المصريين والانجليز الذين قدموا لى بعض المراجع القيمة عن الكاتب الايرلندى الكبير . . . كما أشكر حضرات الذين بذلوا معى مجهوداً جباراً فى إخراج هذا الكتاب . . .

، المؤلف ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 والحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله

والحمد لله

كلمة دار النشر

لشاعرة مصر الموهوبة

الاستاذة جميلة العلايلي

هذه الباكورة تفتح تاريخين : تاريخ أديب من خيرة أدباء الشباب يخطو في طريق الجهاد الأدبي - لأول مرة - وتاريخ دار تفتح جهادها الأدبي - لأول مرة كذلك .

أما الأديب الأستاذ ميشيل تكل ، فإنه لا يخطو لأنه مضطر إلى السير ، وفي أي طريق ..! ولكنه نظر من بعيد ، نظر بعيداً ، وفكر طويلاً ، وقرأ كثيراً ، نظر يتأمل تأمل الفاحص الدارس ، وفكر بعقل المستوعب الفاحص ، وقرأ بمدارك الطالب الراغب .

وليس أدل على بعد نظره ، وعمق تفكيره ، ورهافة إحساسه ، ومدى استعداده للاستيلاء على أكبر فضوج ذهني ممكن من دراسة (جورج برنارد شو) .. ذلك الفيلسوف العالم المبدع ، الذي استطاع أن يصارع تقاليد أمة من أقوى الأمم ، ويغالب أهواء الاستعمار ، ويحارب العبودية الروحية المتأصلة في النفوس ... ولقد اختار أديبنا تاريخ برنارد شو ، لأنه أديب العالم ، فهو يفكر للإنسانية ويكتب للإنسانية ، ويوجه الإنسانية ، فهو لا يفرق بين إنجلترا وطنه ، وبين فرنسا أو ألمانيا ... يكتب للعدالة والحق والحرية ...

هذه الروح القوية هي التي جذبت أديبنا ، وهي التي حملته على أن يهيء لآخوانه شباب الجيل ، دراسة شخصية عالمية من أجل الشخصيات ، وهي ليست دراسة رجل خائب .. بل دراسة عهد من عهود إنجلترا الخالدة .. عهد التحول من تاريخ إلى تاريخ ، واعتقد لو أتيت لكاتبنا أن يقف موقف برنارد شو : لما كان إلا مثله .. يمزق أغلال العبودية ، ويعلن المآزل التي تتدثر برداء الحرية زوراً وبهتاناً ... وميزات كاتبنا كفيلة بأن تجعله في طليعة دعاة الفكر الحر ، وقائدهم قواد الجهاد الأدبي الإنساني ، فهو لا يكتب - وحسب - أو على الأصح يكتب كأنه يدخن

شجرة... بل يكسب بعد أن يبحث ويفكر ، كالفواصل الذي يغوص في قاع المحيط باحثاً عن الجوهر ؛ وبظل يغوص ويغوص حتى يستخرج أثمن ما يعرف من جوهر .. !

وأنا لا أحب أن أمكن القارىء من معرفة كاتبنا قبل أن يبذل جهداً بقدر ما يستطيع ليعرفه كما بذل هو جهداً عنيماً في سبيل الوصول إلى ذاته ، وكشف الستار عن المجهول بما يحيط به فيوفر عليه عنا البحث ، ونصب التجوال ، ودار نشر الثقافة ، غيرة بأن تفتح برنامج كفاها الأدبي بتقديم الأستاذ ميشيل تكللا .

ونحن بذلك نعمل بفلسفة الرجل الذي تقدم تاريخه ... فلا نقيم للأسماء وزناً ، إن لم يكن لها في الحياة أثر قوى ، ونحارب ما استطعنا عبادة الأسماء .. متخذين المثل الأعلى لرسالتنا تدعيم الفكر الحر ونشره .. ولو جاءتنا رسالة من عابر تحمل للعالم مبدأ سامياً أو فكرة سليمة أو علاجاً ناجحاً .. فإن تردد في نشرها مهما يكن شأن صاحبها . والدار ترحب بالأفكار ، لا بالأسماء ، ونقيم وزناً للباحث الدارس ، لا لصاحب الألقاب ، ومهمتنا إنارة نواحي الحياة الغامضة مستعنيين بتفكير الشباب النابه الحر والقارىء يعرف أن طريق الحياة كله بحث ودراسة لمن يريد الانتفاع . وحياة الفرد بدون عمل مفيد ، للجموع ، حياة ضائعة لا قيمة لها . إذ لولا جهاد الأفراد بلغ العالم هذه الحضارة ، ولا وصل العلم إلى ما نرى من المكشفات والمخترعات التي أفادت البشرية . والبحث في نواحي الحياة المظلمة يفيد العالم ككل بحث علمي ، إذا كشف عن ناحية من هذه النواحي المحمولة الغامضة المظلمة ، ورجل الأدب الذي يبحث زوايا النفوس ويتغلغل إلى بواطن الصدور لا تقل قيمة مجهوده في الكفاح عن رجل الاقتصاد أو الكشف . بل عمل الأديب الباحث أدق وأنفع ، لأنه يبحث عن الحقيقة في الظلام بينما عمل رجل الكشف أو الاختراع في ضوء الأرقام والبيانات والمعلومات السابقة .. نحن اليد التي تجمع من كل خيلة زهرة لتقدم باقة ناضرة إلى الإنسانية كي يتعطر العالم بشذى يبق عليه أريجاً وظهراً ، فيحمل للوجود رسالة الكل إلى الكل .

محمد الصلح

كلمة الأستاذ الكبير الدكتور اسماعيل حسين

أستاذ الأدب العربي وتاريخه
بجامعة الأمريكية بالقاهرة

ترى الرجل الانجليزي يقظا أبدا ، شديد الاحتراس ، نهذا للقرص ،
لا تفلت إحداها من بين يديه ، مهما يكن السبيل إلى اقتناصها شائكا وعظما .
مادام فيها ما يفيد أو تفيد منه بلاده . ولن يؤمن شعب من الشعوب بقضية
وطنه ، وقوميته ، إيمان الانجليزي بها ، إلى حد أنه قد يتناسى الثواميس والمثل ،
ويتجاهل الحقائق مادام في ذلك ما يرفع شأن بلاده ، ويسعد قومه ، ينطبق عليه
ذلك القول المأثور : انجلترا فوق الجميع . .

ونلاحظ صدق هذه الوطنية في كل انجليزي ولد تحت سماء الشرق أو الغرب
مادام فيه هذا الدم التسكوني يجري في عروقه ، ويدب في مفاصله ، ويروجع
هذا إلى أن فلسفة الانجليز مستمدة من الحياة الواقعية الملبوسة ، وانهم أكثر
ما يكونون بعدا عن الخيال وحرف الوقت فيما ليس فيه فائدة مباشرة .

وذلك بطبيعته يرجع إلى عوامل كثيرة من بيئة جغرافية ، ووراثة ،
ونظام حكم ، وحرية مطلقة في المجتمعات والأندية والحدائق كل يروج بما يعتقد
إلا شيئا واحدا أجمع الكل عليه ، لا يشذ واحد فيه ألا وهو : انجلترا
فوق الجميع ،

وترى فنيهم في الشعر والروايات والقصص والسينما والترية المزرية وما إلى
غير ذلك من أحوال اجتماعية واقتصادية وعلمية ، واقناعية علمية متهبا على إسعاد انجلترا
وشعبها في الاسرة والمصنع والاقتصاد والاستثمار حتى الاستعمار .

هذا اللون من الفلسفة العملية الواقعية كان يجذب بشرقنا المربص أن يشذ

تلك الفلسفة هدفاً له في الحياة ، ويتمسك بأهدافها حتى يرأب الصدع ويدأوى
تلك العلل والأوصاب التي مني بها ومرت به تشق لها المرائر . .

وكم تمنيت لبلادي خاصة والشرق العربي عامة أن يتيسر الله له من الكتاب
والادباء من يهيب بتلك الأهداف والمبادئ التي رفعت شأن الأمة الانجليزية
وبوأتها تلك المكانة السامية تحت قرص الشمس . وكم كان يحزنني ويؤلمني
أن أرى معظم أدبائنا في مصر ينصرفون إلى ترجمة الروايات الخنثى ، والروايات
البرليسية ، وأعمال اللصوص ، والخب ، والغرام الفاتر الضعيف ، ويساعدون
رجال الفن من الموسيقين الذين أسدوا الذوق وتجنوا على المبادئ والأخلاق
وما إلى غير ذلك من زعماء سياسيين ، أتموا مائة من إفساد الشباب بالمثال
أناهو التزييف آتونة ، وغروهم بالبطولة أحيانا . والشباب كما نعلم شغلة من دم
فاتر فوار ، خفيف الحركة ، يتأثر بكل ما يهيج عاطفته أو يثير مشاعره حتى
أصبحنا على حال نسال الله منها السلامة . .

اللهم إلا قليلا من رجال الأدب الذين تقلوا بعض نظرات الانجليز وأهدافهم
كالاستاذ العقاد والدكتور أمير بقطر والاستاذ سلامة موسى وبعض حضرات
الأفاضل من أساتذة جامعتي فؤاد وفاروق ، خصوصاً من نظم منهم دراسات
في الاجتماع والفلسفة .

كنت أتمنى ذلك اليوم الذي أرى فيه من يصدر لترجمة رئيس دولة الادب
في كهولة القرن التاسع عشر وسيد ادباء القرن العشرين جورج برناردشو .
تمنيت ذلك اليوم ، وبينما أنا في داري منذ شهر تقريبا ، استرق بابي شاب
هو الاستاذ ميشيل تكللا مؤلف كتاب جورج برناردشو . .

عرفته منذ ثمانية أعوام ، قبل أن يبلغ العقد الثاني من عمره ، كان حين
طلبتي التجاء في الجامعة الأمريكية ، فكنت أرى طريق الذكاء يشع من عينيه ،
ويلمع في جبهته العريضة ، وسكونه وهو في هذه المصيبة المنبكرة بما يستقبله من اخوانه
من الطلبة . كنت أراه نسيج وحده ، كما كنت أرى بعض طلبتي ممن يشغلون
أكبر المناصب في الدولة المصرية وفي الشرق ، وقد غاب عن مبة بطولته ،
ونجاني بزيارته ، فأنست بلغائه ، وانشرح صدرى بمقابلته ، لأنني كنت

أستخلصه لنفسى ، وكنت أجد فيه دافعا قويا ، وميلا حين كان طالبا
لدراساتى فى البحث ، والنقد ، والتحليل . وكان يتطوع بكتابة مالمليه عليه
من مقالات .

وبعد التحية سألته عن سبب احتجابه ، فأجابنى على الفور : كنت مع جورج
برناردشو ! ..

نظرت إليه محملا ، دهشا حتى خفت هذه النظرة وتداركت الأمر .
مع برناردشو 19 شاب فى مقتبل العمر ، وغض الشباب ، ممتلىء صحة وعافية
موفور الرزق ، يترك لهو الشباب ، وعيشه ، ودوافعه ، وهو فى أعزما يكون
من الشباب ! .

مرت بخاطرى هذه الأفكار ، ولكنه كان سريع الذكاء لدرجة أن أخرج
لى من حافظته كتابه الضخم ورسائله التى تبودلت بينه وبين برناردشو ، وسمح لى أن
أقرأها على حدة حتى أقدم الكتاب .

فما كان أسعدنى وأهنأنى وأكبر تقديرى لهذا الاستاذ الفاضل الذى بلغ
الحكمة فى سن الشباب وتمتت لبلادى أن يكثر الله فيها من أمثاله . وأنا إذ
أقدم هذا الكتاب وواضعه فانما أؤف للشرق العربى متعة وجوهراً ثميناً أتمنى
أن ينتفع بما فيه أبناء الشرق وفى الوقت نفسه أهيب بل وأستحلف كبار كتابنا
أن يحاربوا الأدب الفاتر ، فيكفى ما وصلت إليه البلاد من التدهور ، وأن ينبخوا
نهج ذلك الشاب الأديب الفاضل أعزه الله ..

عبقريه برنارد شو وحوافزها

بحث وتحليل

تتمثل فى جورج برنارد شوالأهداف العليا لفلسفة الانجليز : فهم ، وعلمهم ،
وروح النهضة الحديثة للامة السكسونية . وقد وفى المؤلف الفاضل ، والأديب
النابه اتجاهات ذلك الرجل العظيم الذى وسعت شهرته الآفاق ، وبعد صيته
حتى أصبح فى غنى عن سناء الشكر وجزيل الثناء ..

ولست أرانى فى حاجة إلى أن اعرف القراء بجهود برناردشو . فهذا
الكتاب الذى بين يدى القارىء قد وعى واستوعب كلما يحتاج إليه عن تفهم

هذا الفيلسوف ، وعن المجهود الذي بذله المؤلف الفاضل واضع هذا الكتاب وما اضطلع به من دراسة مؤلفاته ، فانه لجهد يسجل له بالفخر ، وبذل على ما بذله من المجهود المضنية ، حتى أحاط بجميع ماحوت تلك المؤلفات ، وما كتب حولها من كبار الكتاب ، والنقاد في إنجلترا ، وأمريكا ، مما لم يدع زيادة لمزيد ..

والذي أريد أن أتحدث به إلى القراء هو شيء واحد ألا وهو عبقرية برناردشو ، والدوافع ، والوسائل التي تسنى له بوساطتها أن يسود كتاب الانجليز ، ولست ابالغ إذا قلت معظم كتاب العالم ، وادبائه ، وفلاسفته في العصر الحديث .

كما أن الجوهر الكريم لا تعرف قيمته ، ولا كرم عنصره وهو في منجمه ، وانما تستطيع أن تدرك ذلك وأنت تراه حلية في تاج ملك كريم ، أوزينة في صدر عروس حسنة ، ولا يتم ذلك لمعرفة جماله وجلاله إلا بعد جهد ، ووسائل كثيرة . فمن أيد تعمل على إخراجها من منجمه ، ثم تناوله أيدي مهرة الصياغة ، ومن بعدهم الجوهرين الحذاق ، فكذلك العبقرية الفذة تكون موهبة من المواهب الجبارة يهبها الله من شاء من الناس كأمته فيه ، كمن الجوهر في منجمه ، فلا تظهر بمظهرها الرائع الذي يأسر النفوس إلا بما يؤثر فيها ، وتتأثر به من عوامل ودوافع حتى يشع نورها فيستضيء بضياؤه الناس ويكون هدبا ورشادا للامم والشعوب ..

لذلك نبحت الآن عن تلك الدوافع التي ساعدت هذه العبقرية الفذة على أن تأتي بذلك الخلق والابداع اللذين تمثلت فيها فلسفة جورج برناردشو :
أولا - الوراثة :

ولد برناردشو من أب رقيق الحال ، عذب الروح ، سريع الخاطر ، طريف الفكاهة ، لادعها آتية ، وكان سكيراً مخموراً دائماً ، فورث عن أبيه هذه الميول إلا استناره في الشراب .

ولقد رأينا برناردشو يكره الخير ولا يحتسبها مطلقاً ، ولعل أكبر دافع على كراهيته لها هو ما رأى من جنائياتها على أمه وباقي أسرته مما أضنى أمه وكبدته عناء كبيراً في سبيل الرزق ..

ولذلك ترى في كل ما صدر عن برناردشوانه كان سريع الخاطر، عذب الروح،
لاذع النكتة، طريفا، حتى ان هذا لم يخل من حديثه ولاهولقاته وهو في العقد
التاسع من عمره ..

وكانت امه طيبة القلب، صريحة، ومن اسرة أغنى من اسرة أبيه، تباينه
في مشربه . فقد بنست في ليلة اكليلها من زوجها الذي وعدها بالتوبة عن الشراب،
وقضى ليلة الزفاف مستهترا ينفق ماله، فانصرفت إلى تعلم الموسيقى والغناء لتستعين
بهما على تربية أولادها، وليكونا سلوة لها، لأن المرأة الكاثوليكية، كما هو معلوم،
لا يمكن أن تترك زوجها، ولعله أعجبها من ذلك الزوج قبل الاكليل جمال منظره،
وخفة روحه، حتى رضيت به بعلاها.

ترى برناردشو يحترم المرأة، ويدافع عنها دفاعا قويا، على النقيض مما عليه
كثير من النبايتين. ولعل من أكبر الخواطر التي جعلته نصير المرأة دائما وأبدا
ماراعه من جنواؤه، وحدها، وعطفها. ثم ما وفقه الله إليه من الزواج بالسيدة
الفاضلة شريكه حياته وحسن معاشرتها الزوجية.

مال برناردشو إلى الموسيقى لكثرة معاشرته لأمه في المنزل
ويظهر ان معلها كان رجلا طيب القلب صريحا مثلها، فأدى ذلك إلى ولع
برناردشو بالموسيقى وميله إلى الفن.
ثانيا - دراسته :

اكتسب برناردشو دراسته العميقة التي توافر عليها، معتمدا فيها على نفسه
ومقدرته الخاصة ولذلك تراه لا يعتقد مطلقا في الدراسة المدرسية، ويصارع بأن
الدراسة المدرسية لغو لا تفيد شيئا، وانما الثقافة الحققة هي ما يكسبه الانسان
لنفسه وبنفسه من عمق الدراسة والبحث والتنقيب خارج المدرسة حتى يكون له رأيا
خاصا، وثقافة خاصة ..

ومن أعذب أقواله في ذلك عن المدارس والمدرسين قوله متهاكما: ان المدارس
لم تخلق إلا لأمور ثلاثة:

أولا: لتخلص الاسر من مشاكسة أولادهم ومضايقتهم لهم في المنزل ..

ثانيا: انها باب رزق لجماعة المدرسين.

ثالثا: انها متجر يجر على مؤسسها ربحا طائلا من المال .

والواقع الذي لاشك فيه أن معاهد العلم فيها بلغت من الدقة الفنية ، وسمو المكانة ، وجمعت أعلام الاساتذة ، فإن مهمتها لا تزيد عن التوجيه الصحيح . أما النبوغ والعبقريّة فانهما نتيجة البحث المستقل ، والدرس المتواصل في جوهاده ..

ثالثاً — عبثه وعناده ومشاكسته :

تري برنارد شو عنيدا ، مشاكسا ، لا يترك أحدا من معارضيه ، وغيرهم في ميدان المجادلة والمناظرة والنقد إلا صال عليه ، ولم يسكت عنه حتى يصصره في الميدان .

ومشأ هذا يرجع إلى طبعه في الصغر ، فأنت تراه في المدرسة مشاكسا ، كبير الحيلة ، وليس أدل على ذلك مما كتبه هو أن المدرس كان يدعو الطلبة بأرقام الجالوس لتسميع دروسهم فكان برنارد شو لا يحفظ إلا ما عليه فقط خوفا من عقاب المدرس ولو سأله المدرس في غير ذلك لما أجابه ..

وانظر إليه عندما أراد والده أن يعلمه السباحة ويقص عليه مسألة نجاة عمه ، فقد استغرق في الضحك ، لأن أباه حاول أن ينجي أخاه . وكذلك تراه قد حاول أن يغرق أباه وهو يعلمه السباحة وظل يعد ذلك لعبة صغيرة . فمن ذلك يظهر لك استهتار برنارد شو وعبثه بكل شيء إلا ما يعتقده ويرضى عنه ..

رابعاً — إرادته وجلده :

تبين مما ذكره المؤلف الأديب في كتابه هذا ان برنارد شو في كل ما صدر عنه كان قوى الإرادة ، جلدا ، لا يهاب شيئا ، ولا يؤثر فيه خداع أو مآلة . وإذا بحثنا عن ذلك وجدنا ان ما أحاط ببرنارد شو من رقة حال أليه الموظف واضطرار امه إلى السفر للندن لتجد عملا تصرف منه على أبنائها ، لأن مرتب زوجها كان يستغرق معظمه في شرايه . تعرف ان ابنها هذا الرجل العظيم ، بما وهبه الله من إحساس ، اضطر أن يجاهد في الحياة ، ليساعد امه واخته ، فتقلب في وظائف بمرتب ضئيل ، وصادف فيها جهودا مضيئة على حدائث سنه ، وما كان اليأس يتطرق إليه أبدا . وما يدلك على هذا الجلد ، وتلك الإرادة الحديدية ، انه كان في مبدأ اشتغاله بالأدب والنقد الموسيقي ، يرسل برواياته أو نقده إلى الصحف في إنجلترا ، وكانت ترفض مؤلفاته ونقده ، فما كان ذلك ليثني عزيمه ، بل على النقيض من ذلك ، كان من الحوافز

التي تدفعه إلى الاقدام بقدّم ثابتة لاتعرف الاحجام .. وترى في الكتاب ذلك مفصلا واضحا ..

خاميسا - أثر الوسط في برناردشو :

بمقلب برناردشو في كافة الأوساط ، وكانت دقة ملاحظته وبعد نظره عاملين قويين في أن تعرف الأوساط ما بين طبقاتها المختلفة ، ويفهمها حق فهمها ، ويقدرها ، وتقديرها الصحيح . عاشر الوسط الارلندي والعمال والطبقات المختلفة في الإندية والاجتماعات ، وكان يلبس أحسن الثياب ولا يبالي بتهكم الناس عليه ، وكان يمشي في أفقر الأحياء عندما عين في إحدى الشركات ومنها يفشى أما كن الخاصة من ذوي النفوذ . كل ذلك كان عاملا من أقوى العوامل في دراسته التي تراها في رواياته وخطبه ومؤلفاته . ذلك ان العبقرية مهما كان مقدار إشعاعها لن تستطيع أن تصور الطبقات المختلفة إلا إذا اندمجت فيها ، وغاشرتها عن كسب ، وتأثرت بها ، حتى يتسنى لها أن تؤثر فيها ..

سادسا - كراهيته وبغضه للاستعمار :

نشأ برنارد شو من أسرة ارلندية مذهبا الكاثوليكية ، وكانت البروتستانتية مذهب الانجليز . ولرجال الدين أثر كبير في أوائل القرن التاسع عشر ، حتى ان ارلندا كانت في معزل عن لندن وماجاورها ، وكانت الكراهية المذهبية كبيرة بين الفريقين واضحة في كل مظهر من مظاهر الحياة بين أهل المذهبين . ونحن في عصرنا هذا لانزال نلبس هذه الفروق بين ارلندا الكاثوليكية وانجلترا البروتستانتية ، حتى تكاد ارلندا تعامل معاملة المستعمرات ..

وهناك سبب آخر وهو قراءة شو لمذهب كارل ماركس ، وميله بغريزته إلى الاشتراكية ، ميله إلى كراهية الاستعمار ، إذا أضفت إلى ذلك كثرة قراءته لجميع الاشتراكيين ، وتذوقه هذا المذهب ، وقد ذاق في الحياة ألوان البؤس والشقاء في خدماته ومرتبته الضئيل وعرفانه في الشركات التي اشغل بها ما يجرعه العامل وما يستنزف الرأسمال دماء هذا العامل ويثرى به على حساب هؤلاء العمال — عانت مبلغ إنتاج برنارد شو من فلسفة وفن في سبيل إسعاد هذا العامل وبغضه للاستعمار وحب الحرية بأوسع ما فيها من معان ..

سابعاً — نباتيته وكرهيته للخمر :

يعتبر برنارد شو نباتيته إلى درجة عظيمة ، إلى حد أنه يشور ثورة شديدة إذا ما اتهمه حساده بأكل لحم الحيوان ، وهو يشبه في ذلك أبا العلاء المعري ، ويكره الخمر إلى حد كبير ، ولعل الحالة الأولى هي التي جعلته في هذه السن قريبا معافي أمد الله في أجله وأما الخمر ، فلهل أكبر البواعث له على تركها ما رأى من سوء تأثيرها في أبيه وشقاء الأسرة بآدمان والده عليها ..

ثامناً — جولندن :

أعتقد أن برنارد شولوعاش في أرنندا لما أنتج شيئا ، ولما خرج على الناس بتلك الفلسفة العالمية الرفيعة التي تتمثل فيها الحياة العملية للام التي تريد أن تنبؤا مكاتنها سامية تحت قرص الشمس ..

فالحقيقة في بلاد الانجليز في الاقوال والاعمال والمجاهرة بكل ما يعتقد المرء كانت من أكبر الدوافع التي وفقته هذا التوفيق العظيم .

هذه هي أهم الحوافز التي أظهرت جوهر العبقريّة في برنارد شو ..

اسماعيل م. ج.

كلمة لا بد منها

نصح لي جورج برنارد شو الكاتب البارلندي الأشهر في كتاب نشرنا صورته بالإنكليزية في دير هذا المكان . أن تذكرين ترجمتي لحياته ترجمة صحيحة نزيهة لا تحس فيها ولا طلاء . وارانتي أن ابذل جهدي المستطاع عن كتب المؤلفين الذين اهتموا عليه . ونسبوا اليه همها . وليس بعجيب أن يفترى الكتاب الانجليز على كاتب انجترا الأول وفيلسوفها الموهوب !

ليس هذا بعجيب أو بغريب على طائفة سبت أن زماها « شر » بنقده الصريح ، وسخريته اللاذعة ، واتهمها بقصر الادراك ، واتدرع والغفلة ، وتحداها في أكثر من مناسبة وانبرى لها يساجلها وتساجله ، فيخرج من جولاته قاهراً منصوراً .. وتخرج هي وبالأسف مطأطئة الرأس ، حائرة الفؤاد ..

نعم .. لقد نصح لي شوان أرجع إلى كتاب بيرسون بالذات ، فهو كما يقول قد راجعه بنفسه وسمح بنشره ، ورض عما جاء فيه من حقائق لا تقبل المناقشة أو الجدل ..

وهو محق في نصحه إياي ..

فقد طالعت عدة كتب ورسائل مطبولة كتبت عنه . فوجدت الكثير من أمحاجها إما متجهمين على الرجل . أو ناكرين له فضله وخدماته التي أداها للفن والإنسانية . أو حاقدين عليه لما قد أصابهم من تمككه وسخريته ، أو ناثرين عليه لقسوة نقده إياهم ، أو غير راضين عنه إطلاقاً لتفوقه ونبوغه عليهم ...

ومهما يكن من أمر هؤلاء الحساد وأسر رسائلهم ، فقد وقتت أخيراً ، بعد طول البحث والتنقيب على كتابين توخى فيهما صاحباهما صدق الرواية وأمانة النقل ، فعرضا حياة الرجل على حقيقتها ، خالية من كل زخرف ، فلم يتحيزا له ، ولم ينقادا لآرائه انقياداً أعمى ، فأنارا بذلك الطريق أمامي ، ووضعوا حداً لهذه المهارات والمفتريات والأكاذيب التي طالما قرأتها باشمئزاز ونفور ، ولمست فيها أكثر من مرة مقدار ما يكنه هؤلاء الكتاب على اختلاف

طبقاتهم ، من حقد ومقت شديدين لهذا الرجل العظيم الذي أعده بحق
إمام الكتاب الانجليز في هذا العصر ، وفيما مضى من عصور ، من غير
تزييف أو مراا .

فعلى ضوء ماقرأت من مقدمات طويلة عن جورج برناردشو ، لكتاب
مشهورين أحرار في أوربا وأمريكا ، وعلى ضوء دراستي الشخصية له ، أود أن
يكون القارىء متأكداً من صدق هذه الترجمة ، ليخرج بصورة طبق الأصل
للكتاب الارلندى الكبير .. كما أرجو أن يكون برناردشو نفسه راضياً عما جاء
بها من صدق الرواية وأمانة النقل ؟

المؤلف

AYOY ST. LAWRENCE, WELWYN, HERTS
TRAINS: WELWYN GARDEN CITY, 3 MILES
WEATHAMPTSTEAD, 2 1/4 MILES
TELEGRAMS AND PHONE: CODICOTE 218

4, WHITEHALL COURT (136) LONDON, S.W.1
TELEGRAMS: SOCIALIST, PARL.-LONDON.
PHONE: WHITEHALL 3180

31st July 1945

Dear Mr Guirguis.

I cannot say anything about your biography because I have not read it, nor could I if it were in my hands. as I have no knowledge of the Arabic language.

The latest English biography is that of Hesketh Pearson. It is up to date and was read by me before publication. It contains none of the innumerable lies that are current about me, but much new information not accessible elsewhere.

If there are any points on which you wish to consult me, will you be so good as to put questions in writing, and if they can be answered ~~briefly~~ briefly I will do my best to help you; but they must be on points of fact as to my private life. I cannot send you essays saying over again what I have written in my published books.

Faithfully

M. Takla Guirguis Esq.
26A Rue Gamil
Daher, Cairo,
Egypt.

G. Bernard Shaw

بلا حظ القارى. ان برنارد شو نفسه هو الذى كتب الرد على الآلة الكاتبة ولم يدع لسكرتيرة مهمة الكتابة!

ترجمة الخطاب

٤ هويتبول كورت (١٣٠) لندن

٣١ يولييه ١٩٤٥

عزيزى المستر جرجس :

لا يمكننى أن أقول شيئاً عن ترجمتك لحياتى ، لأننى لم أقرأها ، ولن أقدر على قراءتها إن كانت معى ، لجهلى باللغة العربية .

وأحدث ترجمة لحياتى هى ترجمة هكك بيرسون . فقد قرأتها قبل طبعتها . فهى لا تحتوى إذن على الأكاذيب والمفتريات الشائعة عنى . وليس هناك معلومات متوفرة فى غيرها لحداثتها وكماها .

وإذا كان لديك بعض النقاط التى تود استشارتى فيها ، فهل تتكرم بوضعها فى أسئلة ؟ وإئن أمكننى أن أجيبك عنها موجزاً ف سأعمل ما فى وسعى لمساعدتك ، وينبغى أن تكون الأسئلة عن حقائق حياتى الخاصة ..

ولا يمكننى أن أرسل لك مقالات سبق أن جاءت فى كتبى ؟

المخلص

ج . برناردشو

م . تـ كلا جرجس المحترم

٢٦ ، شارع الجميل —

الظاهر — القاهرة

القطر المصرى

MARCONI RADIO TELEGRAPH COMPANY OF EGYPT S.A.E. C218
 THE EASTERN TELEGRAPH COMPANY LIMITED.

Received "Via Eastern" No. _____

Transmitted by radio (C.O.T.) on the _____ day of _____ 1935.

33867



1800

TAKOSTI LONDON EX WELWYN HEATS 45 12

LY GUINCHIS 200 436 GAIL DAIER 5000

LO FISH FLESH XPR FOWL FOR PART STATION

YEARS BUT BUTTER CHEESE HONEY

HABITUALLY EGGS VERY SELDOM IN 1935

DEED LIVER AS MEDICINE IT PRODUCED

FAMITING CITY ADVOCATE VEGETARIAN

DA MARIAN EUGEN C GROWDS NO

PERSONS HEALTH FOR LONGER

BERNARD

Via Eastern

صورة البرقية ...

ترجمة البرقية

لهذه البرقية الناصعة التي وصلتني منذ أيام من الكاتب الارلندي الكبير طرافة ودعاية تفصحان لك عن مدى عبقرية شو وقوة ذكائه ولبه عقله .
فلقد كان من قسوة خصومه ، عليه ، وحقدهم وكيدهم له ، أن راحوا يروجون عنه بعض الإشاعات الفاسدة التي لاقت وللأسف كثيراً من آذان العالم الواعية ، فقال عنه ويلز مرة ، ولعله كان مصدر هذه الإشاعة ، ن برناردشو يتظاهر بأنه نباتي والواقع غير ذلك . فهو يحقق بحقق خاصة فيها خلاصة اللحم إلى غير ذلك من أساليب الإشاعة والدعاية الكاذبة .

فرايت أن أستشير في هذه النقطة بالذات فكتبت له رسالة لولا ضيق المقام لنشرتها عن آخرها — أناقشه جوهر النباتية . ثم ذكرت له طرفاً من الإشاعات المتداولة عنه ، فجاءني الرد على الصورة الآتية وفيه فصل الخطاب في أمر هؤلاء الحساد الذين لا يتورعون أو ينجلون من الكذب والتلفيق . وهذا نص الترجمة :

« لالحم سمك ولا طير في الستين سنة الماضية ولكن زبد وجبن وعسل عادة .. أما البيض فنادر جداً . وفي عام ١٩٣٨ جربت الكبد كدواء ولكنه سبب نوبات حادة . فأنا أعلن نباتي للمساائل الاقتصادية القومية وليس للصحة أو طول العمر .. »

برناردشو

1) How, in your comparatively advanced age, do you dispose of your day? And what play, if any, are you writing now. *Backward I find I am writing, but not much.*

2) Many rumours are spread contending that you use liquefied meat injections! Is this true? *No.*

3) It is universally known that you never were a father. did you or Mrs Shaw ever wish this state of affairs were different? *No.*

4) I noticed in Pearson's biography that Mrs Shaw the originator of many ideas which have formed the basis of some of your plays! how many of these plays therefore were actually your wife's ideas? *None.*

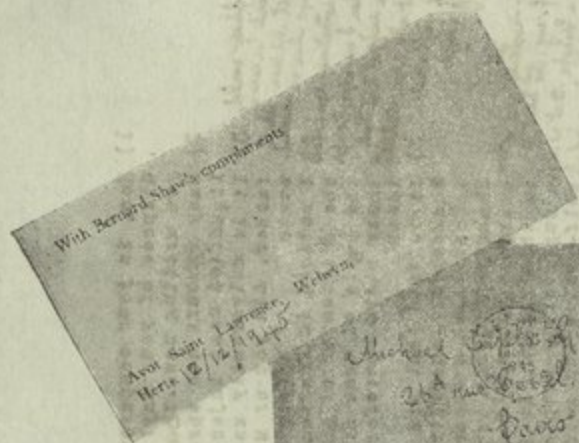
5) It is said that you have always tried to discredit Shakespeare: according to Pearson you always wished to establish a superiority of your own self over Shakespeare: what is the amount of truth in this? *None.*

5) It is said that you have always tried to discredit Shakespeare: according to Pearson you always wished to establish a superiority of your own self over Shakespeare: what is the amount of truth in this statement? *Answer: I had the highest respect for Shakespeare.*

6) In this regard, it is believed that you possess a true superiority-complex which often leads you to self-praise and self-propaganda? True or false? *Answer: Pearson states that you sent a letter to the Morocco Shiks during World War I in order to prevent misunderstanding between the Shiks and the French authorities. It would be appreciated very much if a copy of this document, whether written in English or Arabic, be supplied to me.*

8) and last. The report of King Albert's book is owed you pen. *Answer: The editor's book is published by me.*

الرسالة الثالثة : وقد أجاب شو على الأسئلة بخط يده في المرامش . . .



« أنه يجيب على رسائله بنفسه ، ويخط يده ... فهل يتعظ كتاب الشرق ١١٩ »

ترجمة الرسالة الثالثة

(انظر ص ٢٣)

- (س) كيف تنضى يومك في سنك المتقدمة هذه ، وأى رواية تكتبها الآن ؟
- (ج) الفترة ما بين الفطور والغذاء انتاج أدبي ..
وبعد الغذاء غفلة قصيرة .. ثم تقليم الأشجار ونشرها في الحديقة ..
ثم العمل الجدى .. فالمراسلة حتى العشاء ..
- (س) هناك اشاعات كثيرة فخاها انك تحقن بحقن خلاصة اللحم . فهل هذا حقيقى ؟
- (ج) لا ..
- « انظر البرقية فيها رد شامل على هذا السؤال أيضا . »
- (س) من المعروف انك لم تكن أيا فى يوم ما . فهل وددت أنت أو مسز شو بأن يكون لكما أولاد ؟
- (ج) لم يكن لمسز شو أن توزع رعايتها لى على الأولاد .. فقد كنا فى الأربعين عندما تزوجنا ...
- (س) لاحظت فى ترجمة بيرسون ، ان بعض رواياتك كان وحيا مستمدا من مسز شو . فكم رواية من رواياتك أساس أفكارها لزوجتك ؟
- (ج) كانت تذكرنى أحيانا بفكرة سبق أن كانت موضع اهتمامى ، ولكنها لم تتدخل مطلقا فى إنتاجى . بل انها كانت تذكره الكثير من رواياتى .
- (س) يقولون عنك انك كنت دائما تسعى إلى تسويه سمعة شكسبير ، وتقول ترجمة بيرسون بأنك كنت تظهر نفسك كمتفوق على شكسبير . فما نصيب هذه الاشاعة من الصحة ؟
- (ج) هراء .. اقرأ مقدمة « قيصر وكليوباترة » ،
- (وسيقف القارىء على تفاصيل أوفى فى الحديث عن مسرحياته)

(س) وعلى ذكر هذا ، فالمعتقد انك تميل إلى مدح نفسك كثيراً ، وهذا مركب نقصك ، وتميل أيضا إلى الدعاية الواسعة ..

فهل هذا صحيح أو مجرد اقراء ؟

(ج) أكره الخجل . وأعتقد بأننى واحد من العشرة الأوائل من كتاب الرواية في أوروبا .

ولكنه لما كانت هناك حرف وفنون أخرى لأجيدها فأنا فى هذه الناحية لاقيمة لى . وكيف إذن يكون عندى مركب نقص ؟

(س) يقول بيرسون انك أرسلت رسالة بليغة إلى شيوخ مرا كش فى الحرب العالمية الاولى لمنع سوء التفاهم الذى حدث بينهم وبين السلطات الفرنسية . فهل لديك صورة هذه الرسالة سواء أكانت مكتوبة بالعربية أم بالانجليزية ؟

(ج) ليس لدى صورة منها ، أو لأجد واحدة .

وأنا لأكتب اللغة العربية .

(س) وأخيرا . أى جزء من كتاب الملك ألبرت من كتابتك ؟

(ج) لاشئ .

فالمحررون خافوا يومها من نشر رسالتى

FORM FOR REDUCED RATE PLAIN LANGUAGE TELEGRAM C/510
MARCONI RADIO TELEGRAPH COMPANY OF EGYPT, S.A.E.
ASSOCIATED WITH
THE EASTERN TELEGRAPH COMPANY LIMITED.

"Via Eastern" "Via Marconi" Please delete unrequired Route	No.		Sent at _____	Circuit _____
	Charge		By _____	
	Official Instructions			
Prefix & No.	Class	Words	Time	

Commercial Telegram—Cable H.O.S.—1916. Alexandria—R.M. Suez M.E. Port Said—Cable 1916

NOTICE:—This Telegram cannot be accepted unless the Declaration at the foot of the Telegram is accurately filled in and signed by the Sender

To **MLT** **MR. GEORGE BERNARD SHAW LONDON**

RECEIVED WITH GREAT ENTHUSIASM YOUR ANSWERS TO MY QUESTIONS
 UNABLE TO THANKYOU INDEED FOR THAT OUTSTANDING HELP YOUR
 ARABIC BIOGRAPHY SHALL NO DOUBT THRILL THE MIDDLE EAST
 THROUGH YOUR ADDITIONS NO WONDER THEREFORE IF I FOLLOW
 YOU AND ADVOCATE VEGETARIANISM AS SOON AS THE BOOK APPEARS
 IN MARKET

QUIRGUIS

I hereby declare that the text of the above Telegram is entirely in plain language (the language used being
 such as is written in accordance with the general usage of the language, and that it does not bear any meaning other than that which appears on
 the face of it)
 I request that the Telegram may be forwarded on the foregoing declaration and subject to the conditions printed on the back here-
 to which I refer to be bound.

Signature and Address of Sender **January 14, 1948** **Mr. Takia Quirguis**

(Place in the designated)

S.V.O.

صورة الرد الاخ عليه ...

الرد على الرسالة الأخيرة

مستر جورج برنارد شو

لندن

« تسلمت بحماس زائد اجابتك على أسئلتى . والحق اننى عاجز عن ابداء
شكرى لمساعدتك القيمة لى .

ولا شك ان ما ذكرته يضافه فى الكتاب العربى سيكون له دوى
فى الشرق .

ولا غرابة إذن إذا اتبعتك ، وأعلنت أنى نبقى بمجرد ظهور الكتاب
فى السوق .

« جرجس »

المراسل :

ميشيل توكلا جرجس

٢٦ د ١ ، شارع الجنيل الظاهر —

القاهرة فى ١٤ يناير ١٩٤٦

المقدمة

كانت الثورة الفرنسية عنواناً ضخماً للإدراك البشري ، وصرخة مدوية أطلقتها حنجرة البشرية المعذبة بعد أن ظلت ترسف تحت اغلال الجور والعسف أحقاباً سحيقة ، وبوقاً عالياً هب على اثره المظلومون المحرومون يطالبون بحقوقهم في الحياة : حقوق الفرد في المجتمع !!

أو تلك الحقوق التي طالما دثرتها القرون وضربت عنها صفحاً ، فقوضت صروح المدنية ، وهبطت بمستوى الفرد هبوطاً كان من نتائجه أن تحكم النبلاء والأشراف في اقدار الطبقة الدنيا ، وساموها من العذاب والتكال ألواناً يحمر لها وجه التاريخ خجلاً إذا ما ذكرت أو طافت بذهن إنسان !

وبعداً جديداً غير من القوانين والأوضاع كما غير من معالم المدن والأمصار ، ورمزاً لقدرة الإنسان وأرادته الفولاذية على الجهاد في سبيل الفكرة ، وفي سبيل إبرازها وإخراجها من العدم إلى الوجود ..

فكانت الثورة في جملتها وغايتها إذن مثلاً حياً لحقبة التجديد القوى السريع الذي شمل كل نواحي الحياة ..

ولكن الثورة في جوهرها أيضاً كانت ضربة في الصميم ، ضربة لميزان التجديد الذي مالبت أن تنخفض معياره على مر الأيام وتكالب السنين حتى انمحي أو كاد ، ومن ثم عاد التاريخ يجر أذيال الخيبة ، ثم يرسف تدريجياً تحت اغلال الكبت ، فيشكو من آلام العقد ، ويئن من قسوة القيود !

كذلك كان القرن التاسع عشر في انجلترا : قرن التجديد والفشل ، قرن البعث والركود !

ولذلك قسم المؤرخون الانجليز هذا العصر بالذات إلى قسمين أو إلى عصرين هما : عصر الثورة وعصر النشاط الفكري .

كان القرن مزيجاً من النوعين ، فالثورة فيه لم تكن دامية طاحنة ، تطيح
برؤوس المظلومين والأبرياء على السواء ، كما كانت عند الفرنسيين ، بل كانت
ثورة فكر ، وأدب ، ودين ، وسياسة ، وصناعة .

ثورة فكرية جامحة . هبت أعاصيرها على جذور الجود فاقتلعتها .. وبذرت
مكانها بذور الحرية الفكرية ، فوقعت البذور في تربة خصبة ، مالبثت أن ترعرعت
ونمت في رحاب الحرية غير المحدودة ..

وكان من نتائجها أن رأينا أبطال « المدرسة الطبيعية » ، و « شعراء البحيرة » ،
يهزون العصر بروائع أشعارهم ، وسمو أخيلتهم .. فقرأنا : لوود سورث ،
وكلريدج ، وسوذي ، وبايرون ، وشيلي ، وديكنز وغيرهم ، فلسنا حرارة
التجديد ، وشهدنا روائع الفن والتأليف ..

أما عصر النشاط الفكري فكان الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر ..

عصر العلماء : مل ، وهكسلي ، ودارون ، وسبنسر ...

عصر المؤرخين : فرود ، وفريمان ، وجرين ...

عصر الروائيين : ميردت ، وستفنسن ..

وأخيراً عصر الدراميين وعلى رأسهم جورج برناردشو

* * *

ولد جورج برناردشو في بداية نهاية هذا العصر ، فوضع البقية الباقية
من لجان الثورة والانقلاب ، وغذته الحرية الفكرية الجديدة بأكثر قسط
لديها ، ففدا يستشش أريجها العبق ساعة أن وطئت قدماه أرض هذه
الحياة ...

إن واثت العبقرية فرداً ، فانها تواتيه ساعة أن يولد ، وتغرس فيه أسبابها ،
فيشب الفرد وتشب معه العبقرية صنواً له لا تفارقه ، وإن اختفت عنه وعن العيان
زمناً طويلاً .. !

إذن فقد ولد جورج برناردشو عبقرياً بطبعه ، أو كما يقول مفكراً حراً قبل أن
يعرف كيف يفكر !

وليس في هذا مبالغة أو انحراف عن الواقع ، فانه ما كاد يخرج إلى المجتمع
حتى اصطدم في نضارة شبابه بحقائق الحياة ، وقليل ما يكتشف المرة حقائق

الحياة التي يحياها ، ويضعها على حقيقتها ، ويعزوها إلى أسبابها التي من أجلها وجدت وبموجبها تسير... وأمكنه أن يرى بعينه النفاذتين خبايا الأمور، وقوة التجديد ، وسرعة الفشل .. فيقف طويلا ينعم النظر في تطاحن الأفكار، وتضارب الآراء ، من أدوية وسياسية واقتصادية وفلسفية ..

ويستلفت نظره بنوع خاص ، وهو في وقفته وشروده ، نهوض حزيين في اخريات القرن التاسع عشر ، من أقوى الأحزاب السياسية العالمية ، ألا وهما : حزب المحافظين وحزب الأحرار ...

كان الحزب الأول يدعو إلى الرجعية ، وينادى بسياسة الامبراطورية العتيقة ، سياسة الاستعمار والاستغلال ، وينادى أيضا بالمحافظة على تراث الأقدمين والكبار العارفين وأفكارهم .. ويدعو الشباب في جرأة نادرة واستخفاف ظاهر أن يعملوا ما في وسعهم من جهد لخدمة الامبراطورية المترامية الأطراف ، وتوسيع نطاقها إلى أبعد الحدود الجغرافية التي تجعلها عظيمة في نظر الغريب والقريب على السواء ...

بينما كان الثاني يدعو إلى التحرر من ربقة الرجعية البغيضة ، ومن جماعة المحافظين الذين لا هم لهم ولا شاغل سوى الطنطنة لامبراطوريتهم ، والتعصب لأفكارهم وأفكار كبارهم البالية .. تلك الأفكار التي لا تجدى ولا تنفع في عصر لزم فيه التحرر والتجديد والثورة على كل قديم !

حزبان، نقول فيها — كما قال تشسترتون الانجليزى — تمخضت بهما عبقرية القرن التاسع عشر، فتركتها لبرناردشو يهزأ بهما ويحد فيهما مادة دسمة للتهكم والضحك الطويل ...

هل يذكرك القارئ كوميديا الذهب الأخرى القديمة ؟

تلك الكوميديا التي تذكركنا بقصة رجل شحيح حاول أن يحتفظ بما لديه من ذهب ، سواء أكان هذا الذهب أصفر أم حمر صفراء ؟ ... فالاثنتان في نظره سواء مادام فيها اللون الأصفر فاقعا متأصلا ؟ ! كذلك العقلية الرجعية ، مقيدة الإدراك ، محدودة التفكير ، عسيرة القيادة ، شديدة الغباء ، ترى في التحرر جريمة ، وفي الخروج عن قانونها خيانة ...

وقف برناردشو أمام هذه العوامل وقفة المشدود المبروت... ولكن وقفة لم تدم طويلاً، إذ رأى نفسه يتحرك رويداً رويداً، تدفعه عوامل التجديد والتحرر، تدفعه غرائزه الدلندية النائرة، يسوقه وسطه الصوفي الذي نشأ فيه، ونهل منه أكبر قسط في حياته — تدفعه هذه العوامل مشتركة على شق طريقة وسط فترة الحول الذهني، والكساد الفكري — فترة الفشل الذي منى به التجديد مباشرة — فيعلن ثورته على رؤوس الأشهاد، ويعطن عصيانه على الملأ الأعلى، فيذكي نار الثورة من جديد، ويحرك جنينها في بطن التاريخ..

وأخيراً يشهر حرب السكر الحر، فينبه الضمائر، ويوقظها من سباتها العميق..

كانت ثورته في بلاد ديمتراطى عظيم، جنى أهله ثمار المعرفة والتجربة، ونهلوا من منابعها مالد وطاب لهم، على تماقب الأجيال، فكانت لصيخته آذان واعية، ونفوس متحمسة، تتلف على ذلك العبقري الذي شب من بينها، فعلقت عليه كبار آملها، ورأت فيه خير قائد يقودها إلى طريق الرفعة الذي تتشده، ويحقق لها ماتطمع فيه من ثقافة ذهنية جديدة تتكافأ وثقافات الأمم الأخرى التي تشق طريقها إلى الأمام بقدوم ثابتة، وعن وعي وإدراك...

لست أدعى أن طريقه كان معبداً سهلاً... بل كان على النقيض من ذلك شائكا وعراً... ولكن كل ما أرمى إليه أن أكرر القول بأن صيخته كانت عالية مدوية هائلة، في واد يقيم وزناً لصيحات الزعماء ذوي المبادئ الحرة السامية وصرخاتهم..

الزعماء الذين يعملون لوجه الله والوطن..

الزعماء الذين يقدررون المسؤولية الملقاة على عواتقهم، فلا تبهرهم المادة،

ولا يغريهم الذهب، ولا تؤثر فيهم المناصب..

الزعماء الذين يسرون على هدى من ضمائرهم النظيفه..

الزعماء الذين يسرون بوحى قلوبهم التي لاتحمل حقداً، أو ضغنا،

اوواقعة..وأخيرا الزعماء الذين يسرون إلهام المثل العليا التي ينشدونها دائما في
سبيل تقويم ما عوج من أمر بلادهم ، بفعل الأحوال وتراكم السنين..

هكذا سار جورج برناردشو سيرة الرجل الحاسب الواعي ، المقدر
عواقب الامور ..

هكذا سار جورج برناردشو حرا صريحا يعبر عن رأيه في صراحة الكاتب
الحر، وينقد غيره في صراحة الناقد الحر، فيصيب أهدافه بدقة وانتظام يدعوان
إلى التعظيم والإكبار..

لئن فهذا هو جورج برناردشو ، الكاتب الارلندي الأشهر، اقدمه إلى قراء
العربية كاتبا وأديبا وفيلسوبا ..
كاتبا ..

هزت كتاباته ومسرحياته المملكة المتحدة ، وجارزتها إلى ما وراء البحار ،
فكان صداها قويا ، ورجع فعلها شديدا في أنحاء العالم عامة ، وفي العالم الجديد
خاصة ...
كاتبا ..

يخالف كتاب الامبراطورية على اختلاف نزعاتهم ومعتقداتهم ، وببرهم
بروائمه ، وشتى آيات فنه ، ويصرعهم جميعا في ساحات المساجلة والمناظرة ،
ويجعلهم يتلوون كالديدان في ميدان المناظرة والجدل .
يخالفهم في الرأى والاتجاه ..

فهم يتغنون دائما بمجد الامبراطورية العظيمة التي لا تغرب الشمس عن
ممتلكاتها ..

أما هو فينعى مجدها المنهار ، وشمسها الزاهية إلى غروب الأبد ..
وهم يرون في عظمتها ، ورفيع مكاتها سلما يرتقون على درجاته إلى المجد ،
والشهرة ..

أما هو ، فيرى ان المجد والشهرة نوعان من الزيف والباطل ،
ومرآتان من مرايا الخداع ، مآلهما الفناء حتما ، اذا ما عصفت بريجهما
الأيام ! ..

ويحذون في حصونها وقلاعها دروعا واقية ، وأحجارا صلبة عاتية ، تكسر عليها ألهب السنان ، وأقوى الرماح ، فيرتد عنها كل مغير ، ويصرع تحت جدرانها كل طاغية جسور . .

فلا يلبث هو أن يعلن في صراحة نادرة ان الحصون والقلاع بالية الجدران ، خاوية الأركان متصدعة ، تنفذ منها الرماح والسنان ، فتقوضها فوق تقويضها ، وإن ظهرت للعيان عادة ذات صولة وذات بأس شديد . .

إنها مرايا الخداع .. لاتعكس سوى صور الخداع !

وعلى بطشها يتوكلون . .

فهى لن تخذلهم يوما ، ولن تسد أمامهم الطريق ، ماداموا يرتلون أناشيدها بحماسة وقوة ، ويحرقون البخور أمام قدس هيكلها بوفرة وسخاء ، ويقولون في تمجيدها وتقديسها إلى درجة أقرب ماتكون إلى العبادة منها إلى الرياء .

فهم يضربون بقيثارتهم على وتر واحد .

وينشدون أناشيدهم الاستعارية الرنانة على نغم واحد .

ويلهجون بثالوثهم المقدس في كل ساعة من ساعات الطرب والانشاد على وتيرة واحدة . .

وما ثالوثهم سوى ثالوث الاستعمار والإرهاب والسيادة . .

ثالوث التوسع في الممتلكات . . والتسييح بقوة الأسد الضرغام . . وفرض سيادته على من دونه قوة وطفيانا .

أما هو فيزأ من تلك القوة الغشوم . . ويسخر من القيثارة والنشيد والثالوث الأقدس ، ويرى فيها جميعا خرافة بالية ، وأحاجى مهمة ، لم تعد تصلح لجيل من الأحرار يعيش في عصر السرعة ، في عصر المادية القاهرة ، وأخيرا في عصر الذرة والمهلكات . .

لا ينشد معهم انشودة الاستعمار الطنانة ، بل يحارب الاستعمار بكل قواه .
وليس في هذا غرابة على الإطلاق ، أو خيانة من الرجل لوطنه ، فالرجل يحارب الداء في موطنه ، ويعمل على استئصال شأفته بشتى بواحي مأوته من ذكاء وفضيلة وإلهام ...

إن سياسة الاستعمار في نظره سياسة مكر وخداع ، سياسة ظلم وعدوان ، سياسة مجردة من قواعد الخلق الانساني ، وأخيرا سياسة طائشة لاترتمكن إلا على دعائم الوقيعة .. دعائم التفرقة بين الامم والاجناس والأفراد ...

إن سلاح الاستعمار في نظره سلاح خطير في يد جبان ...
سلاح لاتعترف به الانسانية ، ولا القواعد الخلقية التي أوجدها الانسان حينما أراد أن يدخل طور المدنية .

سلاح يجب القضاء عليه بشئ الطرق والوسائل ، لأنه يهدد الآمنين من البشر بدخول المتطرفين عليهم على غرة منهم وهم عزل عن السلاح .
وعجيب من الانسان أن يفترى على أخيه الانسان إذا مالمس فيه ضعفا ، أو وهنا ...

وليس بعجيب أن يعتدى الانسان على أخيه الانسان ؛ مادامت مطامعه مطامع أشعية جائزة ..

إنها على كل حال مطامع وضيعة لاذرة لحكم العقل أو المنطق فيها .
إنها في جملتها وغايتها مطامع تثيرها شهوات أفراد قلائل يلذ لهم أن يضعوا أيديهم على كل مافي العالم من ثروات وخيرات لينعموا بما فيه اغتصابا ؛ إرواء لشهوتهم ؛ وشبعا لنهمهم ؛ ولا حساب عندهم لهؤلاء الأفراد الذين ينعمون على حسابهم ...

وجدير بنا إذا ما سقنا الحديث عن الاستعمار ، والاستعماريين الانجليز أن نذكر بإيجاز حياة واحد من هؤلاء الرجال الذين لعبوا دورا كبيرا في تاريخ انجلترا ؛ وأدوا أكثر من خدمة لوطنهم في سبيل منفعتهم الشخصية ؛ وسعيهم وراء الشهرة والمنصب والجاه ...

أمامنا الاستعماري الكبير « رديارد كبلنج » خير مثال نسوقه كإمام لهؤلاء الدجالين ! ...

إن برنارد شو نفسه يمتد ذلك الاستعماري كبلنج لا لشيء سوى أنه كان قد نفخ أوداج الامبراطورية برواياته وأشعاره السخيفة ، وملا صدرها بهواء الدسيسة والخذوع ؛ وطبل لها وزمر أكثر من خمسين سنة ؛ وملا الارض

مدحها وذما لغيرها ؛ وتغنى بقوتها وصولتها ؛ وجاهها وعريق أصلها وحسبها
ونسبها ؛ فزهت امبراطوريته واختالت ؛ وسجلت اسمه بحروف من نار ؛
وقالت عنه بفخر ووقار :

« هذا هو بحق شاعر الجيل ... ورائد الشباب ... ورب الأدب
والبيان ... »

أى جيل ؟ وأى شباب ؟ وأى أدب ؟ وأى بيان ؟ !
انه جيل الاستعمار ، وشباب الاستعمار ، وأدب الاستعمار ، وبيان
الاستعمار !!

إن كان للاستعمار أدب وبيان ؟ !!
وإذن فلا غرابة أن يكون هذا الكبلنج من الذين يمتقنون شو لالشيء سوى
أن شو كان يفهمه على حقيقته ويعرف عنه أكثر مما يعرف المسكين عن نفسه .
ولد كبلنج عام ١٨٦٥ في مستعمرة انجليزية واسعة ، هي الهند .
فنشأ فيها استعماريًا بفطرته من أعلى رأسه إلى إخص قدميه .

وبالرغم من أن الهند كانت قد سمحت لمثله أن يدب على أرضها ويستشق
هوائها ؛ ويلهو ويطرب على حسابها وحساب أهلها ؛ ويجوس خلالها فلا يرى
غير التبجيل والاحترام من أقوامها ، فقد أنكر هذا الطاغية جميلها ، وشوه سمعتها
بمفترياته وأكاذيبه وآرائه العرجلة ، وراح يطعن من وراء طعنات نجلاء قاتلة
غير حاسب للإنسانية ولا للتاريخ ولا للهند حسابا !!

تعلم في إنجلترا ، وعاش وقتا قصيرا في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث
نجح في كتابة القصة القصيرة ، وله مؤلفات كثيرة في الاستعمار ، وقصصه
منها : « كم .. النور الذي خبا » و « كتاب الأدغال » و « قصص من التلال »
وغيرها ..

كما كتب فأسهب الوصف والتحليل لحياة الانجليز — المخلوقات الشريفة —
في الهند ، وعن حياة الهنود — المخلوقات المنبوذة كما يسميهم — وعن أجناسهم
المختلفة المتباينة ، وعن عقائدهم الكثيرة الشاذة التي أضحكته طويلا — كما يقول —
وكيف ان الله خلقهم خصيصا لخدمة البيض من بني جنسه !!

هذه صورة مصغرة لعقلية الاستعماري الكبير كبلنج ..

ولن تجد في كتاباته أو أشعاره سطرأ واحدا يدافع فيه عن حقوق هذا البلد المنكود الذي راح ضحية الاستعمار والوقية والتفريق منذ عهد طويل .

لن تجد غير سطور قلائل — ذراً للرماد في العيون — يبكي فيها صديقه السقاء الهندي « جنجان » في قصيدة رائعة من قصائده — ومن يدرى فقد يكون « جنجان » شخصية خيالية ابتدعتها عبقرية الشاعر الموهوب ، وابتكرتها عقلية الاستعماري الكبير في لحظة من لحظات غياب شبح الاستعمار عن ناظره ، أو في لحظة من لحظات تأنيب الضمير — ولو لم يفقد هذا الهندي المسكين حياته ذودا عن حياة الاله الأيمن — كبلنج — وفي حقل من حقول الشرف والفضيلة ، فاني أقسم لك لما ذكره كبلنج بحرف واحد . . وهو البعيد المتناهي عن معرفة ماهية الشرف أو الفضيلة !

مات كبلنج عام ١٩٣٦ فأراحنا من نفمته الاستعمارية الطنانة ، ومن صخبه وضجيجه ، وتهويشه وتدجيله . ولست أريد أن أزيد الوصف ، فما عادت أعصابي تحتمل الكتابة عنه ، وللقارئ أن يرجع إلى مؤلفاته يستحضر المزيد . فهي خير شاهد وأكبر دليل على نفسية ذلك الاستعماري الكبير الذي يقدر رجال العسف والجور ، ويتخذهم مثلاً علياً للطامعين من رواده ومعجبيه ، في خدمة الامبراطورية العظيمة خدمة مزهية عن الأغراض ! ! .

ولك أيها القارئ إذن أن توازن بينه وبين شو ، على ضوء هذا البحث ، ولا اخالك إلا كاشفا شخصية جديدة بالدراسة والتحليل . وسوف تقف على ذلك الاختلاف الكبير بين الاثنين . . .

فالأول صذعة المادة . . صذعة الأهواء والمطامع والشهوات . . تحرك تياراتها في اتجاهاتها المتثوية الهوجاء فينساق لها كما تنساق الدابة لصاحبها في لين وانخزال ! .

والثاني : عصارة الفكر الحر ، البعيد عن المادة والأهواء ، والمطامع والشهوات وشوائبها ، المنزه عن الأغراض ، الذي لا يعمل لثمرة ، أو جاه ، أو مال ! .

وأديا ..

يمتاز أدبه بطابع التجديد والتحرر من رجعية الألفاظ والكلمات ..
تلس في أسلوبه صبغة جديدة من الفن ، وفي قلبه سخرية لاذعة قوية ..
ولا غرو ، فهو يبعث بقلبه الحياة في ملايين البشر ، ويفتح به ما احتجب
من أسرار الخلق والحياة ، في أسلوب سلس عذب فياض ، فيه مادة غزيرة ، وفيه
حذب وعطف ونصح لعقول البشرية التائهة المتلاطمة في بحور التخمين والتحديس
منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ..

يعالج بقلبه امهات المسائل والمشكلات ، أدية كانت أو سياسية في حزم
الأديب المجدد ، وكياسة السياسي المصلح ..

ويجانب أدبه فن له عالمه الاقتصادي والسياسي . فراه قوى الشكيمة ، لا يلين
أمام تهديد ، ولا يستسلم لوعيد ، ولا يهرب أحدا ..
يتناول الصغير والكبير على السواء ، بطريقته التهكمية اللاذعة ، فهجاؤه من نار
ونقده من فولاذ ..

يسير نحو هدفه بجرأة نادرة ، وبقدم ثابتة . لا يعبأ بما حوله من أشواك
وأخطار . بل يهزأ بالصعاب ، ويرى في ركوبها هواية ، وفي قيادها مغامرة ..
وأى مغامرة !

وفيلسوبا ..

له رأيه ومعتقده في الحياة ..

نشهد فيه تطور الفلسفة في قرن كامل تقريبا .
نشهد فيه تضارب النبوغ الفكري وتطاحنه في فترتين من الزمن متباعدتين ،
وإن تساوتا في المدة ، فهما بحق فريدتان .

رسائله في الحياة البحث عن عالم نظيف .. عالم شريف .. لا يقوم على فلسفة
الدم والحديد .. بل يرتكز على البراءة والشرف والفضيلة . يرتكز على دعائم
العفة ، والنفور من النفاق والاعتصام من المادة ...
وأخيرا أقدمه كندرامى موهوب ..

رأى ان تطور الدراما في السبعة القرون الأخيرة ، كان بطيئا مملا ، فأترا خاملا ..

فتناولها بالنقد اللاذع سنوات طويلة ، وسخر من الدراميين جميعا ، وعلى رأسهم شكسبير !!

ثم انقطع عن النقد فجأة ، وانكب على تأليف مسرحياته القوية النموذجية ، ودراماته الموضوعية الرائعة ، فأتج إنتاجا فريدا ، وأمكنه فى نصف قرن كامل تقريبا أن يخطو بها خمسة قرون إلى الأمام !!

* * *

نعم ..

هذا هو جورج برناردشو ، الكاتب الأيرلندى الأشهر ، يسرنى أن أقدمه إلى القراء صورة طبق الأصل ..

أقدمه على حقيقته ، عاملا بنصحه إياى أكثر من مرة : « إن شئت أن تكتب ترجمة حياتى ، فلتكن كتابتك صحيحة ، لا غبار عليها ، ولا اقتراء ، أو كذب فيها .. »

هذه هى رسالة الكاتب الحر إلى كل كاتب حر ..

يسرنى إذن أن أقدمه إلى القراء كبطل من أبطال الواقع ، يؤمن بالتجديد والتحرر ، وينفر من الرجعية والنفاق والخيال الكاذب ..

وكأنموذج حى من الفكر الحر الحى ؟

القاهرة فى ١٢ أبريل ١٩٤٥

ميشيل نكلامبريس



دی فالیرا و جورج برنارد شو

۱۹۴۰

ايرلندا فى التاريخ

ايرلندا جزيرة « جون بول » الاخرى ، تبلغ مساحتها ٣١٨٠٠ ميل مربع ، وتعداد أهلها أربعة ملايين ونصف مليون نسمة تقريبا .

والارلنديون ينتسبون إلى الجنس « السلتى » أى إلى سكان أوربا الأولين الذين بدأوا يتوافدون على بريطانيا عام ٤٤٤ ق . م ، والسلتيون ينتسبون أيضا إلى الجنس « الآرى » أو إلى « التيتونى » . وكانوا هم أول من وصلوا إلى الغرب ، حيث استولوا على أراضى أسبانيا وفرنسا وبريطانيا . وأطلقوا على الجزر البريطانية بـ « دى بده اسم » البيون . ويلتبس على المؤرخ أن يذكر أو يحدد بالذات اسم الجنس الذى أطلق كلمة « البيون » على هذه الجزر: هل هم السلتيون ام الاريتيون الذين كانوا قد سبقوهم إليها ؟

ومهما يكن من أمر ، فقد اشتق اسم « بريطانيا » فيما بعد من وفود السلتيين الذين غاروا على انجلترا ، وكانت قبائلهم تعرف باسم قبائل « بريتون » . وعرفت سلالة هذه القبائل باسم « جويدل » . ويظن أنه استقر بها الأمر ، وعمرت فى بريطانيا وايرلندا . ودفعتها القبائل البريتونية المتحضرة إلى التوغل فى أعماق الجزيرة حتى وصلت إلى ايرلندا فاستعمرتها . ثم استعمرت اسكتلندا وويلز فيما بعد . .

أما اللغات التى اشتقت من هؤلاء « الجويدلين » فهى الـ *Gaelic* لغة أهل الأراضى المرتفعة والـ *Manx* لغة أهل جزيرة الرجل و *Ersell* لغة أهل ايرلندا .

وظل أهل ايرلندا البدائيون يعبدون الآلهة ، ويقدمون لها الضحايا والذبايح ، كغيرهم من عبدة الأصنام فى بقاع العالم إذ ذاك . وكان معظمهم من السحرة والمشعوذين والدجالين . وكان السائد فى ذلك الوقت أن استرضاء الآلهة لا يأتى إلا عن طريقين مباشرين : أولهما — لزوم سفك الدماء لتشرب الآلهة ، وتروى ظمأها . وثانيهما — إرسال عدة أشخاص من العبيد إلى عالمهم

الآخر . وكان على هؤلاء الذين يطمعون في استرضاء الآلهة أن يحققوا هذين الغرضين خير تحقيق ، لذلك كانوا يلجأون إلى صنع سلة كبيرة على هيئة رجل ، ثم يملأونها بالرجال والنساء ويشعلون فيها النار . .

وظلوا على حالهم هذه ، من الجهالة والضلال حتى دخلت المسيحية بلادهم في أوائل القرن الخامس الميلادي على يد « باتريك » . وكانت ايرلندا إلى هذا التاريخ دائمة الثورات والانقلابات . تشن القبائل على بعضها البعض الحروب الطاحنة . وقد لاقت البعثات التي ارسلت لتنصيرهم متاعب جمّة ، حتى أن أحد الرهبان عاد إلى رئيسه يشكو مر الشكوى من أهل ايرلندا . ووصفهم بأنهم قوم لا يمكن تقويمهم أو تهذيبهم بحال من الأحوال ، لجودهم وصرامتهم وشدة عنادهم . . .

فأجاب الراهب « آيدن » رئيسه بقوله : أهل نسييت أن تعطيم اللبن أولا ثم اللحم ثانيا ؟

وقام هذا الراهب على الأثر إليهم ، وأخذ يقنعهم بلباقته وذكائه وحسن سياسته ، ويرشدهم إلى وجود الاله الواحد الذي يسيطر على الكون بقوته ، ويريهم من عجائبه ما يشاهدونه كل يوم في مجرى حياتهم . حتى اقتنعوا أخيراً وأجابوا دعوته . وقد تعجب إذ تعرف انهم مابدأوا يعتنقون المسيحية حتى كانوا أكثر الناس تحفظاً وتحملاً وتعصباً لعقيدتهم الجديدة عن غيرهم من سكان أوروبا الغربية . . .

وليس الفن دخيلاً على ايرلندا ولا هو من نتائج الغزوات على الإطلاق ، كما يظن البعض ..

فالتقش ، والأعمال المعدنية ، والزخارف اليدوية البديعة ، لها أثرها الفني الممتاز من قديم في تاريخ ايرلندا .

أما حالتها السياسية فكانت تستدعى الاشفاق . فقد كانت حتى نهاية القرن العاشر الميلادي تخضع لسلطان القبيلة . ولم يحدث أن اتحدت أقاليها الواسعة في تاريخها كما حدث مثلاً في تاريخ فرنسا ، عند الفتح الروماني لها ، أو كما حدث في تاريخ إنجلترا عندما اتحدت دويلاتها غداة الفتح النورماندى ..

ان شيئا من هذا لم يحدث . فقد كانت القبائل تطاحن بعضها البعض ، وزعماءها يصارعون ويساجلون بعضهم البعض . ولقد ذهبت جهود هؤلاء الزعماء أدراج الرياح ، يوم حاول أحدهم أكثر من مرة السيطرة على جميع أراضي أيرلندا .

فالدنماركيون قد استقر بهم الحال في دبلن ، ووكسفورد ، ووترفورد ، وكورك وليمريك .

ومع هذا فلم يكن النسل «السلتي» في حال تؤهله إلى الوقوف على قدميه لطرد هؤلاء المتطفلين الذين سيطروا على أعظم مدنتهم وأوسعها نطاقا ..

وكان الدنماركيون أيضا في حالة تفكك وتزعزع مستمرين ، فلم يكن في وسعهم أن يقضوا على «السلتيين» أو يغزوهم الغزو الكامل .

وكانت الكنيسة في حالة تفكك هي الأخرى حتى جاء عام ١١٥٤ ، حيث اتفق فيه أول بابا انجليزي في تاريخ إنجلترا هو — أدريان الرابع — مع ملك إنجلترا في ذلك الوقت — هنري الثاني — على أن يدخل الكنيسة الأيرلندية تحت النظام البابوي وعلى أن يقدم البابا جزيرة أيرلندا كهدية منه إلى الملك ليعترف بجلالته بسلطة البابا على جميع الجزر البريطانية قاطبة ..

وكان هنري الثاني في سنواته الأولى من اعتلائه العرش في شغل شاغل عن التفكير في أمر أيرلندا أوفتحها وضمها إلى ممتلكاته ، حتى طرق بابه عام ١١٦٦ أحد رؤساء القبائل ويدعى ورموث — رئيس لينستر — وكان قد طرد من أقليمه ، وطلب منه أن يمد له يد المساعدة ، فصرح له الملك بأخذ بعض الفرسان الانجليز إلى أيرلندا لاسترجاع أقليمه ، فانضم له بعض الفرسان من جنوب ويلز ، وكان يرأسهم ريتشارد دي كايير أحد الفرسان المغاوير الذين عرفوا بالمغامرة والجرأة في تاريخ إنجلترا ، وعبرت الفرقة البحر الأيرلندي عام ١١٦٩ — ١١٧٠ ، وقاتلوا وسلبوا ونهبوا كعاداتهم ، وتزوج كلير بابنة زعيمه الذي جاء ليناصره ، وأطلق على نفسه لقب «أمير لينستر» وبذا فتحت هذه الفرقة الطريق لملك إنجلترا الذي نزل أيرلندا عام ١١٨١ ، وأخذ على نفسه أن يعمم فيها النظام ، ويقضى على ما فيها من روح الاستهتار والفوضى السائدة . ورحب

الاييرلنديون بهزى الثانى لانهم وجدوا منه خير من يكبح لهم الغزاة الدنماركيين.
وتقرب إليه الغزاة أيضا لانهم خافوه ، وعملوا له كل حساب ..
ولكن لسوء حظ الايرلنديين أن تركهم هنرى وعاد إلى جزيرته ليتوج فيها ،
فرجع الفساد يدب فى أركان الجزيرة الايرلندية من جديد ، وتفشى فيها روح
الفوضى وسوء النظام ..

فقدت انجلترا زمام ايرلندا على مضى السنين ، فلم يكن هنرى الثانى حازما
فى غزوه ، كما كان وليم الفاتح ، مثلا ، حازما عندما فتح انجلترا ، فقد كان
من أسباب نجاح (وليم) انه رأس الحكومة بنفسه ، ورتب مقاليد الامور فيها
بنفسه ، أما فى ايرلندا فكان الملك بعيدا عنها ، غائبا طول الوقت ، لا يزورها
إلا فى الزر اليسير . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم تتوفر لاييرلندا
حكومة أهلية ، أو مجلس عام ، ليجمع شتات الرأى ، ويهيمن على الحركات
النظامية فيها ، فقد كانت كما قلنا قبائل متفرقة ؛ لكل قبيلة قانونها وعاداتها
الخاصة ، ولم يكن فى استطاعة أهلها أن يطردوا الغزاة الاقطاعيين ، ولكنهم
اندمجوا معهم تماما ، كما فعل الانجليز مع غزاتهم النورمانديين . والفارق بين
انجلترا وايرلندا لا يزال ملحوظا ، فالغزاة فى الاولى كونوا من كتلتهم امة ، أما
فى الثانية فاختلفوا إلى قبائل متعددة ، والذين كانت ميولهم انجليزية صميمة
جمعوا أنفسهم ، وعمروا أحد الاقاليم المجاورة لدبلن ، وعاشوا فيه تحت حماية
السيطرة الانجليزية الواهنة .

وفى عام ١٣١٥ غزا « ادوارد بروس » ايرلندا ، وبالرغم من انه هزم ،
وقتل ، فقد شنت شمل النبلاء الانجليز ، وكان من جراء هذا أن حصرت
السلطة الانجليزية فى ايرلندا ، فى ذلك الاقليم حول دبلن ، والذي كان معروفا
باسم « الحصار الانجليزى » .

وفى عام ١٣٦١ أى فى عام — معاهدة برييتنى — أرسل
ابن الملك — ليونيل دوق كليرنس — إلى ايرلندا ليعمم الحكم الانجليزى
هناك .. وفى عام ١٣٦٧ كون برلمانا أفراد من رجال المستعمرات
المشهورين .. وأقر البرلمان قانون « كلكتى » الذى بموجبه أعلن

قراية الجنسین .. وسيطرة قوانين اقليم ، الحصار الانجليزى ، كما أُلزم
الارلنديين الذين يعيشون فيه ، ألا يتكلموا لغتهم الاصلية بل يستعملوا اللغة
الانجليزية مكانها .

ولم تكن هناك فكرة خاصة للسيطرة على اراضى ايرلندا اجماليا ..
وانما الفكرة التى حلت محلها هى خلق مستعمرة فى جزء منها .. وكان
قانون ، كلكتى ، بالاختصار مكلا لمعاهدة بريتنى ... وفى كلتا
الحالتين فضل ، ادوارد الثالث ، أن تكون سلطته التشريعية على اقليم
واحد فقط من الجزيرة الايرلندية أضمن له وأبقى من السيطرة على
جميع اراضيها ..

ولم يعتد الايرلنديون على الانجليز أو حاولوا مضايقتهم ، لأن الانجليز
قرروا عدم التدخل مع الايرلنديين فى شؤونهم .. ولما تجددت الحرب
بين انجلترا وفرنسا عام ١٣٦٩ تعذر على الانجليز ارسال مساعدات ،
أو امدادات من انجلترا .. وفى أثناء الجزء الاخير من حكم ادوارد الثالث
ابتدأ الايرلنديون يهاجمون اقليم الانجليز ، ويسلبونه حتى استولوا عليه
تدريجيا ..

وظلت ايرلندا على ماهى عليه من ثورات وانقلابات إلى ما بعد حكم ريتشارد
الثانى ١٣٧٧ - ١٣٨١ فلم يزرها ملك انجليزى مطلقا ، بل ظل بها الاستعماريون
الانجليز يدافعون عن أنفسهم ، ويصدون غارات القبائل السلتية عليهم من
وقت لآخر .

وفى عا ١٤٤٩ أرسل ريتشارد دوق يورك إلى دبلن ليحكمها .. وكان
ريتشارد هذا سياسيا ذاهية .. فأمكنه بذكائه ، وحسن تديره ، أن يوفق
بين الجنسین .. ثم ظهر بها عام ١٤٥٩ كحارب من انجلترا يطلب العون
من أهلها .. وقامت بينه وبين الاقليم الانجليزى مشادات ، ومعارك عنيفة ..
وانحاز له فريق كبير من الايرلنديين وأمدوه بجيوشهم وحاربوا معه بشجاعة
وبسالة فى ويكفيلد .. ومن ثم أصبحت المستعمرة الانجليزية بعد وقت قصير
بوركية صميمة .

وتنازع القوة في أيرلندا ثلاثة رجال من أصل انجليزي . . ولكنهم لم يخضعوا للحكم الانجليزي أو متوا له بصله ما . . فقد كانوا رؤساء قبائل في أيرلندا .

كان قائد المستعمرة أمير كلدير رئيس الجرالدنيين في الشرق وأمير دسموند رئيس الجرالدنيين في الغرب وبينهما كان أم ادرموند رئيس البطريين المعادين للجرالدنيين من قديم .

وتصادف أن كان أمير كلدير زعيم المستعمرة الجديدة هو ورجاله لا يأتمنون هنري الثاني بل ناهضوه وبخثوا فيما بينهم عن مطالب للعرش حتى عثروا عليه أخيرا وكان صديا في العاشرة يسمى لامبرت سمنل ابن أحد تجارا كسفورد وكان الأب يدعى بانه امير وودويك .

وفي عام ١٤٨٧ هبط سمنل أرض أيرلندا . . وانضم إليه في الحال لورد لوفل من الفلاندرين . . وأمير لسكرولن من عائلة « دى لابل » . . وكانت امه اليزابيث الاخت الكبرى لادوارد الرابع . . وكان يسمى « ريتشارد الثالث » . .

وتوج سمنل وغادر كل من لسكرولن ولوفل لانكشير آخذين معها المطالب بالعرش وألفين من الجنود الألمان المدربين تحت رئاسة مارتن شرارز وقوة أخرى من الأيرلنديين البواسل تحت رئاسة كلدير .

وفي ١٦ يونيه ١٤٨٧ هزمهم هنري هزيمة نكراء في ستوك — قرية بين نوتنجهام ونيو آرك — وقتل لسكرولن وشرارز . . أما لوفل فربما يكون قد غرق أو اختفى في أحد المخاض حيث مات جوعا وعريا لإهمال الرجل المنوط بحراسته وامداده بالغذاء . . أما سمنل الصغير فقد عفا عنه هنري واستخدمه كخادم في مطبخه !

وانتهز هنري السابع الفرصة ليحكم أيرلندا ، ويعيد لها السلطة الانجليزية . . فأرسل توا اللورد سير ادوارد بويننج . . وكان رجلا كفوا مقتدرا . . وفي انعقاد الدورة البرلمانية برياسته في « دروخيرا » سن قانونين : أولهما ينص على أن جميع اللوائح والقوانين الانجليزية في الجزيرة الأيرلندية يجب أن يعمل

توا .. والآخر — والذي عرف إلى اجيال عديدة بقانون بويلنج — يقول انه لا يمكن أن يعرض مشروعا على البرلمان الايرلندي إلا بعد عرضه وموافقة ملك الانجليز ومجلس وزرائه عليه .

وفي الوقت نفسه بدل وغير الكثير من قانون « كليكتي » .. واعطيت السلطة إلى المستعمرة الانجليزية من جديد .. واعلن قيام الحكومة الجديدة في دبلن .

وحدث أن واجه هنري بعد ذلك أخطارا جسيمة .. إذ كان امبراطور اسكتلندا يهدد بلاده بالغزو .. فأخذ يتقرب إلى الايرلنديين خوفا من هياجهم عليه فيزيد الطين بلة .. ولم تكن الحكومة « البوينجية » فيها ناجحة أو موفقة تمام التوفيق .. فقد برهن لها « الجراالدينيون » على أنهم مشاغبون .. أكفاء .. جديرون بالنضال في سبيل مبدئهم .. وذلك بالرغم من حدة القوانين الانجليزية وصراحتها في بلدهم .. وكان أمير كلدير في انجلترا حينذاك .. فأرسله هنري إلى ايرلندا عام ١٩٤٦ ليحكمها بنفسه ، ويتسلط عليها بمفرده .. وانفرد كلدير بالسلطة فعلا .. واستقل بحكمه ايرلندا من انجلترا .. واستخدم اسم الملك في كل مشروع أراد تنفيذه .

وأخيراً جاء دور هنري الثامن .. فاتخذ لنفسه لقب ملك ايرلندا .. ولكن النزاع القائم بين الايرلنديين والانجليز لم يخف حدته .. بل ازداد تهورا واتسعت شقته عندما اعيد تشكيل الكنيسة الانجليزية .. وكانت ايرلندا إذ ذاك تعتنق مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

وظلت ايرلندا منقسمة على نفسها ، منسلخة عن بعضها .. فقد هدتها الحروب المتواصلة ، وضععت من مركزها .. ولاسيما الحروب الدينية عندما حاول بعض القواد الكاثوليك ازالة قوات في ايرلندا ، واتخاذها قاعدة هامة يعبر منها على انجلترا .. وأمكن قواد اليزايث أن يشتتوا شمل هذه المحاولات ويقضوا عليها .. وكان من نتيجة هذا التشيت المفاجيء أن دب الفقر والجوع والمرض في أرض ايرلندا وباتت قفرا يابا .

وفي عام ١٥٨٢ هلك وأيد منها مالا يقل عن ثلاثين ألف ايرلندي جوعا ..

وتفاقت أحوال النزاع القائم إلى حد وقوع اضطرابات خطيرة أيام كرومول ..
فالنبلاء والكاثوليك في أيرلندا يريدون تشارلس الثاني ملكا عليهم .. ومن ثم
كون ارموند — القائد البروتستانتي — جيشاً من الأيرلنديين الكاثوليك
والانجليز البروتستانتين الملكيين المعادين لمهاجمة الجمهورية الانجليزية الجديدة
التي أعلنها كرومول في انجلترا عام ١٦٥٠ تقريباً

فاقلع كرومول في الحال إلى أيرلندا بجيش عرمرم .. وأمكنه أن يستولى
على (رديخيرا) بسرعة فائقة بعد أن ذبح ما يزيد على الألفين من سكانها .. وبدأت
المدن تسقط واحدة بعد الأخرى في يد كرومول .

وفي عام ١٦٥٢ كانت الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها في قبضة يده ..
واستولى الانجليز على أراضيها .. وفر أصحاب الأملاك الكاثوليك إلى الجبال
يحتمون فيها .

وأنشأ كرومول برلماناً أيرلندياً ظل يباشر سلطته كتابع لزميله في انجلترا
حتى عام ١٨٠١ عندما أعلن اتحاد بريطانيا العظمى وأيرلندا فيما هو معروف
باسم المملكة المتحدة — على أن يمثل الأيرلنديون مائة عضو منهم في مجلس العموم
و٢٨ عضواً في مجلس الشيوخ — وتمكنت انجلترا من السيطرة على أيرلندا تدريجياً
وأدخلت الثقافة الانجليزية في شتى مرافق الحياة فيها .. فانقرضت اللغة الجالية ..
وأصبحت الانجليزية هي السائدة ..

وحدثت بعد ذلك عدة محاولات لتحسين حال الفلاح الأيرلندي .. وعقدت
عصبة من كبار المزارعين وأصحاب الأراضي عام ١٧٧٩ لذلك الغرض .. ونفذ
المشروع في السنوات ما بين ١٨٨١ — ١٩٠٣

وفي عام ١٩١٢ قدم (جون درموند) رئيس الحزب الأيرلندي
في مجلس الشيوخ — اقتراحاً بإنشاء برلمان أيرلندي بحت — في أيرلندا
على أن يكون ثلثاه من الأيرلنديين الكاثوليك ، والثلث الآخر من
البروتستانت ..

وهنا بدأت المشكلة من جديد .. وفي عام ١٩١٤ أوقف البحث في مسألة
حكم أيرلندا الذاتي بسبب الحرب .. ونفذ المشروع أخيراً في عام ١٩١٦ —

ولكن الايرلنديين الذين لا يقتنعون بشيء قاموا في العام نفسه بثورة أهلية طاحنة في دبلن ، فاعلنت الجمهورية الايرلندية ، وأخذ الانجليز الثورة ، وقتل فيها السير روجر كاسمنت الذي كان قد حضر من ألمانيا خصيصا في احدى الغواصات ليقود الثورة ضد الانجليز .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وافقت انجلترا على مشروع ثان ، فخواه منح الجزء الشمالى برلمانا مقره بلفاست ، والجزء الجنوبى برلمانا آخر مقره دبلن . ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ، ودب ديب الثورة والقوى من جديد ، فاغتيل كثير من رجال البوليس والحرس الانجليزى ، بمقدوفات نارية ، ورميا بالرصاص أحيانا ، وأرسلت انجلترا فى الحال ، القوة المعروفة فى التاريخ باسم : « بلاك آدنانز » ، ولهذا الاسم دعابة ، وذكري طريفة عند الايرلنديين اليوم . وكانت هذه القوة وحشية إلى أقصى حدود الهمجية ، ولكنها لدهشة رجالها وجدت نفسها أمام قوة معادلة لها ، لاقتل عنها قسوة ، ووحشية ، وفظاعة ، من غلاة الوطنيين ، وكان هؤلاء الوطنيون المتعصبون يعرفون باسم . « شن فن » ، أى نحن أنفسنا ، فانسحب منهم ما يقرب من ثمانين عضوا من البرلمان ، واجتمعوا فى دبلن ، وكونوا جمعية وطنية ايرلندية ..

وفى عام ١٩٢١ ، وضع حد لهذه المنازعات الدامية ، بعقد محالفة انجليزية ايرلندية بين الحكومة الانجليزية والجمعية الوطنية الايرلندية الجديدة ، وكون من هذا الميثاق ، دولة ايرلندية حرة ، فى جنوب ايرلندا الشمالية ، تعرف اليوم باسم : « آير » . ولكن نوعا من النظام أو الاستقرار ، لم يكن ليستتب ، فى هذا البلد الثالث . فقد ثار الجمهوريون الايرلنديون ، بقيادة آيمون دى فاليرا ، ضد الحكومة الجديدة ، وألهبوا نارا حامية ، لأن المعاهدة لم ترضهم ، وانهت المأساة فى عام ١٩٢٣ بانتصار الحكومة وسحقها لقوات الثوار .

وآيمون دى فاليرا ثورى قديم ، له تاريخه الحافل بجلالات الأعمال . . فقد ولد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعلم فى دبلن ، وتخرج فى جامعته عام ١٩٠٤ ، وانضم إلى الحركة القومية الايرلندية ، ودأب يدرس ، ويتعلم

لغة البلاد الأصلية .. ثم اشترك في اضطرابات دبلن عام ١٩١٦ ، وقاد إحدى هذه المعارك بنفسه ، فاعتقل ، وحكم عليه بالإعدام . ولكن الحكم استبدل فيما بعد بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وفي عام ١٩١٧ صدر عفو عام أطلق بمقتضاه سراح دى فاليرا ..

ثم انضم دى فاليرا إلى حركة شن فن ، ثم أصبح رئيسها فيما بعد ، بأغلبية ساحقة ، واعتقل ثانيا عام ١٩١٨ ، وقضى عاما واحدا في السجن ، ذهب بعده إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أثار هناك قضية بلاده ، ورجع إلى أيرلندا عام ١٩٢٠ ، حيث عاش في العاصمة ، محتفيا عن الأنظار ، خلال الحرب الأهلية الأيرلندية الأولى ، وكان يقود من مخبئه نشاط الأيرلنديين الجمهوريين ..

ولما بدأت المفاوضات الأيرلندية البريطانية عام ١٩٢١ ، أصر دى فاليرا على أن تنال بلاده استقلالاً تاماً لا غش فيه ، ورفض الموافقة على المعاهدة الانجليزية الأيرلندية التي عقدت عام ١٩٢١ .

وثار بالاشتراك مع الجيش الجمهوري الأيرلندي ضد الحكومة التي تولت السلطة في ذلك الوقت ، كما بينا سابقا ، وعاد إلى الاختفاء في دبلن أثناء الحرب الأهلية الثانية ، وقبض عليه عام ١٩٢٣ ، وافرغ عنه بعد عام تقريبا .

وتولى دى فاليرا قيادة الجمهوريين الذين رفضوا الاعتراف بالدولة الحرة ، ونظم في عام ١٩٢٥ حزبا أسماه : « فيانافيل » أي جنود أيرلندا ، وكان من برنامج حزبه التعاون مع الحكومة في البرلمان ، على أن يكون هدف الحزب هو الاستقلال التام ..

وانتخب عام ١٩٢٨ نائبا في مجلس الدولة الحرة ، وفي عام ١٩٣٢ فاز حزبه في الانتخاب ، وأصبح دى فاليرا رئيس الوزارة ، وبدأ سياسته الجديدة بالاستقلال بأيرلندا ، وفصلها من مجموعة الأمم الامبراطورية الأخرى تدريجيا ..

ويجيب برنارد شو على سؤال وجهته إليه جريدة التايم الأمريكية عن رأيه في استقلال أيرلندا ، وموقفها الحالي من إنجلترا ، بقوله : لم تعجبني

في يوم ما سياسة دي فاليريا ، فقبل أن يحف مداد المعاهدة التي تكفل لايرلندا
حريتها ، قلت : إذا حاربت انجلترا ، فعليها استيلاء ايرلندا ، وتحصين موانئها ..
وعندما تحقق قولي ، ودخلت انجلترا الحرب ، أعلن دي فاليريا انه بجيشه الذي
لايزيد عن خمسين ألف رجل يمكنه أن يحارب أى قوة تهدد بلاده بالغزو .
وقد نفع تهديده ، ونجحت خطته أيضا ، وخرج منها دي فاليريا كالفارس
المنتصر الذي نعلم نحن إلى الانعجاب به .

دبلن عام ١٨٥٦

نحن في اليوم السادس والعشرين من شهر يولييه عام ١٨٥٦ ، وفي جزيرة
« جون بول » ، الاخرى ، ايرلندا . وفي وقت الاصيل .

دبلن هادئة كعادتها ، فاتنة بعماراتها الضخمة العتيقة . أنيقة بشوارعها
الواسعة الطويلة . رشيقة بأحيائها المتواضعة المبعثرة في جوانبها . أحياء يبدو
عليها نوع من الأناقة والزخرف الرخيص .

الايرلنديون يروحون ويحيثون في بساطة وجمود . لاشيء يستلفت النظر .
ولا جديد في أرض دبلن !

ولكنك " ما تكاد تخطو الشارع (ابرسنج) في المدينة العتيقة حتى ترى الجيران
الذين يحيطون بالمنزل الثالث منه يتهايمسون ويتغامزون .

فهذا شيخ هرم قد أطل من نافذته فجأة ، وراح يتسائل في هدوء :
— ماذا هناك يا جفرسون ؟

فيجيبه جفرسون — زميل صباه — :

— المنزل الثالث في حركة غير عادية يا صاح !! . . لا تتعجل الحوادث
كعادتك يا دان . . وانظر . . فهذا هو جورج كارشو ، قادم نحوك . ، فعليك
بسؤاله . .

— جورج كارشو !!

— مالنا وذلك المستهتر الماجن ، الضاحك من غير ما سبب يضحك !!

— أراه عابس الوجه متجهما — على غير عادته — لا بد أن حدثا هاما قد
حدث له ! ولكن كيف ؟ انني لا اكاد اصدق عيني ! إنه في اعسر اوقاته
اكثر الناس مجونا وخلاعة ! لا بد ان شيئا خطيرا قد حدث فعلا !!

جفرسون — هاللو كار . . مالك عابس ؟

كار — دعني يا أخى . فليس الوقت وقت مجنون أو خلاعة . . بالله
اتركنى وشأنى ساعة من زمان !

جفرسون — ماذا دهاك يارجل ؟ هل ينقلب الباسم عابسا في ساعة من رمان ؟ انها فلسفة جديدة لم نعهدها فيك . . ولماذا امهلك ساعة ، والعمر قد يكون ساعة !

كار — فلسفة عتيقة يا جفرسون ؟ ! ...

مهما يكن من أمر . . انها « بسى » اتاها المخاض !!

جفرسون — « يغرق في الضحك ، وهو في طريقه الى الباب يفتحه لصديقه ، وهل هذا يحزنك ؟ تعال يا صديق . . رفه عن نفسك ، وستأتيك الأخبار بما يطربك ويعيد لك مجونك !!

كار — يا خلعتك يا جفرسون . . حتى في اوقات الجد العصيب لا يسلم المرء من تقريعك ؟ !!

« ويدخل كار معه ، ثم يقف فجأة في البهو ، وينطق بتلك الحكمة الخالدة ، في لحظة من لحظات شاعريته والهامه ، « انها لحظة رهيبة ، ساعة أن يولد انسان !! » وتتمر ساعة أو أكثر ، وكار مع زميله ، عصي المزاج ، لا تهدأ ثورته . يتناول كأسه بين الفينة والفينة بحركات عصبية سريعة ويحتسى ما فيها من خمر معتق بشراقة ونهم ، ثم ينكمش آخر الأمر في مقعده الوثير ، ويطلق لافكاره العنان . . .

فيم كان يفكر !

لعله كان يفكر فيما تقاسيه هذه الزوج المسكينة من آلام الحمل كل عام . . أو لعله كان يفكر في أمر المولود الموعود الذي سيخرج الى العالم بعد لحظات أو لعله كان يفكر في نوع المولود الموعود . . أذكر هو أم انثى ؟ إن له اثنتين تحبوان في كنفه ، ولكنه كان عنهما في شغل شاغل . . لقد انب نفسه كثيرا وهو في تفكيره وشروده ، كلما انقبضت عضلاته وتقلصت . . عجبا . ولم ؟

انه لا يتذكر اولاده إلا اذا انذرتة الايام بمولود جديد . .

« تبا للخمر . . انها افقدتني عاطفة الأبوة البريئة . . انها حملتني بعيدا عن عالم الحقيقة . . عالم العائلة الهادي . . انها جردتني من عطف الأب وحنانه على اولاده . . عجيب ان تتوارد عل هذه الخواطر في ساعة سكنت فيها الى نفسي !

مسكينة « بى » ، انها الآن تقاسى ما تقاسيه من آلام الولادة ، وأنا هنا غارق فى
الجح افكارى وخمورى . . وعد على هذه المرة ، ان ارعى هذه العائلة المسكينة
بنفسى ، لن اتركها للشيطان . . فهى فى حاجة الى رعايتى . .

« سأحب اولادى ، سأحنو عليهم ، سأداعب الصغير ، سأحمله بين ذراعى
القويتين ، سأكون منه رجلا إن كان ذكراً . . وقتاة كاملة الخلق ، مكتملة
فاضلة إن كانت انثى ! . . »

ولم يمهل الوقت أن يفكر أكثر من ذلك ، حينما دفعت الباب فجأة فتاة
صغيرة ، وانطلقت كالسهم وارتدت فى حجر ايها ، وعانقته طويلا ثم همست
فى اذنه بكلمة السر وطفقت راجعة من حيث أتت . .
جفرسون — « يحفل فجأة » . .

ماذا ؟ . . انك تبسم يا كار . . ألم اقل لك ؟
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا . . وتأتيك بالاخبار من لم تزود ؟ !!
كار — انه وعد قطعه على نفسى يا « جنى » وأنا هنا معك تحت سقف
واحد . . أن اهذب من نفسى ، واخص بى وأطفالها بذلك العطف الأبوى
الذى حرموا منه سنوات طويلة . ان احتسى الخمر بعد اليوم ! ماذا تقول يا جنى ؟
جفرسون — من وعدت يا كار ؟

إن كنت قد وعدت نفسك فلا أمل يرجى منك . .
وإن كنت قد وعدت الله فأتى اشك فى وعدك !
ليس فى اضرابك عن احتساء الخمر منفعة لك كما تظن ! فقد قطعت شوطا
كبيرا وأنت مدمن عليها ! بل الخير كل الخير ان تخفف من مجونك وترعى هذه
العائلة المسكينة وتعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة . .

كار — « يلتفت حوله ، ويقاقل جفرسون ويحتسى كأسا أخرى فى سرعة »
جفرسون — « بنخب » هنيا مرثيا يا كار . . ويملا كأسه « فى نخب
المولود الجديد . . »

ويحتفى كار من الحجرة فجأة ، ويقفز الدرج الى الخارج طربا وفرحا . .
الجيران — (فى صوت واحد) ها للوكار . . مبروك ! مبروك !

ذكريات خاليدات ...

جورج كار هذا من نسل عائلة كريمة وضعت أقدامها في أيرلندا في نهاية القرن السابع عشر . وكانت عائلة قوية ، ذائعة الصيت ، عريقة المنبت ، غنية بما أخرجته من رجال ضربوا بسهم وافر في مختلف ميادين الحياة ، وعرفوا بتوقد الذهن ، وحدة الذكاء ، وسرعة الخاطر ، وحب النكته ، وطيبة القلب . فكان منهم الصيارفة ، وأصحاب البنوك ، والتجار . والعلماء ، والمطارنة ورؤساء الأديرة . . .

ويكفي أن تكون من الحظيرة « الشفانية » فيتوسم الناس فيك الذكاء والحيوية ، والفكاهة ، ودماثة الخلق ، والرجولة بكامل معانيها . . . والعجيب أن هذه العائلة بالذات امتازت عن العائلات الأيرلندية الأخرى بتعدد أفرادها ، وكثرتهم إلى درجة تدعو إلى الغرابة والدهشة . فاخته « كار » مثلاً كانوا ثلاثة عشر فرداً .

حمل ناء به رب الأسرة ، فلم تمهله الدنيا أكثر مما قدر له ، فمات في وقت كانت الصبية في مسيس الحاجة إليه ، ومن ثم تكفلت بهم أمهم الارملة العجوز ردحاً طويلاً ، فكألفت في الحياة بعزم وحزم شديدين . بأذلة ما في جردها حفظاً لكيان سمعة العائلة من التدهور . فكانت في جهادها مثلاً أعلى لهؤلاء الصبية الذين أكبروها وأجلوها ، ووضعوها موضع الاستاذ المخلص الذي يشكر نفسه في سبيل اخراج نساء قوى الشكيمة ، قوى العريكة ، معزربسلاح الفضيلة كامل الخلق كريمة . . . فحذا الصبية حذوها ، واتصفوا بصفاتها الفاضلة ، وعرفوا أن ميادين الحياة الواسعة في انتظارهم بشتى ما فيها من بأساء ونعماء . وعليهم أن يكافحوا في سبيل بقائهم ، وبقاء هذه الارملة التي ضحت بما لديها من عزيز وغال في سبيل تربيتهم واعدادهم للحياة التي لا بدأنهم خارجون لمواجهتها يوماً ، إن آجلاً وإن عاجلاً . .

فما قويت سواعدهم ، حتى خرجوا الى العمل زرافات ووحدانا ، تسبقهم شهرة العائلة ، ويتوسط لهم ذكاؤهم . فلا يمضى كبير وقت حتى يوفق كل منهم

إلى عمل مناسب ، فيحززون مراكز اجتماعية هامة ، وتجمع الارملة شتاتهم .
وتجعل منهم وحدة لا تنفصم ، وتعيش البقية الباقية من حياتها وهي راضية النفس
مرتاحة الخاطر ، مسرورة بهم ، لانهم أصلحوا من حال الأسرة ، ورفعوا من
شأنها ، وحافظوا على سمعتها وكرامتها ، ورفعوا من قدرها . كل على قدر نشاطه
وجهاده ..

التحق «كار» بوظيفة في محكمة دبان . وظل يعمل بها إلى أن تقاعد عام
١٨٥٠ ، ومنح معاشا سنويا قدره ستون جنيها .

وكان الى يوم تقاعده — بالرغم من تقدم سنه — كثير المزاح ، دائب
النشاط . لا تفارق الابتسامة محياه . لا يحمل للدينيا هما ، ولا يقيم لها وزنا ،
ينظر اليها نظرة الهازيء المستهتر ، الشامت فيها ، العارف أسرارها ، الواقف
على خباياها . فرسالته في الحياة أن يحيا فيها حياة المجون والخلاعة . حياة الفرح .
ليرع نفسه خير رعاية ، فان لنفسه عليه حقا . وليشبع شهوته وغرائزه ما امكنه
فهو مدمن على الخمر يحسبها في كل وقت . وإن كان من عادته أن يحث الناس
على عدم تعاطيه حفاظا لصحتهم من التدهور والاعتلال . وحسبما لما قد يسفر عنه
المسكر من خراب العائلات وتدهور الحياة الزوجية بين الأزواج . . .

بالرغم من هذه النصائح الغالية التي كان كثيرأما يلقيها على زملائه ، وشباب
الاندية والمجتمعات بما عرف فيه من لباقة وطلاقة لسان ، كما ينفرد بكأس الراح
ويطرب أمامها ويحتسيها في لذة ونشوة . . . مثله في ذلك مثل أبي نواس !

دع عنك لومي فان اللوم لغراء وداوئي بالتى كانت هى الداء !!
ولكنه كان مع هذا لا يخلو من فضائل ومحاسن قلما وجدت في غيره أو
اتصف بها يوما سكير عريد !

كان طيب القلب ، رقيق العاطفة ، مرهف الحس ، نبيل الغرائز ! يقول عنه
برناردشو . . . « أخذنى مرة ليعلمنى السباحة ، وهناك على الشاطئ الرملى الجميل
أجلسنى أمامه ، وراح يلقي على درسا لا أنساه . . . كانت كلماته حلوة عذبة ،
فيها براعة الطفل ، وسذاجة الرجل . كيف أنسى كلماته الخالدة وذكرياته العزيزة
الغالية التي لا تزال ذكرها تطن في أذنى ؟ كيف أنسى عباراته الدقيقة الواضحة

التي تم على كبير اخلاصه لبني جنسه؟ . . لما كنت في الرابعة عشرة يا صغيري
مكنتني السباحة من انقاذ حياة عمك روبرت ، أقول لك الحقيقة . لم آسف يوماً
على شيء بعدها في حياتي . ! كان هذا الدرس مما زاد حماسي ففصنا في البحر
معاً ، ورحت أضرب الامواج بمنة ويسرة اتحداها أكثر من مرة ، إن في
مقدوري أن أنقذ حياة روبرت ، إن أوشك على الغرق مرة ثانية ، وعدنا
آخر الأمر ، وهو يقهقه قهقهاته العالية الصاخبة ،

هده تفكيره عام ١٨٥٠ أن يقوم بعمل ما يساعده على انماء ثروته ، فخطر
له أن يتاجر في الغلال ، فهي التجارة الوحيدة الربحية في دبلن ، والتي سوف
تدر عليه ربحاً حلالاً طائلاً .

وبحث عن شريك يتعاون وإياه على مشروعه . فاهتدى الى أحد زملائه
القدماء وبدأ الاثنان يتعاونان معاً على أحسن ما يكون ، ولكن حدث بعد
ذلك ما ضيع عليه آماله وأحلامه والثروة الضخمة التي بحث عنها بين حبات قمحه
وشعيره . فقد كان شريكه جاهلاً بأسرار التجارة ففشل الاثنان فيها سريعاً ،
وبامت بمارتهم بالخسارة الفادحة . وخسرا صفقة مالية كبيرة . ولكنه بالرغم
من ذلك لم تؤثر فيه الصدمة مطلقاً بقدر ما أثرت في زميله .

ويقول برناردشو بمناسبة هذه الذكرى إن أباه وجد فداحة الخسارة مسلية
إلى درجة أن ترك مكتبته وانطلق إلى ركن من أركان مخزنه ، وهناك انفجر
في ضحك طويل حتى استلقى على ظهره . وكان بعينه حول بسيط حاول السير
وليم وايلد أن يصلحه بعملية جراحية ، فأسرف وايلد — كما يقول شو —
أسرافاً جعل الحول ينتقل إلى الناحية الأخرى من عيني كار طيلة حياته ، فبدل
أن كان يميناً أصبح يساراً

وهذه الحادثة هي الوحيدة التي تستفز شو على الضحك الطويل إذا ما تذكرها
وقصها عليك بأسلوبه الرائق وفكاهته النادرة .

تخطى صاحبنا الأربعين ولم يتزوج بعد . فقد أضرب عن الزواج طوال هذه
المدة ، لأنه كان يرى في نفسه عدم القدرة أو الكفاءة لكي يصبح رب أسرة

يتحمل المسؤولية، وهو الطليق الذى أسرف فى فهم الحرية، فما بالك به إذا دخل قيود الزوجية ؟ !

ولكن الأقدار كانت تريد له غير ما كان يريد هو لنفسه . فأوقعته فى حب فتاة جميلة هيفاء من أسرة كبيرة عريقة . فبادلها الحب ، وكان صادقا فى حبه ، وهامت به الفتاة ، وسحرتها بلاغته ، وفكاهته ، وحلو حديثه ، ومعسول كلامه . فصممت على الزواج منه ، وتشاء الأقدار أيضا أن تموت أم الفتاة ، فتسكفل بها خالة شمطاء ، قاسية التلب ، واسعة الثراء ، فما إن علست الخالة بقصة جهامع كار حتى راحت تحاربها سرا وجهرا ، وتعمل جاهدة على التفريق بينهما . فكار فى نظرها ليس من الرجال الممتازين ، ولا هو من أصحاب الثراء الواسع والجاه العريض ، الذين يستحقون فتاة طيبة القلب ، مكتملة الانوثة ، جميلة مشوقة كاليزابيث !

وبالرغم من حيوية شخصيته ، واتبائه إلى أسرة « شو » ، فهى لا تطمئن له ولا تثق به ، وتراه متقدم السن ، خالى الوفاض ، لا يصلح لأن يكون رب أسرة على الإطلاق !

ولكن الحب من عادته لا يخضع لشمطاء غريبة ، ولا يعترف بثروة بالية ! فتقوم بين الخالة والفتاة عدة معارك طاحنة ، يخرج منها الحب قاهرا منصورا . فتعلن خطبة الفتاة آخر الأمر ، ويقوم بعض الخبثاء من أقرباء « اليزابيث » بدعاية فخراها أن كارا « سكير عرييد » ويحاولون جهدهم التأثير على الفتاة من جديد ولكنها لا تصنى إليهم ، وتغافلهم ثم تنطلق إلى حبيبها ، وتنفرد به طويلا ، وتخبره بما يشاع عنه . فيصطدم كار بالحقيقة المرة أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يتدارك الأمر بفضنته وذكائه ، ويؤكد للسكينة أنه لا يشرب الخمر مطلقا ، بل من الذين يحاربون احتساءها فى كل مكان وزمان . وأمام زلاقة لسانه ومعسول كلامه ، اتخذت الساذجة ، وتمت مراسيم الزواج .

ظلت الخالة حانقة غاضبة ، ساخطة نائرة . فلا تطول ثورتها كثيرا حتى تعتمد آخر الأمر إلى وصيتها وتمحو منها نصيب ابنة أختها ، فتشقى غليلها ، وبذا خسرت الفتاة ثروة طائلة ، ولكنها فازت بمن تحب .

وفي شهر العسل، اكتشفت الزوجة حادثاً عكسها صفو عسلها . فتحت
أحد الأدراج فجأة ، فوجدت فيه عدة زجاجات خمر فارغة . فعرفت أن زوجها
السكير العرييد ، لابد أن يكون قد أفرغها في جوفه في ساعة من ساعات طربه
وهناك . انزوت المسكينة في ركن من أركان حجرتها ، وراحت تفكر في ذلك
المستقبل العابس الذي ينتظرها ، وتلك الحياة التي تبدو تعاسها من الشهر الاول .
وتضاربت الأفكار في رأسها الصغير ، ورقصت أمامها الشياطين رقصة الموت ،
فصممت على الانتحار هرباً من حياة هذه مقدمتها . ولكنها عاودت التفكير
المنطقي السليم . ورأت إن هي أقدمت على عمل كهذا فإنها قادمة على شر كبير
لا محالة . وإذا كانت مجهزة بقوة الصبر والاحتمال ، عولت على أن تترك ذلك
الماجن وثأته ، وتعيش هي في عالم خيالها ومثلها العليا . عماه أن يرتدع أو يكفر
عن جرمه يوماً !!

المفكر الحر

« كنت مفكراً حراً قبل أن أعرف كيف أفكر »

برنارد شو

جورج برنارد شو هو الوحيد في التاريخ الذي ورث عن أبيه وأمه أكثر صفاتهما . فعن أبيه ورث الفكاهة . وعن أمه ورث الخيلة والذكاء . كانت عائلة برنارد شو متوسطة الحال . وككل عائلة إيرلندية ، لها طابعها الديني البحت ، وكرامتها وتقاليدها التي لا يمكن أن يخرج عنها انسان . أو يحط من قدرها عضو ، أو يخالفها أو يعق أمرها فرد من الأفراد .

كانت ولا تزال تغلب على الاسرة الايرلندية الصبغة الصوفية البحتة . ولذا تقول عنها الكشكشة ، « إن الايرلنديين جماعة غلظت قلوبها » وتقول البروتستانتية « أنها جماعة جمدت رؤوسها » ويقول عنها كثير من الأدباء المعاصرين . أنها جماعة فقدت حساسياتها لما مجاورها ويحوطها من اشياء ، فنزعت تلك النزعة الصوفية المعروفة .

إذن فقد قضى جورج برنارد شو نضارة شبابه في تلك الجزيرة التي لا تزال كما يقول تشسترتون الانجليزى — لها أمام مذبح القديس بطرس ، ونهل من صوفية وسطه أكبر قسط .

كانت حياة أسرته غير منظمة ، فأختاه اللتان تكبرانه سنا لم تلقيا عناية كافية من أبويه . بل كانتا متروكتين للخدم والمربيات . ففي هذا الجو — جو الفوضى وعدم المبالاة — انفرد شو يفكر — وهو المفكر الحر بفطرته — في حال تلك الاسرة التي لا تغنى من أمرهم شيئا ، فتدرج تفكيره في حال أسرته إلى حال وجوده وكيانه ، إلى عالم وجدانيته وخياله .

لم أنا موجود ؟

وكيف وجدت ؟

وإلى أين أسير ؟

إن أنى فى سكره لا يعبأ لوجردى ،

وأنى فى تفكيرها بعيدة عن عالمنا .

كثيراً ما تحدثوا عن عطف الأب وحنان الأم فإين هما منى ومن شقيقتى؟!
ألا ما أعجب أمر هذه الحياة ! .

.. وكان أمرنا متروكا للخدم — وما أقسامهم من مخلوقات تعسة شريرة —
وكان المفروض أن اتريض يرميا على شاطئ القنال . ولكن الخادم كثيرا ما
تقودنى إلى أحياء المدينة القذرة لتزور اصدقاءها وأحباء المقربين .. وكما تكون
الطامة كبيرة اذا تصادف وقابلها أحد معارفها الأكرمين .. إنه يصير ويصمم
على أخذها لأحدى الحانات العامة . وهى تتدال وتبدى العصيان ، ولكنها
تنطلق أخيرا فى صحبة العاشق الولهان . وهناك — ولا تسألنى عما يدور هناك —
يجرع الحبيبان أقذاح الراح ، ويدنان بعضهما لواعج الحب والغرام . بينما أجمع
نصيبى من الليمونادة أو الجنجر بير فى حسرة وغيظ .

فى هذا الجو الفاسد ، تأصلت كراهيتى للخمر . لان فصاحة والدى وكثرة
حديثه عن الخمر وأضرارها ؛ أعطيتنى فكرة لا تغيب عن بالى وأنا فى هذا السن
المتقدمة ، لقد غرست فى ذهنى أن محال تعاطى الخمر أربأ محال لا يجب أن
يطأها أو يقاد إليها انسان مثل له قدمان . كما تركت الأحياء القذرة فى ذاكرتى
صوراً لا يمحوها الزمان . فعولت على أن أحارب الفقر وأهاجمه فى عقر داره
وأن أكرس حياتى كلها لآبادة شيطانه ؛ وأن أهيم للفقراء حياة أحسن حالا
بهذا الفكر المنطقى عول الفتى على أن يصلح من حاله، ويهذب من أمر نفسه
ما دام أبواه يميدين عنه كل البعد . فأبوه لا يلقي عليه غير دروس بليغة عن
الخمر وممازها ومسائرها وأمه فى عالم خيالها وعزلتها بشغوفة بموسيقاها واستأذاها
«جورج جون فاند ليرلى» والصبي بين تيار الخمر والموسيقى يمعن فى حياة أبيه
فيكتسب منه خبرة واسعة عن الفكاهة واختيار النكتة . ويرهف أذنيه الى
أمه الخنون وهى تتلقى دروسها على يدي الموسيقى البارعة «لى» فيهتز قلبه الصغير
بين جنبيه وينهل من دنياها أكبر قسط فيخرج مزيجاً من النوعين . .

الحساب

تلقي برنارد شو دروسه الأولى على يد مدرسة كانت تعلمه القراءة والحساب كما علمه عمه القسيس مبادئ اللغة اللاتينية وقواعد نحوها وصرفها ، فأجادها اجادة جعلته يتفوق على أقرانه في مدرسته « وسيلان كونكشيال سكول » والمعروفة باسم « كلية وسلي » في دبلن . التحق بهذه المدرسة وهو في العاشرة من عمره ، وظل بها وقتاً قصيراً . ولم يكن من تلاميذها النابغين . ولكنه كان بارعاً في اللاتينية إلى حد أعجب مدرسيه . وهو يعترف ببلادته أيام مدرسة « وسلي » ويقول « كانت أما كنتنا في حجرة الدرس مرتبة على حسب حروف الهجاء ، وكان يكفيني أن ألقى نظرة إلى الكتاب قبل أن يبدأ الدرس بدقائق معدودات ، واستنتج الجزء الذي قد تصل فيه الأسئلة إلى الحرف « ش » - أي شؤسوا ابتدء أجهز له عدة سطور ، ولم أحاول مرة أن أؤدى واجبا منزلياً . وكنت لا أتورع من أن ألق الحجج والأسباب . .

عرض عليه منذ سنوات أن يؤلف كتاباً مدرسية فكتب يقول : « لا . . إن لغتي أبدية على من يحاول أن يجعل كتبى تدرس في المدارس ، ويجعلنى أمقت كما يمقت شكسبير . . إن مسرحياتى ليست أداة تعذيب ! »

كانت ميوله الأدبية — وهو طالب قوية رائعة . أما العلوم فالحساب مثلاً لم يكن من البارعين فيه — وما أروع ما يقول « لم استعمل لوغريتما في حياتى مطلقاً . بل ولا يمكننى أن استخرج الجذر التريعى لاربعة من غير خطأ . فإذا صادف وعملت جمعية حسابية فأتى أعمالها خطوة خطوة ، بالقلم والقرطاس وبيطء شديد ، وبأمل ضئيل جداً في النتيجة . مما يدعونى إلى اعادة أكثر من مرة . ولنفرض أنك أعطيتنى مسألة حسابية معقدة ، ولتكن تكعيب عدد ارقامه أربعة ، فما عليك إلا أن تناولنى لوحاً وتمهلى ساعة . وعلى آخر الأمر أن أخرج لك جواباً خطأ ... »

وبرنارد شو ما زال يكره المدارس كما يكره الحساب . ويرى أن المدارس
وجدت لأغراض ثلاثة

أولها : اغناء أولياء أمور الطلبة الذين يكرهون ويضيقون ذرعا بضحيج
الصبية إذا هم تركوا في المنازل .

ثانيها : لكي تكسب زمرة المدرسين عيشا .

ثالثها . لكي تنمو ثروات المعاهد نفسها التي تربح أموالا طائلة من وراء
الطلاب ! .

التحق شو بمدرستين أو ثلاث، بعد تركه مدرسة وسلي ، ولم تؤثر المدرسة
في إنتاجه مطلقا ، فقد كان استعداده الشخصي أكثر بل وأقوى من مناهج
المدارس لصغير مثله ، فقد ولد شو لكي يكون كاتباً ، وكاتباً المعيا تهز كتاباته
العالم هذا . فيضئ منارة الفكر ليل نهار وسيظل نوره لامعا وهاجا أبد الدهر
بلا مرأ . .

الحظيرة الشفائية

«ولدت ومن حولي أقارب لا عدد لهم تناسلوا وتكاثروا وأصبحوا كرمال البحر لا تحصى لهم عدا ، فعماتي وأعمامي مثلاً كونوا كتائب وفرق وفئات. وأمدتنا هذه العائلة المترامية بسلسلة منظمة من الجنائزات الرهيبة المضحكة ، كنت أشهدا من وقت آخر لفترة ونشوة . فالمدينة التي نعيش فيها كانت منقسمة دينياً الى قسمين . وكان لكل قسم مدفن خاص لموتاه خارج المدينة وتقاليدها خاصة لا يخرج عنها انسان ، وكان كل فريق يظن نفسه من ورثة الأبدية حيث جنات الخلد والنعيم ، ويرى أن الآخر مآله نار جهنم الحامية وسعيرها الملتهب ، وهذه الجنائزات التي شهدتها مراراً ذكرى طيبة في نفسي لا أنساها ، وكيف بالله أنسى سيرنا الحزين البطيء في شوارع المدينة يتقدمنا الراحل العزيز وكم نسير خلفه في رهبة وحزن ، حتى اذا ما انتهينا الى الخلاء ينقلب الموقف فجأة ، ويتبدل الجود الى حيوية والخنول الى نشاط ؛ فيلهب الحوزة الجياد بسياطهم الرفيعة القاسية فيهتز النعش هزات عنيفة، ومن يدري فقد تبعث احدى هذه الهزات الحياة في الراحل العزيز؟! وتنشط حركة الركب من جديد وكأنه قد نفخ فيه شيطان، ونقطع الميل أو الميلين بسرعة البرق ، حتى اذا ما لاحت لنا لنا من بعد البوابة الحديدية الضخمة ، سرى فينا روح الحزن من جديد ، ورفرر على الموكب ملاك الموت الاسود ، فتخف حدة النشاط ويسير الركب ببطء شديد وهناك على البوابة يتلقانا خلق كثير ، فالحانوتى مثلاً — وهو رجل الساعة — يتظاهر بالحزن والاسى ، والواقع غير ذلك ، فهو يتلقى الجثة بوجه عابس، وقلب ضاحك الله ما أعجب هذا النوع من المخلوقات يوارىها التراب بين آهات وحسرات وما هذه الآهات، وما هذه الحسرات إلا دعاء لربك ذى الجلال ان يمن عليه بمضحية أخرى ولو من عائلة شر — وما أكثر ضحاياهم !!!»



جورج برنارد شو فی شبابه

عام ۱۸۹۱

شيطان الصبا وأيام الشباب

« لو كنت مكان آدم لابتلعت كل تناح شجرة المعرفة ساعة أن أدار صاحب الجنة ظهره ... »

كان جورج برنارد شو في صباه — وأخشى أن أقول لا يزال — سليط اللسان ، محبا للغمامرة وحب الاستطلاع . فمر في المدرسة شيطان بين أقرانه ، يسوقهم دائماً أمامه ، وهم يرهبون ويخافون بطشه . ويحبونه لسعة إدراكه وقوة خياله . .

كان يكره الكتب المدرسية ، ويرى أن الخيال فيها ضيق محدود . فيلقى كتب الدراسة جانباً ، ويتكبد على قراءة « روبنسن كروزو » أو « الليالي العربية » فيستهويه « روبنسن » وتسحره قصص ليالي ألف ليلة ، ويعجب بالشرق وما يكتشفه من غموض وأسرار . ثم يولع بالأدب ولعاً كبيراً وهو في العاشرة فيطالع لشارلس ليفر ، وديكنز ويحفظ عنها الكثير . ثم يدرس تاريخ إنجلترا من كتب شكسبير ، وتاريخ فرنسا من كتب دوماس . وأخيراً ينقطع لدراسة الانجيل على أثر سماعه أن زميلاً له قرأ كتاباً للفيلسوف لوك .

فتقافته اذن كانت ثقافة شخصية ، ودراسة اجتهدية مكتسبة لادخل للمدرسة فيها . اختارها هو لنفسه ووضع منهاجها . فطالع كل كتاب وقع عليه نظره . ومن ثم ساعدته القراءة المبكرة على تنمية مداركه وتوسيع مخيلته . فابتدأ يخلق لنفسه عالماً خيالياً خاصاً . يهيمن عليه بقواه . ويسيطر عليه بروحه وشخصيته ويغذيه بعصارة فكره ومواهبه . .

أما في عالم الواقع فكان انساناً آخر . . .
احساس مرهف ، ومشاعر قوية ، وغرائز نبيلة ، وخجل دائم ، وسلطة لسان ! . . .

شيطان بين الاطفال ، يعمل له الكبير والصغير كل حساب . وكان له فريق من الانصار يتذلفون إليه ، ويذيعون عنه لباقة ، وحسن اختياره للنكتة

وسعة اطلاعه ، وصفاء خياله . وكانوا يلتفون حوله في اوقات الفراغ ، وفي حجر الدراسة أحيانا حيث يمثل لهم حياة أسرته المنزلية في حركات كوميدية ، وما يتخلل هذه الحياة العجيبة من تفكك وتناقض وغموض .

وكثيراً ما كان يقوم بتمثيل قصص استطراذية من الالباذة والأوديسا . فيتعلق به الصبية ويرونه ذا شخصية رائعة موهوبة ، غامضة أحيانا تحوى وراءها سرّاً هم بعيدون عن معرفة كنهه أو سر غوره . وكانت الصبية كثيراً ما تنفجر في ضحك طويل على أثر مشاهدتهم إحدى كوميديات صديقهم شو . فإذا ما انطلقوا الى حجرة الدرس مثلاً اخذوا يخالسون بعضهم النظر ، ويتغامزون إذا ما جالت بخواطهم حركات شو . فينحط مستوى الدراسة في مدرسة وسلي إلى درجة كبيرة . وهكذا تمكن ذلك الصبي الماخن أن يخفض مستوى الروح المدرسية طيلة مدة دراسته هناك — الأمر الذي كلف المدرسين عنه كبيراً لاسترجاع روح النظام وبها من جديد بين طلبة المدرسة بعد خروج صاحبنا منها

يذكرنا شو بمجاذبة طريفة جرت له في صباه فيقول: عند ما كنت صغيراً ، وكان خيالي الروائي في ذروة مجده ، أثر ذلك الخيال الخصب في طفل يصغرنى سنّاً ، فكان المسكين يعجبني إعجاباً كبيراً ، بل وبلغ من جنونه في أن لازمني كظلي في معظم الأوقات . واعتقد بحقد أنني بطل مثالي لا أقهر ولن أقهر بحال من الاحوال . وكان لهذا الصبي ماعز مدلل رآه صاحبه يوماً في يد طفل أكبر منه وهو مهزأ بصاحبه . ويرفض أن يدفعه له . فجاءني بطبيعة الحال متلفاً ، باكياً ، شاكياً ظلم الانسان لاختيه الانسان . وأعر وألح على أن أقوم بعمل انساني جليل . فها هي الفرصة وها هي الماعز بين يدي وحش آدمي مفترس . وطلب مني بكل بساطة وانفعال أن اصعق المعتدى وأيده من الوجود فوراً ..

وهنا وقعت في أحبولة وسعرت بخوف رهيب . ولكنني على كل حال تشجعت آخر الامر . تحت نظرات معجبي المغرور ، وتقدمت نحو العدو بشعور الجبن الذي غالباً ما يسمى شجاعة اليأس . وما ان واجهته حتى امرته بصوت جهوري فيه خشونة وفيه رجفة « أن اترك الماعز تذهب !! »

ولشد ما كانت دهشتي حينما اطلق العدو ساقيه للريح . وترك الفريسة
المسكينة التي انطلقت فوراً لصاحبي تتمسح باهداب ثوبه اعترافاً بفضلته وجميله —
لا اعترافاً بفضل أو جميل !

ولقد تركت هذه الحادثة أثراً كبيراً في نفسي . ولم ابالغ بعد هذا الحادث
في وصف قواى البدنية مطلقاً . . .

كان محبا للاستطلاع بكل قواه . تسلى مرة أحد أسوار البساتين العالية ، وأخذ
يجمع ثمار التفاح حتى جمع ما يقرب من الاربعين . ثم قفز السور وفر هارباً
حتى إذا ما رأى مكاناً عالياً تسلقه بخفة ورشاقة ، وراح يلتهم التفاح واحدة
وراء الاخرى . . وما أن اجهز على الثامنة عشرة حتى رأى قافلة من الدجاج
تتجه نحوه ، فأخذ يلقي لها ما تبقى لديه من تفاح ، ويرى في ذلك تسلية كبيرة لم
يعدها من قبل حتى نفذ ما لديه ، فانطلق يعدو الى داره يتبعه سرب الدجاج

وبمناسبة التفاح هذه اذكر ما قاله شر عن آدم . « كنت دائماً احتقر آدم
لان المرأة تجربته ، والحية تجربت المرأة . قبل أن يقطف هو كل تفاحة من
شجرة المعرفة . فلو كنت مكان آدم لابتاعت كل تفاح شجرة المعرفة ساعة أن
ادار صاحب الجنة ظهره . . »

قادته قدماء يوما . وهو في الثانية عشرة . هو ورفيقين له الى تل « توركا »
بدالكى . حيث راحوا يجوبون ربوعه للنزهة والاستراحة ، وما ان وقع نظرهم
على شجر الزال — نوع من الاشجار الشائكة الصلبة — حتى خطر لهم خاطر
شيطاني عجيب . خطر لهم أن يشعلوا النار في الاشجار ليروا ماذا تكون
النتيجة . فاخذوا يتحايلون على ايقاد النار حتى ظفروا بها آخر الأمر وأشعلوا
كومة كبيرة من اوراق الاشجار الجافة ، وألقوا بها على أشجار الشوك فسرعان
ما تأججت النيران . وطقطقت الأشجار ، واندلع منها اللهب . ووقف
الثلاثة وعلى اساريهم آيات الظفر والنصر ، يحملقون في لون النار الاحمر القاني
وفي الدخان وهو يتصاعد في ضخامة وجسامة . ولكن الصبي الثالث لم يقو على
مشاهدة النار فأطلق ساقيه للريح مما ادى الى سرعة اعتقاله . وتهافت الناس
والجيران على الأشجار يحاولون اخماد النار منها .

ولجا شو وزميله الآخر إلى الناحية الأخرى في الجبل حيث أمكنهما أن يشاهدا المنظر بوضوح ويستمتعنا به . ويرى الصبي والبوليس يعتقله ويقول في ذلك لقد كانت الفكرة شيطانية حتما ، ولكنه حب الاستطلاع يهون أمامه الحريق ! ومهما يكن من أمر فان صديق المعتقل أثار اهتمامي وحاسمي وفضولي فارتديت على الفور أغفر ما لدى من ثياب . وانطلقت توا إلى صاحب الارض التي أشعلنا في أشجارها النار . وكان اسمه « ما كدزل » وقال لي ما كدزل هذا على سطح منزله برزانة وتودة تعادل رزانتى وتودتى . وخاطبته خطابا لبقا بليغا استعملت فيه كل أنواع البيان والفصاحة ولم أتركه الا بعد أن تسلمت منه خطابا للبوليس يتنازل فيه عن حقه ، ويطلب اطلاق سراح الصبي ، ويحفظ الحادث . وما أن تركته حتى كان الصبي قد أطلق سراحه قبل قدومى بدقائق معدودات . واطفأ الجيران النار نخباً لطيبها ،

فبلباقته هذه ، وحسن فكاهته ، وسرعة بديهته ، وجراته . عرف كيف يقف أمام ما كدزل ذلك الموقف المشرف بصغير مثله . فكانت هذه أولى خطاباتاه . وكانت هذه أولى مراقبته الرائعة يدافع فيها عن حقوق زميل له اشعل النار لا لجرم أو لغدر مقصود بل حباً في الاستطلاع وسعياً وراء معرفة خبايا النفوس . . .

الموسيقى

«خير للفتى أن يجيد ألحان يتهوفن من أن يحفظ أناشيد حورس !»

برنارد شو

نشأ جورج برنارد شو في بيت أحب الموسيقى وأولع بها ، فلقد كانت أمه تلقى دروسها الموسيقية على يد استاذاها البار «جورج جون فاندليرلي» والام بميولها الفطرية ، ومواهبها الفنية لا تلبث أن تصبح تليذة أولى للاستاذ . يغذيها بفته ، ويتخذ دارها مسرحا يجرب فيه مسرحياته وأوبراته قبل عرضها والصغير شو في عامه الخامس عشر يرهف السمع لتلك الالحان والنعومات التي تنبعث في عقر داره . فيهتز قلبه الصغير بين جنديه . ويستسلم لمداغبة الخيال له ساعة أن يحلق به في سماء السيمفونات حيث اللذة والنشوة . فلا يمر كبير وقت حتى يستهويه الفن ويجذبه اليه بكلتا يديه . فيستوعب الكثير من الموسيقىات العالمية ، فمن هاندل الى يتهوفن الى فردى وجونو . ويجيد لهم الكثير ، ويصفر ألحانهم بنغمة ايرلندية جذابة . . . ثم يكتشف «موزارت» فجأة ، وتبهزه أوبرته العالمية المعروفة «دون جوان» فينصت للاستاذ مليا . وفي وقت قصير يلم الصغير بنواحي «الأوبرا» ويجيدها اجادة عمياء جعلت «لى» يحملق في وجهه كثيرا ، ويربت على كتفه أخيراً ، ويؤكد لتليذته الموهوبة «أن الصبي شو عبقرية مجهزة . سوف يكشف عنها الزمن يوماً . وليس هذا اليوم ببعيد !!»

أولع الصبي بموزارت ، وحفظ له الكثير ، فقد كان لموزارت الفضل الأكبر في توجيهه الوجهة الصحيحة ، فأوحى له أن يبدأ بالكتابة وليكتب أى شيء يصادفه ، ويخطر على باله ولو كان تافها لا ثمرة فيه . . . ان ذلك يتطلب جهداً وصبراً . وها أنت أمها الصغير شو مزود بالقوتين . مؤهب بالنوعين . فيها أشدد من أزرك ، وها أنذا من سماء الفكر والفن مالمك ومشجعك ، !»

إن هذه الذكرى — ذكرى موزارت — لا تزال تساوره بل ولا تفارقه فهو يتذكر وحيه بوضوح ويقول « أتيح لي في صباي أن ادرس « الدون » درساً جيداً . ولا أغرو ، فقد كان لهذا الدرس أكبر القسط في تعليمي . حقا انه علمني الفن من كل نواحيه ، وسبقاني اياه حتى آخر قطرة . فهل اعترفت لموزارت بالجميل ام انكرته ؟ ليس الذنب ذنبي ، « فالدون » علمني كيف انتقد موزارت بصراحة وجراحة »

وحتي والده السكير العريد كانت له ميول قوية نحو الموسيقى والطرب فرأيناه اكثر من مرة هو وزمرة من اصدقائه يحيون ليالى الصيف الجميلة على شاطئ النهر أو في ضواحي المدينة. ورأينا اسرته على الاجمال من اعمام وعمات يجربون كل نوع جديد من آلات الطرب، قترام جميعاً وقد اثرت فيهم الموسيقى وقوت فيهم المشاعر وأخصبت فيهم الخيال ..

اغرم السبي تدريجيا بالابورا والمسرح ، وتأثر كثيراً بالممثل الاعظم (بارى سليفان) فشاهده على المسرح كل يوم وافتن بقامته الطويلة، وعضلات وجهه القوية ، وصوته الرنان ، وتمثيله البارع ، وسرعة عمله ، وخفة يده .. ثم تعدى اعجابه بسليفان الى بطل « سرحيته » (الوردتان) التي مثلت في دبلن ايام صباه . فقد رأى في الممثل قامه طويلة رفيعة صلبة ، ومشية عجبية ، وحركات غريبة ، وصوت اخف ، وشخصية نادرة . واكتشف فيه ناحية قلبا وجدت في غيره . وجده يتحرر وينزع الى التجديد فشققه ، ورأى فيه بطله المنشود لكتابة نوع من الدراما كان قد تأهب له من زمن طويل . وكان هذا الممثل (هنرى ارفنج) الذائع الصيت ..

ودبلن المدينة القديمة بأثارها وعماراتها ملكت عليه مشاعره . فهو يعجب بعمارة القرن الثامن عشر كما يعجب بمنازل الاحياء المتصدعة الخرقاء . ثم يزور (دالكى) مع اسرته كلما جاء الصيف وهناك يهيم حبا بجبالها المترامية ذات الظلال وبسائنها الزرقاء المزركشة بالسحب القطنية الشديدة البياض وبجمال طبيعتها . فيستقى منها وحى الهامه وعبقريته ، ويرى فيها جنته المفقودة التي طالما بحث عنها كثيرا ..

ويزور لندن فيما بعد فتهربه قاعات الرسم والتصوير . فيقضى فيها معظم اوقاته حيث معارض ميشيل انجلو وتيتان . . .
وللبينة اثرها - كما يقولون - وبينة كهذه يغمرها الأدب والفن بشئ الوانها
ودرهما ، لا شك أنها كونت لنا شخصية قوية المعية . شخصية ارجعتها عبقرية
القرن التاسع عشر ، وتناولتها ايدى القرن العشرين بالخلق والابداع . فجاءت
آية فريدة من آيات التفوق والنبوغ . .

الرحيل

كان أبوه كما قلنا سكيراً عرييداً ماجناً مستهترا الى أبعد حلقات المجون
والاستهتار فاستامت الزوج من حال بعلمها ، ورأت أن الحياة معه أصبحت ضرباً
من المستحيل ، فعولت على أن تتركه لشیطان خموره وأبالسة سكره ، وتطلب
العيش في بلد آخر وليكن هذا البلد بعيداً عنه حتى لا يلاحقها بمجنونه . ففي
عام ١٨٧٢ عثمت شطر لندن هي وابنتها ، حيث وجدت لها عملاً كمدرسة
غناء . وفقدت إحدى ابنتيها في (فتور) بعد نزوحها من أيرلندا بقليل أما ابنتها
الثانية فكانت ذات صوت ملائكي ساحر دربها (لي) وعلقت عليها الأم آمالها
فهي في حاجة شديدة إلى من يعاونها ويشد من أزرها على مكافحة الحياة
واحتمال متاعبها . . .

ابتدأ حال الاسرة يتدهور ، فالآب في دبلن مدمن على الشراب وتجارته
كاسدة لا خير فيها ولا أمل فيه — والأم وابنتها تكافحان الحياة في لندن
وتعيشان في ظلف من العيش فتطلعت الانتظار آخر الأمر إلى الصبي شو .
فما هو قد كبر وترعرع وامتلأ صحة وقوة وهو الآن في سن مناسبة —
وإن كانت مبكرة — تؤهله للجهاد في سبيل العائلة المنكوبة في ربها .
فتوسط له احد الاصدقاء لدى إحدى شركات الملابس ، ولكن الشريك الثالث
وكان يدعى (روني) اصر على عدم قبوله لصغر سنه ، ولا ينسى له شو —
الى يومنا هذا — هذه القعدة النكراء ، وهذا الرفض الجريء . . !

وعاودت العائلة الكرة من جديد بعد عام او عامين . فتوسط له أحد اعمامه والحقه باحدى شركات الاراضى بمرتب قدره ثمانية عشر شلنًا فى الشهر ، وابتدأ يباشر عمله الجديد بنشاط يحسد عليه . ثم مالبت أن أصبح صديق الجميع يناقشهم فى مسائل الدين والفلسفة والحياة ، ويتحمس لآرائه وافكاره فتقوم بينه وبين الموظفين زملائه معارك كثيرة ومشاغبات لا آخر لها . فتتعطل أعمال الشركة تدريجيا ، ويهبط على الموظفين وهم فى نقاشهم الحاد احد الشركاء فيتوعد ويهدد ويثور ويسخط ويأمرهم بعدم مناقشة المسائل الدينية او الفلسفية فى ساعات العمل ولكن هيهات لشو أن يصدع لأمر كهذا . . . وعاوده استهتاره من جديد . واستمر فى مساجلته ومناظرته لايخفف من حديثها شريك او عميل

وفى حوالى عام ١٨٧٥ زار دبلن رجلان من أشهر رجال الدين ، عرفا بالفصاحة واللباقة ، وقوة الاسلوب هما « مودى وسانكى » وكان لبلاغتهما فعل السحر فى نفوس الايرلنديين السذج . فالاول كان يصور للناس الجحيم وما فيه من زبانية وعذاب بعبارات حامية الوطيس ملتبية . . . والثانى كان يجذبهم الى معرفة الله بطريقة سلبية ودیعة . .

فأنصت شو لهذا وذاك ، ولم تؤثر فيه بلاغتهما على الاطلاق . . بل سخر منهما ومن تعاليمهما ورماهما بقصر الفهم والغباء ، وضمن رأيه فيهما وفى العالم والدين فى رسالة بعث بها الى جريدة « الراى العام » فنشرت لها فى الثالث من ابريل عام ١٨٧٥ وفيها يقول . . . ما هذا التدجيل . وما هذا التخريف ؟ . . انكم يا رجال الدين تفرضون سلطانكم على الدماء من الآدميين وتصورون لهم الجنة والنار وكأنكم قد جلتم فى ربوعها ووقفتم على الكثير من اخبارها واسرارها . . انكم بذلك لا تؤدون رسالتكم على الوجه الصحيح . . بل تخلقون من زمرة المنصتين لكم ، السامعين لحرفاتكم جمهرة من المعارضين الذين انا على رأسهم ولا تسلم عما تركته هذه الرسالة فى نفوس اقربائه الكثيرين . . لقد ارهبت اعمامه وعماته . . وانذرتهم فان الصغير شو شيطان مرید وملحد له خطره على حياة الاسرة العريقة . . .

واخذ بعدها يرسل جرائد عدة ، وساعدته ميوله الادبية على ترقية اسلوبه وتقويته.. فكان ينقطع للادب تارة وللموسيقى تارة اخرى. وكانت ميوله نحو الموسيقى تزداد قوة كلما تقدمت به الايام..

حدث ان باعت امه اثاث المنزل كله قبل سفرها الى لندن وتركت له البيانو فوجد الصبي الفرصة سانحة ، فأخذ على عاتقه ان يتعلم بمفرده من غير ما رجوع الى قواعد او قوانين .. فابتدأ يوقع « الدون » — اوبرة موزارت المشهورة فأجاد نغمها على البيانو في وقت قصير .. ثم انكب على دراسة سيمفونيات بيتهوفن ولوهنجرن وفاجنر .. فكان المنزل دائم الصخب والضجيج لاتنقطع منه نغمات موزارت او فاجنر.. فيشكو الجيران جنون الصبي ، والصبي يهزأ بهم ويستمر في عناده وتعبته ، لا يتوقف لحظة ولا يتردد امام مقطوعاته وفي هذا الصخب الموسيقي ، هبت على اوربا عاصفة عليية هوجاء ، اثارها دارون بمذهبه الجديد — تطور الاحياء — فاثارت تفكير شو ، فالتقى الموسيقي جانبا ، واخذ يفكر .. « اهل هذه هي الحقيقة يادارون . اتريد ان تقول انه في الوقت الذي ظننتي فيه ملاكاً هابطاً .. اصبح في غمضة عين ابن عم لقرد قبيح مثلك .. انك معتوه يارجل .. صدقتي انك معتوه .. »

وفي عمله بشركة الاراضى خلا فجأة مكان صراف الشركة . فوقع الاختيار عليه آخر الامر لحين ان يوجد صراف آخر . فقام بعمله على اكمل وجه . وفي ذلك يقول .. « انا الذي لاعرف كم كان معنى اللهم الا اذا وصل الرقم صفراً .. نجحت نجاحاً باهراً في مسك الدفاتر . وعرفت بالدقة التامة في المحافظة على أموال الغير .. وترتب على ذلك ان اهمل البحث عن صراف آخر .. وارتفع مرتبي الى اربعة وثمانين جنيهاً في العام .. مكث اربعة اعوام يعمل كصراف لهذه الشركة ، كان خلالها مثال الرجل الامين الصادق . فاحبه اصحاب الشركة وقربوه اليهم . ولكنه ما كاد يبلغ التاسعة عشرة حتى مل هذه الحياة العملية الآلية ، وعأوده الحنين الى الادب ، والفن .. ففيها بضاعته وآماله وكان قد سئم دبلن وما فيها من خمول ذهني وجمود فكري .. فأخذ يتطلع الى لندن بيوارق الامل والاماني .. ففيها هدفه وفيها ضالته المنشودة .. ان ايرلندا لم تعد تصلح له فهي جامدة . والحياة فيها مضيعة .. والايرلنديون جامدون متصلفون

فلا بد من الرحيل سريعا من هذه البلد المشئمة.

وأخذ يردد قول وليم موريس «إني أبغض الايرلنديين مع ما فيهم من فضائل.. وأحب الاسكتلنديين مع ما فيهم من رذائل».

عول الفتي اذن على ان يقوم بحركة حاسمة يحدد فيها موقفه إزاء عملائه ..
ففي مارس ١٨٧٦ أربك الشركة باستقالته المفاجئة . فظنه العملاء غير مقتنع
بمرتبه فوعده بزيادة لأأس بها . ولكنه شكرهم على حسن تقديرهم ، وأطلعهم
على رأيه الأخير .. وأفهمهم ان المساومة لم تعد تفلح مع مثله .. فقد رسم
خطته ومنهاجه .. وليس لقوة في الارض ان تقف امامه ..

«قالى لندن اذهب»

«لندن . . يا عاصمة الادب . . . ويا دوحه الفكر»

«ويا زهرة العواصم . . . ويا منار العلم فى العالم»

«الىك أسعى واقامر بحياتى»

«وانت يا ايرلندا يامسقط رأسى .. ويا مهد صباى»

«يا وطنى العزيز . . . الذى كرسى له حياتى»

«اتركك . . . غير آسف عليك . . . ولا ناظم»

وفي لندن...

في ربيع عام ١٨٧٦ وطئت قدما الايرلندي الشاب أرض لندن. وكانت لندن في ذلك الجزء الاخير من القرن التاسع عشر ، محط انظار العلماء والادباء والمجددين . اذ كانت محورا رفيعا للعلم والادب ، ومسرحا كبيرا للثقافة الفنية كما ازدهرت فيها اللغة الانجليزية ، ووصلت الى أوج مجدها وتبوأ مكانة سامية بين لغات العالم أجمع

وفي لندن وقد سبقته اليها أمه وأخته، حاول باديء ذي بدء أن يتعلم الغناء ليرفع من شأن الاسرة ، ولكن الدخل لم يتأثر كثيرا بمجهوده . فعاود دراسة السمفونات من جديد ، فلم تسعفه بشئ ما، بل بما زاد الطين بلة إدمانه على توقيع مقطوعات فاجزر التي كادت تذهب بعقل الام المسكينة ، فأعصابها لم تعد تحتمل فاجزر ولا موسيقاه الصاخبة . . فاذا ما ابتدأ يوقع إحداها هزعت الام الى مكان قاص وراحت تبكي . . تبكي خيبة املها في بعليها الكبير وجنون ابنها الصغير . . .

ولم يحاول شو من ناحيته ان يصلح من حال العائلة المسكينة . إلا تحت تأثير الموسيقىار «لى» الذى تأثر كثيرا لحال الام . فكان يأخذه معه في حفلاته ليعزف له على البيانو . ثم يزكيه فيما بعد لوظيفة ناقد موسيقى الجريدة «الهورنت» فيعمل بها وقتا قصيرا يشن فيه الحملات العنيفة على الموسيقيين ويبرزهم كأغبياء أدعياء على الفن . .

فتفشل مهمته سريعا ، وتفشل معه الجريدة ويتقضى عليها قضا سريعا ، إذ يسحب الوكلاء اعلاناتهم ! . .

وفي عام ١٨٧٩ ساعدته احدى قريباته بان توسطت له لدى شركة أديسون للتليفونات فعمل بها وقتا قصيرا ايضا . وكانت مهمته فيها أن يقتنع سكان «الايست أند» بلندن بطلاقة لسانه ولباقته المعروفة ان يسمحوا للشركة بتركيب اعمدة وعوازل وغيرها فوق اسطح منازلهم لتيسير خطوط التليفونات وتعميمها

في أرجاء العاصمة . قسنى له ان يقوم بمهمة عجيبة في اقذر احياء لندن ويندمج
بالسكان ، ويدرس عن قرب صفاتهم واخلاقيهم .

دأب على مراسلة كبريات الصحف في سنوات حياته الاولى في لندن .
يبعث لها من وقت لآخر رسائل مطولة كانت يرد له معظمها بالتالى مشفوعا
بكلمات شكر أو اعتذار . حتى وقعت له رسالة في يد « ج . ر . سمس »
رئيس تحرير جريدة (ون آند أول) عن الاسماء المسيحية بحث فيها الآباء
والامهات بعدم تقييدهم في تسمية اولادهم بأسماء ابطال التاريخ . لأن هذه الاسماء
برهنت آخر الامر على ضعف التسمية واثبتت انها خرقاء بلهاء .
وأرسل له رئيس التحرير يوما خمسة عشر شلنا مكافأة له . تقبلها شو وهو
في مسيس الحاجة لمثلها .

ترك شو شركة ايديسون ثم انقطع للكتابة والتأليف ، فأمكنه عام ١٨٧٩
ان يكتب اولى كتبه (النقص) واربعة قصص اخرى في السنوات التالية .
ورفض الناشرون يومها نشر أية رواية من رواياته لما تضمنته من آراء لم توافق
المزاج الانجليزى حينذاك . فعمد الى نشرها تباعا في مجلات انجليزية مجهولة . .
والى عام ١٨٨٥ — أى لمدة تسعة أعوام كاملة عاش على نفقة امه . ويقول
في كتابه المشهور (الانسان والسرمان) (كنت شابا قادرا غير متعطل وكان
حال اسرى يستدعى نزولى الى ميدان الحياة . ولكننى استهدفت امى فى سبيل
تمسكى بآرائى مهما صادفت من الفشل لجمود العصر الذى كنت اعيش فيه
وتعجب الناس حينذاك من جفائى وقسوتى وجبنى . . ولكن هيات ان
اسمع للناس أو انصت لهم . فقد داومت على كتابة الخمس صفحات يوميا
لاخلاق من نفسى رجلا — على حساب امى — بدلا من اكون عبدا ذليلا
لغيرى . . .

لقد عشت وقلنى ينظر اسى باستهداف امى واعيانها فى سبيل تمسكى
بارآئى)... وهذا منتهى التضحية باغلى ما يكون فى سبيل حرية الفكر والرأى
والتمسك بالمبدأ .

يعيش على ستة بنسات يوميا

ما بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٥ كان الفقر قد ضرب رواقه على اسرة برناردشو وتدهورت حاله في لندن . ويذكرنا بكتاب لفت نظره مرة وهو يحوب طرقات لندن وكان عنوان الكتاب « كيف تعيش على ستة بنسات يوميا » ويقول شو « اجبرتني الظروف القاسية على أن أتبع تعليقات الكتاب وارشاداته بدقة متناهية أكثر من مرة . الا ما أقساها من أيام .. حقا ان الفقر جريمة لا تغتفر » وأدى به الحال أكثر من مرة أن يذرع طرقات لندن بحذاء بال وسروال ممزق ، وسترة طويلة حولت الرطوبة لونها الاسودالى أخضر ، وبوجه شاحب وعود ناحل . . . وكان لا ينجل من أن يسير ليلا في رداءه الليلي . . .

مات استاذاه القديم «لى» لحزن لموته كثيرا . وعول على أن يتعد عن الفن والمجتمع ما امكنه ذلك ، ولكن انقطاعه لم يدم طويلا حتى عرفته أخته بأحد أقطاب الأدب في إنجلترا في ذلك الوقت ، هو الأديب المعروف «اوسكار وايلد» وحادثه وايلد طويلا في شتى الموضوعات فاعجب بذكائه وسرعة خاطره وابتدات الصداقة بينهما تتأصر وتزداد قوة .

ثم أخذ يزور أندية الأدب فاتصل في عام ١٨٧٩ بناد أدنى للمناظرة جمع زمرة طيبة من أدباء العصر وعلماؤه منهم جون ستوارت مل ، وتشارلس دارون ، وهربرت سبنسر ، وهكسلي ، وما لندس وانجرسل وغيرهم . ثم ظهر في ناد آخر للجدل وفي هذا النادي اعتلى المنبر أكثر من مرة وراح يدافع عن حقوق المرأة . ولم يفته بعد ذلك اجتماع الا وحضره . وكان له فيه رأى أو فكرة . وكان كسمويل بطلر يتردد بكثرة على المتحف البريطاني حيث يتكبد على دراسة كتب «الاتيكيث» وبالرغم من فقره فقد مرّن نفسه كثيرا عليه حتى أجاده اجادة لا بأس بها .

وفي عام ١٨٨١ أعلن أنه نباقي وشن حملة شعواء على اللحم وآكله . ثم تعدت كراهيته اللحم الى الدخان ثم إلى الخمر ثم إلى النساء ، وتسمى بقواه

الجنسية إلى الأدب والفن والاقتصاد والسياسة .

وعند بلوغه السادسة والعشرين في صيف ١٨٨٢ ساقته المقادير إلى «القاعة التذكارية» بشارع فرنجتون بلندن ، وهناك استمع لهزرى جورج وهو يحاضر عن « الضريبة الفردية وتعميم ملكية الاراضى » فبهذه الموضوع ونطق بقوله المأثور : إني حين سمعت جورج هذه الليلة رغبت كثيرا فى فهم ماهية الصراع العنيف بين العلم والدين .

فقد حولنى المحاضر الى ناحية الاقتصاد ودراسته وأعجبت بكتابه «التقدم والفقراء» فأسرعت الى نادى هندمان — نادى الاتحاد الديمقراطى — وهناك اقترحت مناقشة الموضوع فأخبرنى أحدهم بضرورة الاطلاع على آراء كارل ماركس أولا ثم المناقشة ثانيا . فانطلقت فى الحال الى المتحف البريطانى ، حيث انكببت على دراسة نسخة فرنسية لآراء ذلك الماركسى الذى كان نقطة التحول فى حياتى . . نعم . لقد أعطانى فكرة شاملة عن العالم . فطفت راجعا الى الاتحاد بحماس وقوة ، ملائى بالانجيل الجديد . وهناك اكتشفت جديدا . اكتشفت أن الحشد الذى كان يناقشنى يحفل بدستور ماركس ، ولا يعرف منه شيئا على الاطلاق غير رجل واحد كان موضع إعجابى ودهشتى . وكان ذلك الرجل العبقري هندمان

كان دستور ماركس نقطة التحول فى حياة شو بىحق وحقيق . فقد تحول الى اشتراكى صميم ، وكاتب ثائر ، وسياسى ذاهية له نشاطه ، وتسلم على فنه فجعله يدافع عن حقوق الانسانية فى كل ما يكتبه من روايات ومسرحيات .

وما إن أتم دراسة دستور ماركس واستوعبه جيدا حتى أصبح بوقا عاليا له فى كل مكان وزمان . فها هو فى الاندية والمجتمعات على اختلاف أنواعها لا حديث له غير ماركس واشتراكيته ، ودام به الحال اثنتى عشرة سنة أذاع فيها تلك المبادئ التى ملكت عليه مشاعره وشغلته ردحا من الزمن كبيرا .

فعلى قارعة الطريق ، وفى الميادين والأسواق ، وفى الحدائق مخطب زهاء الساعتين أو الثلاث فى نفر قليل أو كثير فهو لا يمل ولا يهدأ ولا رياضة له غير التبشير بدستور ماركس . وضايقته الحكومة أكثر من مرة ورصدت حركاته

وسكناته فكانت ترسل وراءه الجواسيس في كل مكان يخطوه، فكانت رياضة جديدة أذاق فيها الحكومة الأمرين. فهو يعتمد الى هايد بارك معتلياً أحد العربات يخطب من فوقها في جمهور المستمعين يناقش ويحاجي من غير اعياء أو ملل حدث مرة ان ارسلت الحكومة وراءه ستة جنود اقوياء يرقبونه ويضايقونه فاخذ يضللهم من هنا وهناك حتى قادم اخيرا الى هايد بارك وهناك في وسط إحدى طرقات الحديقة وقف شو يخطب في الجنود بحماس وقوة والمطر ينصب فوق رؤوسهم كالانهار فلام قادرون على مفارقه وهو لا يتزعزع عن مكانه يعتمد مضايقتهم واعطاءهم درسا قاسيا لا ينسونه غير عانى بما قد يصيبه من اضرار البرد القارس والمطر المنهمر . ويحاول بلباقته وطلاقة لسانه ان يؤثر فيهم والجنود كالتائبين واقفة امامه تحمق في وجهه بكيد وغيظ . ويستمر الموقف اكثر من ساعة . فيهب فيهم آخر الامر بقوله (ايها الجنود . . انكم لا تنصتون . ويحق لكم ان لا تنصتوا . لانكم لستم احرارا . وما دمتم مأجورين فلا فائدة من الكلام معكم . وهل يجدى الكلام مع بلهاء لا يفهمون !!)

ومع ما تضمنته هذه الخطوات من خطر الاعتقال والتشريد ، فقد استهان وهزأ بالاحطار في سبيل مبدئه وعقيدته ، وسار في طريقه لا ينتهي عن عزمه ومن اشتراكته قيد انملة . .

لمع اسمه في كل مكان وناد وجمتمع وتقاطرت عليه وفود الناس من كل حذب وصوب ، على اختلاف مشاربهم وتباين عقائدهم لسماعه وتهاقت عليه الاندية بطلب إلقاء محاضرات بعقود سخية . بل لقد عاشت بعض الاندية على محاضراته السنوية ، ولكنه لم يأبه بذلك كثيراً . إذ كان لا يميل الى جمع المال فهجر الاندية والمحاضرات ، واصبح ككل سياسي له مكانته لا يتكلم إلا في المناسبات . .



برنارد شو النبائی

عام ۱۸۸۱

ثورى بطبعة

ماذا كان نوع دراساته؟ وماذا كان نوع تفكيره؟ وماهى الاسباب التى دعت به إلى ان يترك بلده وينزح إلى انجلترا ويتحمل قسوة الجوع والمرض ست سنوات كاملة؟.

كانت دراساته متشعبة ، فهو يقرأ لشكسبير كما يقرأ لبطلر . يقرأ كتب الادب والعلم والاقتصاد والسياسة قديمها وحديثها بشراهة ونهم . . كان يفكر فى ثورة اجتماعية شاملة . ثورة جامعة يقضى بها على الرجعية والجمود ، فهو ثورى بطبعه يمتاز عن غيره بتحرره من الالفاظ القديمة وابتداع اخرى لها فعل السحر فى السامعين . فلم يضارعه احد فى مثل تلك القوى التى يستخدمها فى اختراع طرق فنية لمناقشة الموضوعات والمذاهب المعاصرة . .

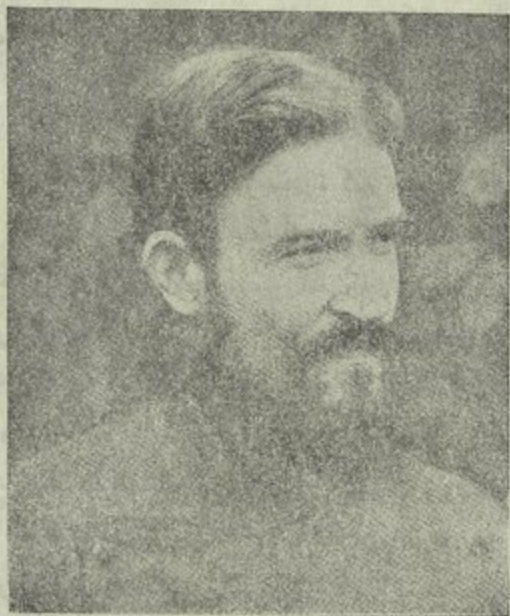
وقف يدافع عن حقوق المرأة بحماس وقوة . فينبى له فريق من المناظرين ويؤكدون له ان المرأة لا تصلح مطلقا لمجابهة أعباء الحياة . فهى لدنة طرية لا يمكن ان تستخدمها فى ميادين القتال ، ولا الذود عن حرية الاوطان . ويستشهدون بقول بعضهم « ان الحرب شئ همجى . . يجب على النساء ان يمسحن من الوجود بلطفن وكياستهن » فيصرخ فى وجههم برنارد شو ويقول آيها البله المتخافلون . . اهل نسيتم ان المرأة سبق ان جندت فى ظروف وحروب وان لم تكن رسمية فقد كانت ساحات قتال دامية ، برهنت فيها المرأة على قدرتها وشجاعتها وبطولتها . . وهل تريدون ان أذكركم بالثورة الفرنسية . ميدان جهاد المرأة ؟ !

وقامت مرة مناظرة حادة بين بعض الادياب المعاصرين ورنارد شو موضوعها اللهجة الصوتية وهل لنا ان نأخذ بها ؟ ، وكان شو من محبذى الأخذ بها . ويرى انه من السهل للنشء ان يتهمجى الكلمة لمنطوقها . بدون حاجة الى تقييد او قانون . ويقول ان شكسبير نفسه كان يؤمن باللهجات الصوتية . فقد استهمجى اسمه فى ست طرق مختلفة . ويعزو شو اللهجة الصوتية الى انها نزع الى الحرية والى لدونة الادب الالزايثى...

ومن روائع حملاته حملته المشهورة على رجال العلم والدين . فيعلن في أكثر من مناسبة ان العلم الطبيعي ما هو الا كذبة صوفية كالكنهوت . . فالعلماء والقساوسة يتكلمون بسلطان لأنهم غير قادرين على الكلام بالبرهان والدليل وان عجائب العلم كلها اكاذيب منمقة كعجائب الدين . ويقول في ذلك . . « اذا قال لي الفلكيون ان نجما ما يبعد عنا بالآف الاميال . . وان نوره يستغرق الف سنة ليصلنا فان اهمية الكذب في دعواهم تظهر لي غير فنية . . »

ويقول عنه النقاد ايضا « إن لشو مقدرة كبيرة على الاختيار تفوق قواه الاخرى . . فما أن وطئت قدماء عاصمة لندن حتى اختلط بكل جمعية ثورية ، وتقابل مع عدد كبير من رجال العصر المعرفين ، وتعرف على كثير من الملحدن والفوضويين » نهلست « وهو لا يزال يذكر هذه الجماعة التي انتمى اليها في بدء حياته وكانت هذه الجماعة بل الجماعات التي تعاون معها جمعيات نسوية ! ! . . »

ويستشهد النقاد بما قاله شو على أثر ظهور كتاب اسمه « فتاة بين الفوضويين » ويتخذون بما قاله على أثر ظهور الكتاب « فتاة بين الفوضويين » لو انهم قالوا رجل بين الفوضويات لكان ذلك أكثر من مغامرة ! . . يتخذون قوله هذا حجة دامغة على اندماجه بهذه الجمعيات النسوية التي راحت تحارب الحكومات الانجليزية أكثر من مرة مدافعة عن حقوق المرأة في الحياة والبرلمان . . . وفي حملته على العلماء يعيب عليهم قسوتهم في تشريح الحيوان المحي والتمثيل به سعيا وراء الفائدة العلمية ، فعواطفه نحو الحيوان قوية ، ولسنا نغالي اذا قلنا انه لا يتأخر عن بذل أقصى جهده في سبيل اراحة دابة أو طير مسكين ! وازاء منطقته هذا لا يأكل اللحم مطلقا . ويعزو البعض حبه للنبات إلى طبيعة بلاده وأصل منشئه . والشعب الانجائزي عامة يميز برنارد شو بنباتته واشتراكيته فهو في اشتراكيته تلميذ صادق «لهنري كاتر» الذي قال مرة انه يود أن يرى في إناء كل فرنسي دجاجة مطبوخة كل يوم أحد ! .



برنارد شو الاشتراکی

عام ۱۸۸۵

جمعية الفايين

يرى المؤرخ لزاما عليه اذا تعرض لسرد اخبار الجمعية الفايية ، أن يرجع الى الوراء قليلا ليتبع الحركة الاشتراكية ، وأدوار نموها وتطورها في إنجلترا . وان يذكر ابطالها وواضعي حجر أساسها . . .
فالاشتراكية الانجليزية قامت على يدي بطلين عاشا طويلا في أمريكا فكان لأمريكا سبق الفضل على بريطانيا في هذا المضمار . وكان من نتائج هذه الحركة أن ظهر للعالم حزب العمال في إنجلترا وقامت حركة اجتماعية صاحبة كانت دعائها الجمعية الفايية . . .

ففي اوائل القرن التاسع عشر ، كانت الاشتراكية في إنجلترا لم تولد بعد . وحتى بعد بدء الحركة في العشر سنين الاولى ، كانت الجرائم لاتذكر شيئا مطلقا عنها . وكان في إنجلترا بعض الشخصيات ذات المبادئ الاشتراكية امثال أدولف سمث ، وكارودزس وهلام وباكس . ولكنهم جميعا كانوا غير معروفين كاشتراكيين قلبا وقالبا . . .
وفي اخريات القرن التاسع عشر أى حوالى عام ١٨٨٠ — بدأ هندمان حركته المعروفة هائبا رجال ونساء العصر أن يطرقوا ابواب التقدم بحنف متجديا سياسة جلاد ستون ونظام حكمه في ايرلند ومصر ..

وكان هندمان هذا معجبا بكارل ماركس ودستوره ناقا على الشعب الانجليزي بروده وجهله لذلك العبقرى الذى عاش بينهم زمنا لم يكتشفوه فيه . وكان تليذا صادقا لماركس ، يقضى معه الساعات الطويلة يسمع له وهو يحدثه عن نظرياته في الاشتراكية والاقتصاد ومادية التاريخ وكان ماركس يهيب قائلا: إن إنجلترا واحة خصبة لنمو مبدئه ، وانتشار دستوره . وإن كان تاريخها الماضى يتباين مع ذلك المبدأ الجديد وهذا الدستور الملائم لحياتها المستقبلية وهنا يسحره قول هند مان ، فتعاوده الذكريات سريعا ويتذكر قول ديزرائيل . . .
وانجلترا بلد عسير تحريره . . .

ثم يقلب نظره بين القولين، فيؤثر قول استاذة على قول ديزرائيل ومن ثم يقرر أن يقوم بحركة حاسمة فيضع في وقت قصير نواة «الاتحاد الديمقراطية» أول جمعية اشتراكية حقيقية ظهرت في إنجلترا .

ولجأة يظهر عالم آخر من عالم جديد ، هو توماس ديفدسن . أبرع علماء عصره وأقواهم شكيمه ونبوغا . وفيلسوف «اوتيانى» أو خيالى . ولد عام ١٨٤٠ فى درينيز فى ابردينشير - باسكتلندا . والفيلسوف من أصل روماني ، قضى حوالى خمس عشرة سنة فى كندا والولايات المتحدة الأمريكية ، كما طاف باروبا ورجع أخيراً إلى لندن حيث جمع حوله نخبة من زملائه «الارسطاطاليين» حيث كانوا يجتمعون فى «شلسيه» عام ١٨٨١ .

وتعددت بهم الاجتماعات فقرروا . أن يقوموا بعمل حاسم ، ليبدؤوا بدور الاشتراكية فى إنجلترا ، فقام ثلاثة من زملائه هم هافلوك اليس ، وويليام كلارك ، وهنرى هايد شامبيون بالمهمة خير قيام ، كما انضم معهم رامزى ماكدونلد — رئيس وزراء إنجلترا فيما بعد — .

وكان ديفدسن من تابعى فلسفة «روزمينى» وقام بترجمة نظام روزمينى الفلسفى من الايطالية . وكانت فلسفته أن تقوم الحياة العملية على أساس فلسفى محض . عيشة بسيطة ، ونشاط مستمر ، وحياة ذهنية مشتعلة ، واشتراكية صريحة وحرية الدين .

وكانت هذه الآراء بالطبع بحمل فلسفة روزمينى مع تعديل بسيط وادراك أوسع . وكانت الحياة الجديدة التى يرغب ديفدسن فى بنائها هى حياة روحانية نشيطة حرة ، تسيطر عليها المادة ، ويكون الجوهر فيها ثانوياً .

فى اكتوبر عام ١٨٨٣ كونوا جمعية «أصدقاء الحياة الجديدة» وابتدأت الجمعية نشاطها بسلسلة طويلة من المحادثات والمناظرات فى شتى الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والاشتراكية والخلقية .

وكانت رسالتها اسعاد البشر والعمل على اراحة المعوزين ، وسد نقصهم وتتخلص فلسفتها فى تكوين مقاطعة فى أمريكا الجنوبية ، تضم خيرة رجال العالم من علماء وآدباء وفلاسفة — على غرار مدينة أفلاطون الفاضلة — يعملون جميعاً

في جو تسوده المحبة والاخاء والمودة لرفع مستوى البشرية ، وتعميم الخير وتوزيعه على انسان العالم بالعدل والمساواة . ثم تطورت الجمعية فيما بعد ، ودخلت دورا هاما ، واقترح أحد أعضائها أن تكون سياستها الجديدة مستمدة من سياسة البطل فايوس كنكتاتور فاطلق عليها اسم « الجمعية الثاقبة » وضمنت الجمعية الجديدة أهدافها في كراسة طبعتها ووزعت منها آلاف النسخ ، وعنوانها « لماذا الكثرة فقيرة » ووضعها و.ل. فيلبس ثم أعاد تنقيحها برنارد شو فيما بعد . .

وافتحب الجمعية أول كراسة لها بهذه الكلمات الخالدة .

يجب أن تنتظر للحظة الموعودة . كما فعل فايوس بصبره وجلده ، عند ما كان يحارب هانبال . ومع أن كثيرين قد ضاقوا ذرعا بتأخيره . ولكن اذا ما جاء الوقت ودقت الساعة . فعليك أن تضرب بشدة — كما فعل فايوس — والا راح انتظارك سدى . وعدت بلا فائدة !! .

استلقت هذه الكراسة نظر شو ، فقرأها بشغف زائد ومن ثم جذبته الجمعية إليها في وقت كان أحوج ما يكون فيه إلى جمعية يركز فيها نشاطه الاشتراكي . . .

فظهر فيها لأول مرة في ١٦ مايو ١٨٨٤ وبدأ سلسلة نشاطه فاخرج كراستها الثانية وملأها بتهكمه اللاذع ونقده الشديد لرجال الحكومة والرأسماليين . .

وفيها يقول « ليس للحكومة الحالية أن تسمى نفسها حكومة على الإطلاق كما انه ليس لنا أن نسمى دخان لندن جوا . . .

ويقول ايضا « إن الرأسمالية هي نتيجة حتمية لانقسام المجتمع إلى طبقات عدائية . . وما اشبهها بشية كبيرة من غير غذاء . . وغذاء كثير من غير شية . . !

وأمكن شو أن يستدرج معه في الجمعية شخصا له مكاتبة السياسية هو « سدن » وبـ فقد تصادق الاثنان وانسجما إلى درجة بعيدة . وكان سدن هذا شعلة من النشاط والذكاء الحاد ونفاذ البصيرة . .

كما اثر على زميل ثالث هو «سدى اليفر» وكان ارستقراطيا وجها . ثم على رابع هو ،، جراهام ولاس ،، صديق صباه . وكانوا يجتمعون في دورهم ثم في نادى هامبستد التاريخى . وفي الاخير كانت الزمرة «تجتمع من وقت لآخر لمناقشة التطور الاقتصادى فى أوروبا وتحليل الأناجيل المختلفة فى التجديد الاشتراكى من مور إلى ماراكس وبرودن ! . . .

وكانت الشخصية اللامعة بين هؤلاء الاعضاء جميعاً شخصية برنارد شو بيشرة البيضاء الناصعة ، ولحيته الصفراء البرتقالية اللون .. وفى يناير ١٨٨٥ خطب شو خطابه المشهور فى ،، مؤتمر التعويضات الصناعى ، موفداً من قبل الجمعية الفابية فاستهل خطابه بقوله :

« ايها السادة .. انها رغبة الرئيس الملحة أن لا تقول شيئاً يسبب آلاماً لطبقات خاصة ولكننى على وشك أن اسهب القول عن الطبقة الحديثة — طبقة اللصوص . . . واذا كان بينكم لص فأرجوه أن يعلم اننى لن أتعرض لتفسير مهنته عليكم . . . ولست بغافل عن عظيم مهارته ، وكبير مسعاه ، ولا عن منفعته للمجتمع ! . . .

كما أُرغب أن يعرف عني الرأسماليون والمساهمون اننى لا اتعمد جرح شعورهم ، كما أسبب للصوص آلاماً . . . ولكننى فقط أبين لكم أن هذه الطبقات تسبب للمجتمع اضرارا بالغة . كهذا الضرر الذى اسببه لهم . . .

وسأهم هو بقسط واقر فى اخراج مجلة الجمعية الفابية وقام بدعاية واسعة لها وصار بوقاً عاليا لها إلى سنين طويلة .

وعرض عليه عدة مرات أن يرشح نفسه للبرلمان ولكنه آثر أعماله الخارجية وقال «خير لى أن أكون قائداً للفابية، بدلاً من أن أكون مرتلاً فى البرلمان» . انتخب برنارد شو عضواً فى مجلس ادارة الجمعية الفابية فى ٢ يناير ١٨٨٥ واعيد انتخابه سنوياً حتى استقال منها فى منتصف عام ١٩١١ طائعاً مختاراً بعد ان امضى خمساً وعشرين سنة فى عمل شاق متواصل . وقد كانت خدماته جليلة فى خواها ومعناها فقد سجلت له احسن الأثر واكبره اذ ساهم بقسط واقر فى اخراج كراسياتها كما سبق القول ، وقام ايضاً بسلسلة محاضرات طويلة قيمة ، فقد طبع منها ووزع خلال اربعين سنة كاملة ما يربو على ٧٠٠٠٠ نسخة واشهر ما كتب شو ثلاث مقدمات للمحاضرات الفابية عام ١٨٩٩ ، ١٩٠٨ ، ١٩٣٠ .

العربة والنفير

كانت اجتماعات الجمعية الغاية في سنتها الأولى اجتماعات حامية تغل فيها
مراحل الملاحدة والعابانيين والفوضويين والماركسيين في شتى الموضوعات
والمسائل . وفي هذا الصخب الدائم لم تكن الاشتراكية قد حددت موقفها بعد ،
أو قام من بين هذه الشريعة من يقرر مصيرها ويعبد لها الطريق ويذر بذورها
في انحاء المملكة البريطانية . بل لقد كانوا يتخبطون كثير اخبط عشواء على غير
هدى . . وكان لابد من دعاية واسعة النطاق خارج الجمعية فن يرشحون لهذا
المنصب الخطير ؟ !

يقول شو في مقدمة كتابه « ثلاث روايات للمتصوفة » اترك لهؤلاء
الناعمي الاظافر الحياة السهلة المريحة أما العربة والنفير فهما لي من غير جدال
لقد وقع الاختيار عليه ، وحسنّا فعلوا ، فقد كان صوته يوقا عاليا صاحبها
للاشترائية في كل مكان وزمان ، لاتهدأ له نائرة ، ولا يحف له لسان ! .
واشترك معه في مهمته عدة رجال من خيرة المتعالمين في انجلترا ، وأقاموا
عدة اجتماعات خارج الجمعية كان اكثرها في نادى هامبستد التاريخي أو في دور
الاعضاء أو لجمعية الملكية الاقتصادية ..

وكانت لذة شو أن يخطب ، ويخطب طويلا في جمهور متعلم أو غير متعلم
— فهو لديه سواء — فن عام ١٨٨٣ الى عام ١٨٩٥ وهو نائب المناقشة
والمناظرة والخطابة في كل مكان وقد كان يخطب اكثر من ثلاث مرات كل يوم
احد . واكسبته هذه المناظرات والمجادلات خبرة واسعة . وارتاد جميع الاحزاب
السياسية ولكنه لم يشترك في احداها يوما ما ..

حدث في انتخابات عام ١٨٩٢ أن كان برنارد شو يخطب في قاعة مدينة
دوفر ، وفجأة هب من المستمعين رجل وصرخ قائلا « ايها الناس . . . كيف
تستمعون الى لندنى مأجور ؟ ! » ..

فصرعه شو بقوله (اني على استعداد لأن ابيع لك ربحي بخمسة جنيهات)
فارتبك الرجل فسأومه شو بأربعة ثم اخذت المساومة تهبط الى خمسة شلنات

فشلن فستة بنسات. . فاقنعت الرجل أخيرا وعرف جيدا ان شو كان هناك
بمحض رغبته فاعتذر اليه ..

كان خطيبا مصقعا يخطب الساعات الطوال ويجادل ويحاجي مع اقوى رجال
الخطابة في انجلترا . فكان يزنهم جميعاً (.. سمعت مرة احد العمال يقول لزوجته
على اثر سماعه خطابا لى اننى اعجب من رجال العلم هؤلاء . . فهم يقضون
الساعات الطويلة فى كلام متواصل . . ان هذا يجعلنى أشعر بسقم ومال . . .
والواقع أن هذا جعلنى اخجل من نفسى كثيرا ولكنى على كل حال القيت عليه
درسا قاسيا لا ينساه ..)

شو ويلز

كانت الجمعية الفأية جامعة يحج إليها رواد الادب والاشترأكة فى انجلترا كما كانت حلقة كبيرة يناقش فيها الأدباء بعضهم البعض نظريات ماركس وباركس وبروديهون وباك كيد وفرانسيس بليس . وليس أدل على قوة نشاطها ومدى ما قامت به من جهود عنيفة وما ضحت به فى سبيل نشر رسالتها أنها نشرت حتى عام ١٩٠٠ مائة كراسة هامة تناولت شتى الموضوعات الخطيرة، والرسائل الهامة التى كان لها فعل السحر فى نفوس قارئها من الانجليز والأوروبيين فى مختلف بقاع العالم .

كان ه . ج ويلز الكاتب الانجليزى الذائع الصيت أحد أعضاء هذه الجمعية . فقد انضم لها عام ١٩٠٣ تحت تأثير صديقه جورج برنارد شو وجراهام ولاس . نشأ ه . ج ويلز فى كنف أسرته الغنية فكان كما يقول شو مدلا ناعما لا يكتب الأدب الا للهواية أو التسلية فكانت ميوله نحو الجمعية فآزة خاملة إذ كان لا يحضر اجتماعاتها الا فى النادر القليل . ويقولون إن فتوره هذا كان مرجعه إلى حداثة سنه فى ذلك العهد . فقد كان يصغر أعضاءها جميعا بعشر سنوات على الأقل .

وليس معنى هذا أنه بخل على الجمعية بمجهوده الأدنى مهما كان مصدره ، أو ضن عليها بأفكاره ووجوه اصلاحه . فقد كان أكثر الناس غيرة عليها وأشد هم بأسا وقوة فى مطالابها . فقد كان فى نيته أن يقوم بحركة ثورية يقلب فيها نظم الجمعية رأسا على عقب ، ويبنى من لها جديد نظاما ثابتا كتحريكها إلى هيئة سياسية معترف بها أو بمعنى أوضح كحزب اشتراكى له مكانته ونشاطه

فتقدم فى اليوم التاسع من فبراير عام ١٩٠٦ بمذكرة طويلة لا تزال تعرف باسم مذكرة ويلز المشهورة . أو (أخطاء الجمعية الفأية) وفند فيها ما يعيبه على أعضاء الجمعية ، وذكر أنها فى حاجة إلى مال كثير وأعضاء جدد من الشباب وقد استفادت الهيئة العليا كثيرا بآراء ويلز كما دلت القرائن على ذلك . فقيام

حزب العمال مباشرة وعلى رأسه كير هارى أفسح المجال للاستراتيجية ويمكن لها ولبحوثها . بل وزاد تعداد أعضائها بنسبة ٦٥ في المائة مباشرة بعدما أعلنت آراء الكاتب والناقد الكبير .

وعقد على الأثر — أثر تقديم المذكرة — مجلس إدارة الجمعية عدة مرات بحث فيها الأعضاء مذكرة ويلز . ثم تطور النقاش السلى إلى معارك حامية بين ويلز وشو ويلاند دوبر حول وجوه الإصلاح والتجديد أدى إلى خروج ويلز من الجماعة وهو ثائر ساخط ناظم . متهم رجال الجمعية بأنهم أدعياء أغبياء ، بل ورماهم بأكثر من ذلك فقال فيهم إنهم عصابة من المحتالين المخاتلين . وهكذا أنهى صلتهم بهم ، ونفض غبار قدميه من جمعيتهم واشتراكيتهم فى إحدى ثوراته . فiaخذ بعض النقاد على ويلز فعلته هذه ، ويتهمون به بأن حملته الشعواء وجداله القاتل مع رؤساء الجمعية الفابية كان مصدرهما مطامع شخصية حاول ويلز أن يفوز بها ، فقد كان هدفه الرئيسى أن ينفرد هو بسلطة الجمعية يتربع على عرشها ويدير دفتها بنفسه فوقف له شر بالمرصاد ولم يدعه يحقق مأربه . فانبرى له هو وزمرة من زملائه ودحروه فى عالم المجادلة والمناظرة حتى اذا ما غجز أمامهم ويلز قدم استقالته ، ونشر بياناً كبيراً فى الصحف يعزو استقالته فيها إلى عدم صلاحية الجمعية الفابية التى يديرها — كما يقول — عصابة من اللصوص وقطاع الطرق .

وعلى كل فقد كان ويلز بذرة شتاق وجدت أرضاً خصبة فتمت وترعرعت فيها . فدب النزاع بين أعضاء الجمعية جميعاً فتركها ولاس أولاً وتبعه فريق من زملائه وظل قليل منهم يمدون الجمعية بمساعداتهم المالية . من حين لآخر وداوموا على دفع اشتراكها السنوى ردحاً طويلاً . أما ويلز — فيقول شو إنه حاربها سرا وجهراً ، ولم يحاول أن يدفع ملياً يعاون به الجمعية أو يعضدها لتسير نحو أهدافها على الإطلاق .

الصحفي الناقد

تأثر برنارد شو بصمويل بطر ، ويقول إنه تتلمذ على يديه . كما تأثر بوليم أرشر — ناقد الدراما المشهور و مترجم مسرحيات أبسن النرويجي — ولمس فيه أرشر عبقرية مجهولة ، ومواهب عظيمة فزكاه أكثر من مرة لدى بعض الجرائد ليعمل فيها . فكان يكتب في مجلة (بول مول) بأجر قدره جنيهان لكل ألف كلمة ثم في مجلة (سنت جيمس) كناقد كتب ، في ومجلة (العالم) كناقد فني بأجر قدره خمسة بنسات للسطر الواحد ثم في مجلة (أور كورنر) بمرتب قدره أربعون جنيها سنويا . وبلغ ما جمعه في أول سنة عمل فيها كصحفي ١١٢ جنيها . .

وفي عام ١٨٨٨ ، أنشأ الصحفي الايرلندي المشهور (ت.ب. اوكنر) جريدة مسائية سماها (ذي ستار) كان يكتب فيها شو عمودين عن الموسيقى بدخل قدره جنيهان في الاسبوع . وتهافت القراء الانجليز على مطالعة العمودين لبراعة أسلوبهما ووجاهته . وكان هذا حدثا هاما ، يطالع الانجليزى فيه نقد الموسيقى لأول مرة . .

وقضى شو مع أوكنر حوالى سنتين ثم تركه والتحق بجريدة « ذي ورلد » حيث عمل بها أربعة أعوام كاملة بمرتب خمسة جنيهات أسبوعيا كناقد للموسيقى ، وساعده ولیم أرشر فدربه على نقد الدراما ووجهه الوجهة الصحيحة وغذاه بعصارة تجاربه وأهبه لعمل جديد — ناقد للدراما بجريدة « السترداي رفيو » وفي الاسبوع الأول من يناير عام ١٨٩٥ ابتدأ شو ينقد الدراما في جريدته الجديدة بأجر قدره ستة جنيهات في الاسبوع ، فقام بنقده خير قيام واستمر بها ثلاث سنوات ونصف سنة مع (فرانك هارس) رئيس التحرير وكان صديقا حميما لهارس الذي ألف كتابا عن أوسكار وايلد فيما بعد قدمه له برنارد شو . وكان لكتاب هارس هذا ضجة كبيرة في إنجلترا ، اذ اتهمه فريق كبير من الأدباء وعلى رأسهم اللورد (الفرد دو جلاس) و (روبرت شيرارد) بالاسراف والغلو وخلق الأكاذيب والمفتريات على فقيد الأدب وايلد ، وعابوا

على شو كتابة مقدمة كتاب كله كذب وبهتان. ولكنى أن لشو أنى يعبأ لقولهم
لقد كتب المقدمة طائعا مختاراً، مساعدة منه لزوج هارس المسكينة التى لم يترك
لها زوجها شيئاً غير حقوق طبع كتابه (حياة واعترفات أوسكار وايلد)
وكتابه الاخر عن (جورج برنارد شو) ! .

وكان السير هنرى أرفنج فى ذلك الوقت الشخصية الوحيدة للامعة فى عالم المسرح
وكان مسرحه (السيوم) معبد الدراما فى المملكة كلها يجمع اليه الناس قاطبة
لمشاهدة الممثلة الموهوبة (الن ترى) ملكة المسارح فى ذلك الحين . وتردد برنارد شو
على المسرح كثيراً حيث شاهد روايات شكسبير والحقد يكاد يأكل قلبه فهو
يمقت شكسبير كما ييمقت اللحم ثم يكتشف (الن) وكان قد تعرف عليها قبل مجيئه
إلى لندن بقليل فى بحلة (أوركورنر) ثم رآها فى رواية (الوردتان) فاعجب بها
وهام بها هيما كبيرا . . وفى ذلك يقول «اكتشفت المرأة التى تصلح للدراما
الجديدة الدراما التى انتظرت ابسن ليخرجها من رحم الوقت. فاذا كان هناك ممثلان
الهمتهما الطبيعة القوية على هجر القديم واحياء الجديد من نوعه فهما بلا جدال
الن ترى وهنرى أرفنج .

تردد شو — كما قلت — على مسرح السيوم حيث كان يشاهد روايات
شكسبير ويصبر على اسنانه حنقاً لتلك المواهب الضائعة ، مواهب الن وأرفنج،
فيعمد إلى نقد الممثلة على صفحات الجرائد ومدح ارفنج . ثم اخذ يغريها
ويجذبها اليه بلباقته المعروفة. فهو فى حاجة اليها ، يريد لها مسرحياته ومسرحيات
ابسن. فيقدم لها إحدى رواياته . . « رجل القدر » ويؤكد لها ان هذه ليست
أقوى رواياته . فترى فيها « الن » الفن والابداع ، فتعرضها على ارفنج
وتلخ عليه أن يعرضها فى السيوم. ولكن ارفنج كان ما كرا حريصاً ، لا يعتقد
فى الادباء الجدد ولا فى باكورة انتاجهم. وكان رجلاً غريب الاطوار ، فيه
شدوذ ، فهو لا يعجب بأحد غير نفسه ، كان محباً لذاته غيوراً . . وازاء الحاج
(الن) وعدها ارفنج ان يعرض مسرحية شو فى الموسم القادم . وأعقبت
ذلك مناقشات عدة ومساومات كثيرة . فيشن شو الحرب على ارفنج ويتعرض
لنقده نقداً لا ذعاً فى الصحف .

ففي عام ١٨٩٧ شاهد شو رواية (اوليفيا) في مسرح اللسيوم فكتب يقول
(... لقد اخطأت التقدير في ارفنج .. وكان خيراً لنا من خمس وعشرين سنة
خلت أن نضمه هو وروايات شكسبير في كيس كبير ونلقى به في فوهة اقرب
بركان ...)

قرأ ارفنج نقد شو على صديق له والحنق يكاد يقتله ... (هذا الشو ...
سليط وقح .. لا يحمل في جعبته أى احترام لمن هم ارفع منه وأمين ...) ثم
يأمر مساعده ان يرد لشو روايته (رجل القدر) حيث أنه غير رأيه في أمر
عرضها . وتتدخل (الن) من جديد بين الرجلين وتحاول أن تحسم ما قد ينشب
بينهما من نزاع شديد .. ولكن جهود الممثلة لم تسفر عن شيء جدى . فلم تعرض
الرواية مطلقاً . فتتوتر العلاقات من جديد بين ارفنج وشو الى حد دعا
الاخير إلى نقده وهجائه نقدا لاذعاً ومهاجمة مهاجمة عنيفة مؤهلة في كل مناسبة.
مات السير هنرى ارفنج في اكتوبر ١٩٠٥ فقامت بعد موته حركتان
حركة سبها شو إذ كتب الى صحيفة المانية يقول (أرفنج! .. كان رجلاً
معجباً بنفسه ، شخصية خيالية في مكان خيالي ، وأخيراً عاش في حلم ...)
وترجمت العبارات الثلاث هذه الى الانجليزية وظهرت في جرائد لندن كالألى
(يقول شوان أن ارفنج غر ابله ، غير مثقف ، عاش في حلم عظمته
وخيلاته ...)

وسببت هذه الترجمة المحرفة بلبلة رأى العام ، والمتعصبين لارفنج . كما
سببت لشو بعض المتاعب . فأرسل للصحف عباراته الأصلية ، ولكنها
رفضت نشرها بالاجماع ...

والحركة الثانية أن اثنين من رجال الدين هما الجنرال يوت ووالدكتور
كليفورد ، تقدما إلى السلطات باقتراح دفن جثمان السير ارفنج في دير
وستمنستر .

فعارضت أرملته الفكرة وطلبت من شو مساعدتها في ابداء رأيها ولكن
لسوء حظها كان شو من أنصار الرأى الأول . لأنه يرى في ذلك تنويها لجهود
أرفنج المسرحية ، وكتب يستحث الأرملة على القبول .

وبعد أيام قلائل وصلت شو دعوة لحضور الجناز من جورج الكسندر —
المشرف على أعمال الجناز — وكم صعق جورج عند ما ردت له البطاقة بالتالى
مكتوبا عليها :

أرد الدعوة لجناز أرفنج ، فالأدب يأسف لأنه ليس له مكان فى موت
أرفنج ، كما لم يكن له مكان فى حياته . وقد يحدث أن يتقلب أرفنج فى كفيه إذا
حضرت . تماما ما كما يتقلب شكسبير فى كفيه اذا عاد أرفنج !!! . . .

الدراما

لمحة تاريخية:

في القرن الثاني عشر ظهر لون جديد في الأدب الانجليزي ، ونزعة نحو الخيال السامى بظهور نوع من المسرحيات البدائية اطلق عليها حينذاك «مسرحيات المعجزات» أو «مسرحيات الغموض» وتناولت هذه المسرحيات حياة بعض القديسين وسيرهم ، كما تعرضت لكثير من قصص الكتب المقدسة وبأشرا إنتاجها واخراجها الرهبان والقساوسة الذين عمدوا إلى شرح اصول اللاهوت وتقريب وتبسيط الدين إلى نفوس الشعب بواسطتها ..

وتطورت هذه المسرحيات تدريجيا ، فلم تعد تظهر في نزعة دينية بحتة كما كانت عليه بادىء الأمر بل رأيناها تعالج نواحي الفضيلة والرذيلة ، وتعرض لحياة المجتمع وتعمل على نقده وتهذيبه ..

وكانت نتيجة هذا التطور أن ظهرت «الكوميديا» وإن كان أول ما كتب منها في العصر الازليايثى ، ثم تلتها «المأساة» والفرق بين الاثنتين ملحوظ فالأولى تعمل على ترقية الفكاهة ، وتحبب الجمهور إلى النكتة .. بينما تعمل الثانية على تقوية وتنمية الشعور ، باستدرار عطف الجمهور ، أو هز أعصابه بحوادث رهيبه ومأس مفعجة ...

وانقطع لكتابة هذه الروايات باختلاف أنواعها رجال الجامعات وبعض الممثلين المشهورين . فأتبعوا إنتاجاً فريداً . وكانوا يكتبون رواياتهم بأشعار مسجوعة ، ثم ظهر «مارلو» وهو أول من تحرر من استخدام الشعر المسجوع ، واستخدم بدله الشعر المنثور فقرب بين أدب اللغة وأدب العامة . وبالرغم من أن «مارلو» هذا مات وهو في الثلاثين من عمره إلا أنه ترك وراءه قصيدة عصماء ودررة فريدة في الأدب الانجليزي هي «هيرو وليندر» كما ترك وراءه أشهر رواياته «ادارد الثاني» التي نهل منها شكسبير مبادئ الدراما ، واتخذ «مارلو» مثله الأعلى وسار على نهجه حتى وصل إلى قمة المجد والشهرة ...

وانتج شكسبير أكثر من ثلاثين رواية، كلها درر نادرة في فن الدراما، في خلال ثلاثين سنة تقريباً. «فهاملت» مثلاً هي أقوى رواياته التراجيدية، كما أن «تاجر فينبا» هي أروع كوميدياته، و«العاصفة» أروع رومانطيكياته... ويكفي أن أقول إن الدراما في عهده ارتفعت إلى أعلى ذراها...

وانتهى العصر الإليزابيثي فشمّل الخنول نواحي الدراما، فلم تعد تعالج غير الموضوعات الهزلية، وهجرت معالجة الحياة الاجتماعية والطبيعة البشرية.. وتدهورت معها اللغة بعض الشيء، تخشنت الفاظها، وغالطت كلماتها...

وكان «بن جونسون» على رأس الفريق الذي تزعم هذا النوع الدرامي الجديد — وإن كان التدهور غير ملحوظ في رواياته — لأنها كانت أرقى نوعاً وأبقى أثراً من مثيلاتها... وكتب بن جونسون رواياته للناسبات والأعياد القومية، وأدخل فيها الشخصيات الرمزية، كما حافظ على أن تكون مناظرها بهية شبيهة...

وجاء دور «ملتن» فيما بعد فساهم بقسط أوفر في تهذيب الرواية وتنقيحها.. كما ظهر دراميون آخرون أخرجوا روايات تضارع روايات شكسبير، أمثال بومنت، وفلتشر، ووبستر، ومسنجر، وغيرهم..

وإذا كانت الدراما — في العصر الإليزابيثي الأول — تعالج مشاكل المجتمع، رأيناها في عهد الإصلاح — أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر — تعالج الآراء السياسية والمعتقدات والمذاهب المعاصرة...

وانتهت فترة الخنول، وجاء العصر الأوغسطيني — القرن الثامن عشر — فبدأت الدراما تنشط من جديد. فزرى الردة إلى الكوميديا وإلى تأليف الروايات التي تعالج المشاكل الداخلية كروايات جولدسميث مثلاً...

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، أي في عصر الثورة، لم تجد كل نواحي الأدب، فظهرت للناس آيات ليتون وثاكري وروائع دكنز تهز العصر هزاً، وتمخض عن سعة الإدراك وآفاق الفكر التي لا تقهر...

واستمرت الدراما تتطور في سبعة أجيال كاملة سائرة نحو الكمال، حتى تم نموها. وخرجت كاملة الحلقة، مهذبة التكوين، بفضل ذلك الدرامي الكبير جورج برنارد شو...

شو والدراما وشكسبير

يثير شكسبير في احدى رواياته شخصية مجرم أثيم وقاتل زنيم، لا يعرف للرحمة بابا ولا للشفقة طريقا، يتخبط في وهاد الآفك والبهتان وينحدر إلى أغوار الفساد والتهلكة لا يتورع ولا يرتدع. خشن المعاملة، قاسى الطبع غليظ القلب. يلتف حوله شرذمة من قرماء السوء وأهل الشر، فيسيطر عليهم بقوته وجفوته وكبريائه وعجرفته ..

يفكر هذا المجرم فجأة في اسباب وجوده وكيانه، ويسرف ويغالى في معرفة جوهر الحياة، ويبدل في ذلك جهدا كبيرا ... فيديه تفكيره آخر الأمر أن الحياة اسراف ومضيعة، ولا معنى لها مطلقا ... فيصبح في غمرة من مغامرات الهياج والغيط ... « خارجا .. خارجا شمة سريعة الزوال !! »

فيأخذ شو قول المجرم هذا كحجة دامغة على رأى شكسبير في الحياة ويجب معلقا على انفعال « مكبث » بقوله المشهور .. أريد أن أكون مخلدا بعد أن أموت .. لأن عملي الجديد يجعلنى أعيش إلى اجيال .. أتبهج بالحياة لغايتها الثميلة .. فالحياة ليست قنديلا قصير الأجل في نظرى .. انها مشعل مضيء أمسكت به في الحال، وأريده أن يزداد توهجا واشتعالا قبل أن أسليه للاجيال المقبلة !!

ولكن لماذا يأخذ شو على شكسبير قول مكبث : خارجا..خارجا قنديل قصير الأجل !! .. وهو نفسه يقع في مثل هذه التعبيرات في رواياته .. فيدافع عن نفسه ويحجب « يقول عنى بعض النقاد انى أنقض نفسى بنفسى عندما تناقض شخصيات رواياتى بعضها بعضا .. فهم يخلطون بين مستوى الشخصيات ومستواى ! .. »

وهو فى حملته على شكسبير يهتمه بقصر التفكير وقوة الملاحظة. وانه ليس دراميا المعيا، لأن مواهب الدرامى تظهر فى تكييفه للتجربة واخراجها

واضحة مفهومة للناس . . ويصر على أن شكسبير كان يعبر عن نفس آرائه على لسان شخصيات رواياته. ويرفض شو أن يعترف بأن شخصياته هو تعبر عن كامن آرائه . ويعترض على شكسبير عدم مقدرة على الكتابة (كبنيان) وبمعنى أوضح أنه صور الحياة كما هي ، وليس كما ارادها بنيان ، ويرنارد شو أن تكون : العالم كان عند بنيان مخزفا مربعا ، بعكس ما كان عند شكسبير وهو عند الأول قوة مخيلة وعند الثاني مجرد ملاحظة !

ويهاجم رنارد شو شكسبير لسببين : اولهما — أنه اى شو — يريد أن يجذب الانظار إليه بشئ الطرق . وثانيهما : انه يريد أن ينوه عن عبقرية أبسن ويرفعه إلى مصاف العباقرة . فكتابه عن (جوهر الأبنية) اعتراف كامل بحمليه نحو أستاذه أبسن . يمزج في كتابه فلسفة أبسن وزبدة آرائه بآرائه الشخصية ومعتقداته وانسجامه معه تمام الانسجام . فهو يحطم صنم شكسبير ويتخذ أبسن مثله الاعلى ورائده الأول . والعجيب انه منذ أن صارع شو من أجل أبسن اكتشف الجيل الجديد شخصية شو وهجر أبسن !!

وبرنارد شو لا يؤمن مطلقا بالدراميين المعاصرين فدحه لهزى ارث جونس لم يأت لكونه صديقا حميما له بل لأن جونس كان يبذل قصارى جهده لمعالجة مشا كل الجيل الجديد ونقد أحواله ويبذل في ذلك جهدا جباراً . ويهاجم (آرثر بنزو) الذى مدحه النقد كثيرا: عجبى من قوم يمدحون بنزو على اعماله لا تستحق المديح !!

ويرهبه ويخاف جانبه بعض الدراميين الحاليين كما لا يرتاح له بعض الممثلين والممثلات . بل لقد هددته بمثلة امريكية مرة بالقتل إن هو حاول أن يكتب عنها ما يضير سمعتها بسوء . .

والدرامى الوحيد الذى أعجب به رنارد شو وكتب عنه كثيرا هو أوسكار وايلد فقد امتدحه شو أكثر من مرة وتوثقت بينهما أواصر الصداقة . وعلى أثر إخراج وايلد كتابه (الزوج المثالى) كتب شو فى الأسبوع الأول من يناير ١٨٩٥ يقول فى السترداى رفيو عن الكتاب (إن رواية أوسكار وايلد لموضوع خطير وحدث يجب أن نعمل له حساب . فالكاتب يمتلك ولا غرو ، قوة عجيبة تظهر لنا انتقاد كآغيباء أدعياء . لأن نكاته المستمالة تجعلهم يضحكون بغضب كالطفل

الذي يقلد صرخات الغضب سرور وانسراح .. وأعترف بأنني لا يمكنني أن أجلس وأكتب رواية كرواية أوسكار وايلد عن رغبة . فالحقيقة أن رواياته بالرغم من كونها مفيدة ، تظل فريدة تحت هذه الاعتبارات ، لأنها تلمس إنكار الذات . وفي نظري أن أوسكار وايلد هو كاتب المسرحيات الناجح الوحيد . فهو يلعب بكل شيء . بالنكتة ، بالفلسفة ، بالدراما ، بالخيالة ، وبالنظارة وأخيراً بالمسرح كله

وفي عام ١٨٩٧ نقد شو (وليام هينان) وكتب يقول عنه: أيمن أن يعالج هينان قلبه كما عالج ما كس بير يوم أو أوسكار وايلد ؛ بالطبع لا .. حتى ولو لففناه في ورق من نشاف وغليناها في جبر لمدة أسبوع لنجعل أدبه ليناً غضاً لما أفلحت محاولتنا ...

وكانت أولى آيات نقده «غادة الكاميليا» في السترداي ريفو . ويعتبر هذا النقد درة فريدة في تاريخ النقد الانجليزي . وحسبك أن تقرأ آراء أشهر الكتاب فيه : يقول جيمس اجينت : لقد جعلني شو اتطلع للامام لكي أكون ناقداً للدراما في يوم ما ... ويقول فيه ما كس بير يوم : إن شو يخالف كل نقاد الدراما . فهو ناقد بارع حقاً . فلم أمل مطالعة نقده في يوم من الأيام .. فقد كان حقاً عند ذروة مجده عند كتابة نقده ...

وفي أواخر عام ١٨٩٧ كانت دراسات شو للدراما قد استكملت حلقاتها فرأى أن ينصرف للتأليف وينقطع عن النقد والصحافة . وساعده على ذلك بيع فرانك هارس السترداي ريفو . تفرج شو وحل محله ما كس بير يوم فكتب مقالاً شائقاً يودع فيه الفن والقراء ، ويقول فيه : للعشر سنوات الأخيرة وأنا معروف بضحكاهي وألمعيتي وجدي .. ولقد عرف عن ذلك الرأي العام الانجليزي وليست هناك قوة في السماء أو في الأرض يمكنها أن تغير منه أو تحط من قدره وقد أسخف القبول وأهذى أحياناً وقد أكون وقحا سليط اللسان ولكن شهرتي لن تشكو سروراً مطلقاً لأنها مبنية على أساس حكمة وفطنة ، كشهرة شكسبير مبنية على قواعد منيعة . لن تتداعى في يوم ما ...

ولكن ... ما أعجب القوم وما أعجب حالهم ! فاذا مرض رجل عادي

سارع الناس إلى طمأنينته وأكدوا له أنه سيشفى سريعا إذا اتبع نصيحهم ..
وإذا مرض نباتى أكد له الناس إنه سيموت قريبا .. وتضرعوا إليه في ذلة أن
يتناول بعض الطعام الدسم ليساعده على مد أجله ولو ليلة واحدة . وقصوا عليه
قصصا من هذا النوع ينتهى بتماس مفاجئة . وعندما يحاول المريض أن يسألهم
عما إذا كانت الضحايا من آكلى اللحم — أشاروا عليه أن لا يتكلم أو ينبس
ببنت شفة لأن عدم كلامه خير له وأجدى ..

ففسير على إبن أن أنسى الأربع سنوات التى قضيتها فى نقدى للدراما ...
لقد تكبلت أنواع العذاب وألوانه .. واقسمت أخيرا أن لا أعود إليها .. ولن
أخطو خشبة المسرح مطلقا ... فالأمر قد انتهى وأصبح نسيا منسيا !! ...



« إن شكسبير أطول مني بكثير ، لكنني أقف على كتفيه !!
فعلى كتفي من وقف هو ؟ !! »

برنارد شو

رأيه في شكسبير

«من المسلى أن تقارن آداب شكسبير القديمة بآداب أبسن وآداب الجديدة.. وبالطبع هناك بعض التماثل لأن الطبيعة البشرية تظل كثيرا كما هي ، وسيظل الدراميون كما هم .. ولكن هناك فرق شاسع .. فلم يكن لشكسبير عقيدة ما أو برنامج معين ، فكل تصميماته بسيطة غير أن عبقريته عملت على ايجادتها .. ولكنك إذا وازنت بين خلاصة العباقرة امثال شلر وفاجنر وأبسن وجدنتي مجددا اجتماعيا من الطراز الاول في كل وقت

لقد مات شكسبير قبل أوانه ! ..

وهل لك أن تصدق انني عشت ثلاثين سنة أكثر منه، وأن مسرحياتي كتبت في سن مبكرة لم يدركها هو؟

وأظنك تعرف أن العباقرة وكبار المسرحيين الذين عمروا طويلا كانت عندهم مظاهر صيدانية خاصة وكانوا ، يخضعون لحالة نسميا الدرجة الثالثة اى النضوج الذهني فاذا تكلمنا عن بهتوفن نقول انه الف السمفونية التاسعة في سن كان فيها شكسبير في عداد الموتي واذا ذكرنا مواهب هاندل العظيم وجدناه يكبر شكسبير بست سنوات عند مماته — ومع اني ما زلت انصت إلى موسيقاه طويلا ولكني لا اعتقد في لحن من الحانه — وأبسن ايضا كان اصغر من شكسبير عشر سنوات عندما اخرج كتابه «سيد البنائين» وكتبت أنا بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة ميثو زيلو وسانت جون وميثو زيلو هذا كان بطريقا يقولون انه عاش ٩٦٩ سنة ..

فكل هذه المؤلفات هي مؤلفات الحالة الثالثة

إذن فكلنا وقوف على كتفيه ..

فعلى كتفي من وقف هو؟!

اعلى كتفي مارلو وشابمان ، أحسن مناظريه ؟ لاهذا ولا ذاك

فلقد كانا خيرا منه واجدى اذا قارناهما به !!

شكسبير المسئول الوحيد عن انهيار الدراما ثلاثئة سنة بعد موته حتى جاء وقى!

ولهذا قارنته بالعاقلة امثال هاندل وبيتهوفن . لانه لم يكن هناك عمالقة في المسرح الانجليزى أقارنه بهم ..
ان مسرحياته كانت مكرهه وقاتله ومشوهة حتى بعث فيها هارلى جرانفيل باركر ، الحياة واخرجها الى الدنيا على المسرح ! ...
وحينما يبدى رأيه فى شكسبير لا يتهمه بالتشاؤم مطلقا ...
وبرنارد شو من المتفائلين الذين يعتقدون بجوهر الحياة ويقول ..
« الرجل المتشاؤم لا فائدة منه ، فهو فاشل لا محالة فى حياته .. وان حيوانا ينتفع به لاجدى على الحياة من مثل هؤلاء المتشاؤمين »
ويعتقد شو ان العالم حديقة حيوان يملأ ارجاءها بيوت القردة واقفاص النمر .. ويقول عن الرجل العبقري — أو بالأحرى عن نفسه — انه محكوم عليه أن يعيش وسط الوحوش الضارية ، وبين هذه الحيوانات المتباينة المتفاوتة المنفعة والقدرة على الافتراس ..
وعليه هو أن يشهد هذا التفاوت فى القدرة والطاقة ويروض هذه الحيوانات ويلاحظها بدقة وكياسة حتى يتوكل على اسرارها ..
وهذا الرأى طبعاً لم يعجب معاصريه من الكتاب والادباء الذين يعتقدون فى انفسهم خيراً مما يعتقدوه فيهم ! !

شو والمرأة

« حبي المثالي هو الحب عن طريق البريد » (برناردشو)
سأل سيدسيل تشسترون ، برنارد شو ، عما اذا كان حقاً طاهراً ، متسامياً بقواه الجنسية ؟ فأجابه شو : الواقع أن الشهرة الجنسية في نظري وحشية ، وغير لائقة بالانسان ولا أستطيع أن أفهم كيف يقابل الرجل المحترم زوجه نهارة بعد أن يقضيا الليل معا ! .

وقعت في حباته عدة نسوة أذكر منهن الأرملة جيني باترسون وكانت تلميذة قديمة لأمه تعلت منها الموسيقى والغناء . وكان له معها دور كبير . ثم ظهرت في حياته أيضاً الابنة الصغرى لكارل ماركس لينور إذ تعارف عليها في المتحف البريطاني حيث كانا يتناقشان كثيراً في الاشتراكية ، ولكن الصداقة لم تتطور إلى شيء آخر ، إذ أحببت لينور رجلاً آخر وتزوجت منه ومع «الن تری» الممثلة الانجليزية المشهورة هام شو بحبها زمناً طويلاً ، وكان يقضي ساعات غرامه وحبه في كتابة خطاب طويل يثبها فيه لواعج هيامه ، ودأب على مراسلتها سنوات عديدة ، وكثيراً ما كان يستشيرها عن حالات وظروف خاصة به ، فهو يكتب لها من وقت لآخر عن حبه ، يس باين التي تروج منها — ويستفسرها رأيها فيها ، وسيقف القارئ على بعض مراسلاتها فيما بعد .

وشو يدافع عن المرأة ويساويها بالرجل ، ويعترف بحقوقها في الحياة فمعظم شخصيات رواياته من النساء اللاتي عرفن واندج معهن ودرسن عن كسب ..

تردد شو كثيراً على عائلة مورس — أحد أعضاء الاتحاد القدماء — وأصبح صديقاً لابنته — جنى وماى — وأغرم بالأخيرة وأعجب بحبها الرائق وبسعة إدراكها وبتعصبها للاشتراكية ونضالها في سبيل عقيدتها ولكن سبقه إلى غزو قلب ماى اشتراكي أديب — هنرى هاليداي سبارلنج — الذي

تزوجها فيما بعد .

واستمرت علاقته بالزوجين إلى سنين طويلة حتى كثر القيل والقال ،
وتطأيرت الاشاعات هنا وهناك عن صداقته مع ماى . فتدارك الامر فى الوقت
المناسب ، ومن ثم فترت الصداقة بينه وبين ماى تدريجيا . وحدث بعد ذلك أن
الزوجين لم يهتآ بالسعادة الزوجية طويلا — بعد انفصال شو عنهما — لما
تخلل حياتهما من خلل ومشاكل . .



برنارد شو امام المثال

لون من حياته وشخصيته

يظن كثير من الناس أن جورج برنارد شو من المعجبين بنفسه ! ولكن الواقع أن كثيرا من الناس لا يعرفون شيئا عن حياة ذلك الرجل العظيم أو فيما وراء ذلك الادراك الذهني المتوقد .

ماتت أمه في الثانية والثمانين عام ١٩١٣ بعد أن شهدت مجد ابنها، وعاشت في كنفه عشر سنوات في رغد وبحبوحة عيش . فحزن عليها شو كثيرا ، وعشت معها إلى الثانية والأربعين ونحن في وئام وسلام . ولكن موتها جعلني أفكر في صلتى بها وقد خرجت من تفكيري آخر الأمر بأني عرفت القليل عنها .!!
روح فكهة دمة ، وشخصية قوية ألمعية ، وعبقرية لا ينكرها عليه خصم أو نصير . .

رجل لا يفتر وجهه الا عن ابتسامة بريئة ، يحدثك في دعاة ومرح ، حتى في هذه السن المتأخرة

ذكاء متوقد ، وسرعة خاطر ، ونباهة ذكر ، وقلب طيب ، وتهكم لاذع ، ومقدرة ولباقة على الحديث بكافة أنواعه

وهو فوق ذلك محب للاستطلاع والبحث والاستقصاء وراء الاشياء . .
فيزور المعامل الطبية من وقت لآخر ، ويلذ له أن يرى الباكثيريا تحت الميكروسكوب وله ولع كبير بالميكانيكا واللاسلكي والتصوير .

لما بلغ الستين — من عمره الطويل — اشترى دراجة بخارية ، وحتى إلى ما بعد الثمانين تجد أن رياضته المحببة إلى نفسه هي السباحة وقيادة السيارات
ففي « آوت » كانت رياضته الدراجة ، وفي لندن الاستحمام صيفا وشتاء .
« كاي رلندي » ذكره أن أغتسل ولكن لا يمكنني أن أعيش من غير غطسة منبهة في الماء البارد .

واذا أعياه التعب وأنهكه العمل المتواصل انطلق إلى غرفة حالكة الظلام واستلقى على ظهره مرخيا عضلاته لمدة ساعة أو أكثر . .

وهو في حالته الطبيعية دائم الحركة ، لا يظل دقيقة على حال واحد ..
لا يرتدى إلا الخفيف من الملابس ، وقد تدهش إذ تعرف أنه حله تعيش
من ست سنوات إلى ست عشرة سنة !!

وقد يظهر للناس في ملابسه الخفيفة الفضفاضة كبوهيمي ولكنه يكره
البوهيمين ويمقتهم مقّا شديداً لأنه يكره القوضى والقدارة وعدم المسؤولية
وفي أوقات استجمامه تراه يقضى معظم ساعات الصباح في غرفة تصويره ..
وللموسيقى عنده قسط كبير من العناية فهو يفضل «بيتهوفن» عن
الموسيقين الآخرين .. (إن بيتهوفن هو الرجل الوحيد الذي عرف حقائق
الحياة ، وأخرجها للعالم واضحة كاملة ..)

عرض عليه الرياضي المشهور (ايحون ساندو) أن يقوم بتدريبه
لكي يصلح من امر صحته فاجابه شر بقوله «انك لم تفهم قضيتي بعد يا صديقي
فقد رأيتك تحمل على صدرك القوى عشرين رجلاً ويأتون ضخم وزوجين من الفيلة
ولم اشك انك إن دربتني فسوف تدربني على حمل الثقيل من الأعباء .. وليست
النظرية أن تكس على صدرك أو صدري رجلاً او فيلة بل أن تلقى بهذه
الاثقال عن صدورنا يا صاح !!

ومع ذلك كله فقد مات «ساندو» قبل اوانه محققاً نبوءة شو في الرجل
ورأيه فيه . ويميل شو إلى الغناء على طريقة استاذة القديم فاند اليرلي ولا
يعنى إلا قبل ذهابه إلى النوم .. ولا يعنى أمام أحد سوى أمه وزوجه ..
كانوا في صغره يطلقون عليه اسم جوج وكان هو يكره منهم هذا النداء
وهذا الاسم فلا يلتفت لهم أو يجيب من يناد به .. «لقد فشلت محاولتهم
عندما كانوا ينادوني باسم جوج ولما ملوا وسئموا نادوني باسم شو وهنا
فقط اجبت نداءهم .»

وجورج برنارد شو من الذين يعبدون النظام . فواعيد غذائه محدودة
جداً ، لا يحيد عنها مطلقاً ، مهما كلفه ذلك من أمر
ويهتم عليه بعض الكتاب الانجليز بقولهم . : وقد يكون من مسيات
حفظه لافاق الغذاء ونظامه الدقيق أنه لم يرزق أولاداً ..
وبالرغم من أن الاطفال تولع به ولعاً كبيراً .. فهو لا يعدم بهم مطلقاً .

وحياته الخاصة لا تخلو من حوادث ذات أهمية، وفيها الكثير من الدعابة والسخرية . . : سرق من رجل خمسمائة جنيه بحيلة عجيبة !! افقد تبغني الماكر واتهز فرصة ذهبية اختلس فيها الجنهات . . ولست احسده على فعلته أو نبوغه . فالرجل عبقرى ولو لم يكن عبقرى لما اختلس من برنارد شو مثل هذا المبلغ الضخم !!

كان المفروض أن أبلغ الأمر إلى البوليس . . ولكنني تساءلت لماذا ؟ . . فاجابوني لكن يعاقب اللص ردعاً للآخرين فقلت : لقد كنتم تعاقبون الناس لسرقاتهم في المائة عام الأخيرة . . فإذا كانت النتيجة ؟ خمسمائة جنيه أخرى ذهبت إلى عالم الغيب !! ماذا تكون النتيجة اذا اعتقلتم اللص وأودعتموه غياهب السجون لسنوات ثم اخرجتموه لليجتمع من جديد ؟

عالة جديدة ، ولا شك ، على المجتمع عامة وعلى جورج برنارد شو خاصة . . ولنفرض أن قام البوليس بمطاردة الرجل هنا وهناك فهو داهية ، أخاف على البوليس منه ، فتصور كم من الوقت يضيع في سبيل خمسمائة جنيه يمكنني أن اكسبها في وقت قصير جداً . . وقد لا تأتي نتيجة المطاردة بشمرة ما . . واني ارجو مخلصاً لهذا اللص كل سعادة وهناك فهو ولا شك جدير بتقديرى واحترامى . . وأدعوه إلى سرقتي من جديد ، اذا امكنه ذلك . .

وفي الوقت نفسه يسرني كثيراً أن احذر لصوصنا الاذكياء ، وأعدهم باعفائهم من البوليس اذا سرقوني من جديد !!

وحدث بعد ذلك مباشرة أن حضر عندنا ضيف — غير مدعو — في حفلة غداء بمنزلى ، وبدل أن يسرق معطفي ، اخذ أحسن معطف موجود وكان لأحد الضيوف الاعزاء . . ومن حسن الحظ أن كان الضيف مؤمناً على نفسه من السرقات . . فاشترت له شركة التأمين معطفاً جديداً من نوع جيد . .

وقام وقعد البوليس بحثاً وراء السارق . . ولكن ذهبت جهوده ادراج الرياح وهذا ما توقعته بالذات !!

وبرنارد شومتكم بارع وخطيب مصقع ويعد من احسن خطباء عصره ولم لا وهو صاحب الاسلوب الرائق المعروف ، والنكتة المستعذية ، وفي ميدان المناظرة كان دائماً صاحب الجولة الأولى . . .

وبالرغم من انبراء هيلير بلوك ، وج. تشسترتون ، وهما من ادباء الانجليز المعروفين، له في ميدان المناظرة كان كثيراً ما يتغلب عليهم ، وقد سجلت معظم هذه المناظرات الحادة على صفحات الجرائد معترفة بفوز شو . .

وقد كتب تشسترتون كتاباً عن شو . ويظهر أن الكتاب لم يحز إعجاب شو فقال عنه (إن كتاب تشسترتون جيد الاسلوب ولكنه لا يختص في كثيراً لأن تشسترتون لم يقرأ مسرحياتي أو يستوعبها الاستيعاب الجيد . . وهذا دأبه . .)

وكانت حياته الزوجية مثالية جداً، فقد حباه الله زوجة مباركة. فكانت دائبة الاعتناء بصحته . ويقول تشسترتون (فزواجه من مس بيان حدث جليل في تاريخ حياة برنارد شو فهو زوج هادىء ناجح وهى زوجة مثالية كانت اكبر عامل لنجاحه ...) وهو كشكسبير يعرف القليل من اللاتينية واليونانية ويعرف الفرنسية ، لكنه لا يجيد التكلم بها .

ولعل اللغة الوحيدة التى يجيدها ويتكلمها بطلاقة هى « الايرلندية » العميمة ذات الثبرات القوية الحساسة !!!

واسلوب برنارد شو رائع خلاب . مليء بالآيات والروائع الأدبية الطريفة وهو دائرة معارف ، لا يمل من حديث أو نقاش ، ويكفيك أن تبدأ الحديث أو السؤال عن موضوع ما وترك له الاندفاع فى الاجابة على السؤال كأنه كتاب مفتوح . .

يجيبك بلهجة الايرلندية المحبوبة . وصوته الجمهورى ، وضحوكه الكثير ، وعادته أن يفرك يديه أثناء الحديث ، ويلقى بذراعيه فى حركات منظمة ليؤكد أو يعبرك عن رأى أو فكرة ما . .

وهو فوق ذلك كله متواضع جداً فى حديثه معك . . يحدث بارع كسقراط فهو يتحدث ويتحدث كثيراً حتى يصل إلى فكرة معينة ، وله المقدرة الكافية على الاقتناع . .

وكثيراً ما ينصح المتحدث معه فى أمور الحياة ، وكثيراً ما يجيب على الخطابات التى تصله ويجيب عنها بنفسه

ومع انه كثيراً ما يهزأ من العلم النظرى ولكن ميوله الطبيعية تثبت لنا

شغفه به . فهو مغرم بالتصوير ، كما اسلفت القول ، بل وأكثر الناس غراما
بأن يصور ويقول إن التصوير الفوتوغرافى هو أدق بكثير من الرسم اليدوى ،
ولكنه كثيرا ما يقتنعك بأن صورته لا تشبه بعضها البعض فهناك اختلاف
دقيق وهناك شك كبير . «فهى إذن لا تشبهنى على الإطلاق !»
ويقول عنه النقاد بأنه أكثر الناس امتداحا لنفسه . وأحبهم ظهورا
وأكثرهم إنانية .

وفى هذا بعض الشيء من المغالاة وبعض الشيء من الواقع .
ويظهر أنهم حكموا عليه عندما قال وأكره شكسبير وأحمل عليه حملاتى
الشعواء حبا منى ورغبة صادقة فى الظهور !»

قصة حبه وزواجه

في صيف عام ١٨٩٦ ضم جناح من كنيسة القديس اندرو بسنراتفورد نخبة من قادة الجمعية الفابية في ذلك الاقليم النضر الزاهي الخضرة .. وكان من بين هذه النخبة أعلام الاشتراكية في إنجلترا من بينهم مسز وب المضيفة، وتشارلس ترفيلان، وجراهام ولاس، وشارلوت بركنز، ورنارد شو، وشارلوت باين تاونشتد .. حيث السمر والحديث حول الاشتراكية، ثم التنزه في ذلك الاقليم الجميل ..

وقع رنارد شو في حب شارلوت باين تاونشتد اثناء اقامته هناك. وكانت شارلوت ايرلندية من ناحية الاب، غنية واسعة الثراء .. اشتراكية العقيدة ساهمت بقسط وافر في حركات الاشتراكية في إنجلترا، كما التحقت بالجمعية الفابية كعضوة لها نشاطها المرموق ..

غزت شارلوت قلب شو وغزا هو قلبها .. وتبادلت بينهما العاطفة وقويت الصلات .. إذ كان شو في هذه الاثناء يكتب رواية « لا يمكن ان تتكهن » وكانت عادته ان كتب فصلا واحدا أن يقرأه على الجماعة في المساء، وكثيرا ما كان يخص «مس تاونشتد» بحديث خاص اثناء تنزهها أو ركوبهما الدراجات وتدرج بهما الحديث شيئا فشيئا الى غرام قوى جارف ..

وانتهز شو هذه الفرصة فكتب إلى «الن تري» الممثلة الانجليزية الذائعة الصيت يداعبها بقوله « هل اتزوج المليونيرة الايرلندية ؟. انها تعتقد في الحرية وليس في الزواج .. ولكنني سأقنعها !! وهل يمكنك ان تغفري لي يا حبيبة الصبا ؟ فانا مغرم بها وهي مغرمة بي الى حد الجنون !! »

وفي رسالة اخرى كتب لها يقول « انها حقيقة لا تحبني ! انها امرأة حاذقة ماهرة !! فهي تعرف اهمية استقلالها السلي وخصوصا بعد موت أمها وزواج اختها، فهي لا تريد ان تقيد نفسها من جديد بالزواج .. وهي شديدة الحساسية قرأت لها جوهر الابسنية فوجدت فيه انجيلها وخلاصها وحريتها ..

وأخيرا واجهت المؤلف الذى ، كما تعرفين ، يمكن ان يجعل نفسه معتدل الحديث لطيفه ، وهو ايضا رفيع لها فى نزاهتها وخلواتها . وخصوصا فى منزل القرية . وهى مغرمة بى ، كما أكدت لك من قبل ، صادقة فى حبها ، تولينى عطفها وحنانها فهى وحيى والهامى . فما قولك يا صاحبة الحكمة وربة الفطنة ١١٤ ؟

فاجابته ترى : لم اكن فى يوم ما حاذقة ماهرة حكيمة فطنة كما تدعى . . . وقد تكون مخطنًا اذا تزوجت من امرأة من غير ان تتأكد أنها تحبك . . . وقد لا تحب المرأة قبل زواجها ، وقد تحب بعد ذلك ! إذا لم تحب قبل ذلك مطلقا . .

لم يصمم شو على الزواج لما قابله من صعوبات جمة من الناحية المالية فقد كان قصير اليد ، يعيش على ستة جنيهات أسبوعيا . حتى أنه لم يطمئن إلى ما درته عليه رواياته من أموال طائلة . لاعتقاده بأن ما لديه من مال قد يحبط مساعاه إذا هو عزم على الزواج . فللزواج مستلزمات كثيرة وخصوصا إذا كانت الزوجة من أصحاب الجاه والسلطان !

ومن طريف ما يذكر وهو فى ربكته هذه أن أرسلت له «الن ترى» تقترح عليه أن يريها صديقه الجديدة فى زيارة قصيرة بعد مشاهدتهما إحدى المسرحيات ، فأجابها بأسلوبه التهكمى اللاذع يقول «الصعوبة أنك لن ترين مس باين حتى ترى نفسها لك . فهى سيدة هادئة كبيرة الروح ، وليست رخيصة إلى درجة أن أحضرها لأعرضها عليك . فهى ليست رخيصة هذه السيدة الخضراء العينين . الممشوقة القد الفاتنة الجمال . إنها ليست دابة أحضرها لأعرضها عليك ، ألا تفهمين بعد أننى أحترم البشرية كما أحب شخصيات الناس اللامعة أمثال باين وفى ربيع عام ١٨٩٧ كانت عائلة وب تعيش فى «لوتس» وكانت مس باين معهم وكان شو ينجز أعماله فى لندن من وقت لآخر ويعود إليهم وكانت مراسلته مع الن ترى لا تنقطع فكسب لها يقول مرة «آه لو تحضرين معى يوما فليس هناك أحد غير مسز وب ومس باين وبيترلس كريفتون- ابنة مطران لندن وبوب وأنا . إن حياتنا هنا فى جحرنا السياسى لحياة عظيمة حقا ، كل منعزل فى غرفته ، غذاء بسيط ونزهات على الدراجة . ولكن ما أجمل مس باين بقدها

الاهيف المياس ، أنها الوحيدة بين هذا الجمع الممتاز بهذه الحيوية المتدفقة وهذه الروح العذبة الجميلة

وجاء الخريف فانتقلت الجماعة الى «مونوث» حيث كانوا يقضون ساعات الأصيل على قمم جبال الواي ، كان شو في هذه الأثناء يكتب مسرحياته المسلية وغير المسلية وهناك نعا بالحب طويلا وبالحياة الهادئة بين الطبيعة وبين مناظرها الخلابة ووديانها وأشجارها وغدرانها فكان اللهو برثيا والحب صادقا : الا ما أدخلها من أيام لا أنساها ، أيام نعمت فيها بالحب البريء المنزه .

وفي اوائل عام ١٨٩٨ أصبحت مس باين سكرتيرة شو الخاصة . تكتب له مقالاته الطويلة ، وترعاه بعنايتها وحدها ورعايتها . . وكان هو الآخر لا يتركها لحظة واحدة . . فهو يقضى جل اوقاته في منزلها ، وإذا كانت مصابة بالنورالجيا — مرض عصبي — أشار عليها بالتنزه والمشي الطويل فعملت بنصيحته ودأب الاثنان على التنزه والمشي ، وكثيرا ما كان يداعبها ويسبقها بخطواته الطويلة فتعمل المسكينة جاهدة حتى تصله آخر الأمر، وقد أنهكها التعب وأخذ منها كل مأخذ . . واستمر على هذه الرياضة طويلا حتى شفيت من مرضها تماما . . .

وفي مارس من العام نفسه قامت مس باين برحلة حول العالم مع عائلة وب ولكنها ما كادت تصل الى روما حتى واتها الانباء بمرض شو وانه ملازم الفراش ومتروك في غرفة متواضعة تحت رحمة الأقدار . .

فما كان منها إلا أن اخذت اول قطار ، راجعة الى لندن بأقصى سرعة . . كان شو يعيش في غرفة حقيرة منعزلة ، حوت اسباب القذارة والفوضى وكانت عاداته أن يترك نوافذها مفتوحة ليل نهار ، صيف شتاء ، فيتراكم الغبار بالاطنان على الكتب والمناضد . كما تبعثرت الاوراق هنا وهناك . . والرسائل وقد تركت فارق إحدى المناضد مكدسة يعلوها التراب . . وحتى الزبد والسكر كان عرضة لرحمة الغبار . . والكتب لم تنج من هذا العقاب فهي منتشرة في كل ركن من اركان الغرفة ، ملقاة على كل مقعد ، مكدسة في كل جانب . . و نعم . كنت إذا ارتديت سترة ما ، أفتح أحد الكتب وأقرأ . فكان الكتاب دائما مفتوحا فاذا انتهيت منه تركته وفتحت آخر فوقه . فبعد شهر كنت

ترى جبلا من هذه الكتب المدفونة ، كلها مفتوحة ، ومكتبتى على كل حال يمكن تمييزها ببقع الغبار أو السناج العالق بصفحاتها .

حقا كنت مهملًا إلى أبعد حدود الإهمال فى حياتى الداخلية وأيام العزوبة واراهن أنك لو احضرت سبعة من الخدم الأقوياء بمكانسهم الكبيرة لازاحة الغبار عن غرقى لكفهم ذلك نصف قرن من الزمان وقد لا تؤثر هذه المدة مطلقا ولن يأتوا بنتيجة ما . .

وفى عزله هذه لم تزره أمه إلا نادراً . وحتى أخته « لوسى » كانت هى الأخرى تنقطع عن زيارته شهوراً . .

وكان لعامل الإهمال هذا اكبر الاثر فى اعتلال صحته ومرضه . كما كانت كثرة عمله وارهاق نفسه سببين آخرين فى ضعف صحته . وماذا يكون حال ذلك الرجل الذى يواصل ليله بنهاره فى القاء محاضرات وكتابة نقد ومسرحيات ، فاذا هبت عليه نسمة من راحة ، عاد إلى كهفه وقد اعياه الجهد ، فيلقى بنفسه بين اكوام الكتب والمجلدات غير مكترث بذلك الغبار الذى يستشقه فى كل شهيقة ؟ !

كانت رياضته الوحيدة فى هذه العزلة القاتلة مراسلة « الن ترى » فقد كانت مجرد الدواء لامراضه وعلاته . .

وصلت باين سريعاً . ورثت لحالة ، وأشفت عليه ، فلم ينس لها هذا الجليل الكبير وأكبر لها اخلاصاً وهياماً به وخصوصاً بعد أن انتشلت من هذا الكهف البالى واستأجرت منزلاً قريباً منه وراحت تمرضه بما فيها من قوى وتعالجه بنفسها باذلة أقصى جهدها حتى تعيده إلى الصحة والعافية من جديد . . كانت جهودها بازائه جبارة حقاً ، قدرتها لها الأم وأثنت عليها كبير الثناء ورأت فيها انسانية موهوبة ذات قلب كبير فأكبرت للفتاة جميل صنعها وعرفت أنها ملاك حارس ارسلته العناية الالهية لانقاذ ابنها من برائن الموت المحققة . .

وماذا كان رأى شوفى الفتاة حينذاك ؟ . .

لاشك انه وهو ذلك الانسان العاطفى الكبير قد عرف لها جميلها فزاد بها هياماً ، فاذا اقترقت عنه لحظة ارتفعت به درجات الحنى واذا جاءته هبطت

حرجاتها واخيراً صمم الاثنان على الزواج، وما اصوب الفكرة في وقت كهذا ..
 ففي اليوم الأول من يونيو عام ١٨٩٨ عقد قرانهما وهما في طريقهما إلى
 هازلير، وكان شو يرتدى يومها سترة بالية . وحضر القران اصدقاؤه المقربون:
 جراهام ولاس وهنرى سلت، ويقول شو .. « إن المسجل يومها لم يصدق اننى
 الزوج المنتظر ، فقد ظننى احد هؤلاء الفقراء الذين يساهمون عادة فى حفلات
 الزواج بنواحي نشاطهم .. وإذ كان ولاس فى قامته المديدة وملبسه الانيق ظنه
 المسجل أنه الزوج المحظوظ وكان على وشك أن يزوجه من محبوبتى !! وارتبك
 والاس لحظة ثم تنحى عن الموقف ازاء نظراتى الحادة له !! ياله من موقف
 لا أنساه !!!... »

وانطلق العروسان إلى (بتفولد) من اعمال (هازلير) وهناك ابتدأت
 الزوجة تعمل على اصلاح حال بعلها ، ومن الطريف أن عاونها بعض
 الممرضات على خدمة فوقعن فى حباتله وهمن به حبا ..

وكان شهر العسل نادراً فى نوعه وله عند شو ذكريات طيبة لا ينساها ..
 فقد حدث أن كان بقدمه جرح ما كاد يلتئم حتى قام يتمشى قليلا ولكنه ما كاد
 يفعل حتى سقط بجوار الدرج فتدحرج إلى اسفل فأدى ذلك إلى كسر ذراعه
 الأيسر بجوار المعصم ! فتضاغت جهرد الزوج من جديد ، وأبل شو اخيراً
 من مرضه — وابتدأ يكتب كتابه عن (فاجنر)

وفى سبتمبر من نفس العام نزع الزوجان إلى جزيرة (ويت) وهناك على
 الساحل الجميل كتب شو روايته المشهورة التى رفعته إلى القمة (قيصر وكيلوباتره)
 ثم عاد إلى هازلير من جديد وهناك حاول أن يركب دراجة للتنزه كعادته
 فسقط بها ارضا وأدى ذلك إلى ايلامه من جديد مما اعجز الأطباء ودعاهم إلى
 صب جام غضبهم على ذلك الأيرلندى الأرعن وبسوا جميعا من شفائه ..

وفى نوفمبر استأجر الزوجان منزلا فى « هندهد » وقضيا وقتا مرحا فى هذا
 الأقليم الذى استرد فيه صحته . وبالرغم من أن قدمه لم تندمل مرة واحدة بل
 عكرت عليه صفو حياته .. ولكن هذا كله لم يفت من عزمه فقد دأب على كتابه
 (قيصر وكيلوباتره) ... (ولهذا الرواية ذكرى طيبة عندى . فقد كتبت

معظم فصولها في وقت كنت أتوكأ فيه على عكاز، واكتبها على قمم هضاب جزيرة «ويت»

أذكر يوماً كنت اضطلع فيه على قمة هضبة «ويت» وعكازي بجوارى على الحشيش وانطلق مني القلم يكتب . . «الايض فوق الزرقة العالية هو الارجوان فوق الخضرة المنخفضة . لم يغرب عني منظر ابو الهول الساخر من الصحراء، الصامد للاجيال . كما أن صورة العذراء والطفل وهو نائم في حجر ابي الهول لم ينمح من ذاكرتي.. فالمنظران ظلا في ذاكرتي طوال ثلاثين سنة قبل ان اخرجهما للمسرح ..»

وانتهى شهر العسل بسلام قام بعده شو وزوجه برحلة حول البحر الابيض المتوسط زارا خلالها القسطنطينية ومساجدها ، واذ لم توافق الرحلة مزاجه عاد إلى لندن بعد وقت قصير حيث النشاط والعمل . . . والجهاد في سبيل الفكرة . . .

كيف يكتب مسرحياته؟

في ساحة إحدى كنائس مدينة «آيوت» وقف جورج برنارد شو مرة أمام قبر كتب عليه (جين أغرسيل) — ولدت عام ١٨١٥ وماتت عام ١٨٩٥ — وكانت حياتها قصيرة جداً (١١)

أحس شو وهو يقرأ هذه اللوحة، بشعور غريب خالجه لحظات... (إن أهل هذا الاقليم الذي يعيش ناسه ثمانين سنة فما فوق، هو خير أقليم اختاره لنفسى، لا كتب فيه مسرحياتي...)

«ولم لاوها هي إحدى المواطنات قصيرات الأجل تعمر فيه ثمانين عاماً كاملاً وها هم مواطنوه كهولاً وشيوخاً متصابين؟ حقاً لقد وقفت على بيت القصيدة، وفعلت في ربيع عام ١٩٠٤ نزح برنارد شو إلى هذا الاقليم ودأوم على كتابة مسرحياته بين جباله وتلاله وحقوله الخضراء البهيجة...»

ولا يجب أن ننسى أنه في أوائل القرن العشرين ساهم بقسط وافر في موافاة الجرائد والمجلات الانجليزية بشتى مقالاته في الموضوعات الحساسة التي كانت تشغل الرأي العام حينذاك. فكانت مقالاته عن التجارة الحرة وحرب البوير وغيرها من أمهات مسائل الساعة. ثم شرع يكتب روايته المشهورة: الانسان والانسان الراقى — التي تعتبر من روايته الخالدة. وفي هذه الرواية بالذات تلعب دراساته الاقتصادية دوراً كبيراً، كما لعبت دراسات ميشيل أنجلو التشريحية جزءاً كبيراً في مؤلفاته...»

من عادة برنارد شو أنه لا يضع تصميماً ما لروايته... فإذا جاءته فكرة جلس في الحال وراح يكتب، وقد يستمر في كتابته الساعات الطويلة من غير مطالعة أو مراجعة ما قد كتبه. أو حتى يعرف حوادث ما يستجد في مجرى كتاباته...»

«كل ما أقرله اليوم، سيقال غداً... ولكنهم سوف لا يتذكرون ذلك الذي وضعها في أدمعتهم...»
حقاً... أنهم على حق... لأننى أنا الآخر لا أتذكر ذلك الذى يضع

الافكار في رأسي ! انه الزيتست . أى روح العصر ١١ ،
وهو في كتابته دقيق الى أبعد حدود الدقة . يتبع نظاما خاصا ، ولا يحيد
عنه قيد أنملة

« إننى لا أترك رواية تخرج من تحت يدي ، حتى تكون قد كملت ونضجت
وأصبحت آية رائعة تحكى عظمة شو وترنم بصولته ، وتليه عجباً بقوته !
وكل ما أناله من الناس هو حدهم وثناؤهم وضحكهم المتواصل الساعات
الطوال ، عند ما يشهدون تمثيل احدى رواياتى التى تكون قد استغرقت ساعات
من العمل المضنى الشاق فى كتابتها . ثم يقولون آخر الأمر إنها ليست رواية فى
شيء ما . لأن برنارد شو كما يقولون — يتكلم ولسانه فى حلقه — وهذا مثل
الانجليزى معناه — أنه كثير الكذب . .

يقول بيرسون إن جورج برنارد شو عضو محترم له مركزه وخطره فى
الاجتماع الانجليزى ، فهو يمتاز عن الكتاب الذين عاصره . وأنهم حياتهم فى
بداية هذا القرن إما فى مستشفيات المجازيب ، أو فى كهوف الأفيون ، أو فى
كنائس الرومان الكاثوليك ، يمتاز عن هؤلاء جميعا بكفاءته ، ومقدرته ،
وسرعة بديته ، وطيبة قلبه ، وذكائه الخاد ، ومقدرته على الكتابة ، وهو
بحق كما قالت عنه الن ترى مخلوق طيب رقيق العاطفة .

انهم يتهمون به بالكذب فى كتابته مسرحياته ، والواقع أن الناس لم يفهموه
بعد ، أو يعرفوا كيف يفهمونه . فهو أحيانا جاد وأحيانا هازل مسرف فى
الهزل وهذا كثيراً ما يربكهم فيحكموه عليه حكمهم المبتور .

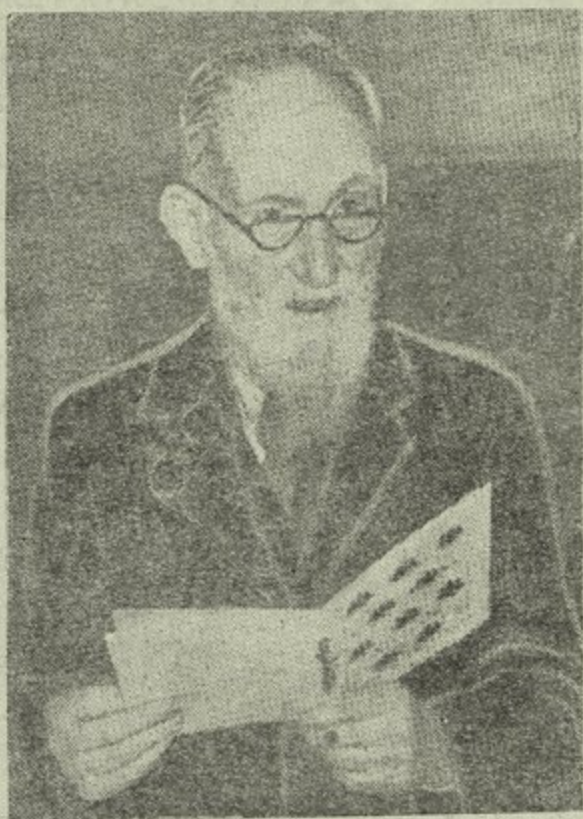
ولو أنهم أمعنوا الفكر ، وحاولوا أن يفهمون على الوجه الصحيح . لعرفوا
أن روح الفكاهة فطرية عنده ، تفيض بها رواياته كما أن تهكمه وسخريته فطرية
أيضا فهو يمتاز عن هؤلاء الكتاب جميعا بهذه العناصر القوية التى لا تتجزأ أو
تنفصم من شخصيته الدمة المحبوبة . »

حدث أنه بعد تمثيل مسرحى قدم إلى سيدة عجوز فشددت على يده قائلة :
جميل منك أن تهز يدك مع عجوز مضحكة مثلى يا مستر شو ؟!

فأجابها بيديته .. إنها اضحكة قديمة أن يمز الانسان يده مع غيره «
خفيه للفكاهة جعل الناس يحكمون عليه بالكذب والبهتان وهذا افتراء وضعف
تقدير من غير شك ..

وهو كأي لندى يتمتع بتوسط كبير من البرودة ..

حدث أن زلت قدمه ، وهو يهم بنزول درج محطة وستمنستر ، فانزلق على
ظهره الى آخر درجة مما جعل الناس يهلعون عليه ولكنه ما كاد يصل إلى نهاية
الدرج حتى هب واقفا وسار في طريقه — كأن هذه عادته في هبوط الادراج !!
فبروده هذا جعل النظارة يضحكون بل ويقهقهون ولكنه لم يعرفهم حتى
التفاتة صغيرة بل سار في طريقه وكأن لم يحدث شيء بخفته ورشاقتة المعهودتين



برنارد شو فی أحد مطاعم لندن
بعد مشاهدته مسرحيته بیجالیون

— ۱۹۳۸ —

مسرحياته

من العشرة الروائيين الأوائل في العالم :
(أ) كتب المسرحيات لاني شغوف بها ، ولم أكف مرة في حياتي عن تخيل
الناس وهم يعملون ويتناقشون في مسائل الكون والحياة .
فجورج برنارد شو يشابه شكسبير في هذه الناحية — ناحية تخيل الناس
وهو يعملون — فنقاد القرن التاسع عشر في إنجلترا كانوا يؤمنون بالمسرحية
الكاملة الخلق أو على الأصح الرواية التي تقود النظارة وتجبرهم على متابعة
موضوع معين ، ينتهي بآنتهاء الفصل الثاني ، ثم تكتسح ما تركته من مخلفات
ومشكلات في الفصل الثالث والآخر .

ولكن شو درامى كلاسيكى فهو يشابه أبسن ، ويخالف شكسبير . فهو
يبدل عادة جهداً جباراً في معالجة النواحي الاقتصادية والسياسية والدينية ،
ورواياته جميعها لا تخلو من مثل هذه النواحي . . .

فأول رواياته قال عنها النقاد إنها رواية سياسية بجته ، لأنها لاتعالج اية
ناحية من نواحي الدراما فهو بذلك يخرج عن قوانينها وأوضاعها المألوفة
ثم تبادوا في نقده فقالوا إن مسرحياته ليست مسرحيات بكامل معناها ،
لأنها سلسلة طويلة من النقاش والمحادثة واللغو

وفي عام ١٨٨٥ — أيام أن كان يتردد بكثرة على مكتبة المتحف
البريطاني — تعرف على وليم آرشر — ناقد الدراما ومترجم مسرحيات أبسن
الزروجي — وأخذ الاثنان يتناقشان طويلاً في الدراما واتجاهاتها ، فيؤكد
له آرشر مقدرته الفذة على كتابة الديالوج المنظم ، وعدم كفاءته على التكوين
والإنشاء بينما يؤكد له شو فشله في كتابة الديالوج ، ومقدرته على التكوين
والصياغة والابداع .

فصمم الاثنان على كتابة رواية مادام لاحدهما الناحية الإيجابية ،
وللاخر السلبية ، ولكن المحاولة : اسبب ما ، بامت بالفشل ، ولم تسفر جهودهما
عن إنتاج ما . . .

« منازل الأرامل »

ومرت الأعوام سريعا، أجاد خلالها برنارد شو الناحيتين . فبعد سبع سنوات كاملة عاد إلى دفاثره القديمة فعثر فيها على بقايا تلك القصة القديمة — قصته المشتركة مع وليم آرشر — فقام بصياغتها من جديد . وأضاف إليها فصلا كاملا وسماها « منازل الأرامل » وأرسلها إلى صاحب « المسرح المستقل » حيث مثلت فيه في التاسع من ديسمبر عام ١٨٩٢ ونجحت الرواية نجاحاً كبيراً ، والقصة تمثيل صادق لحياة الطبقة المتوسطة ، عاداتها وأطوارها ، وطرق معيشتها وتكيفها لوقائع الحياة . .

الفيلاندرار

وقد أثر هذا النجاح المباشر كثيرا على برنارد شو ، فاندفع بحماس وقوة يؤلف الرواية تلو الرواية من غير توقف أو ملل . فأخرج عام ١٨٩٣ روايته المشهورة الفيلاندرار وهي كوميديا مليئة باتجاهات طريفة وهجو قاس ، وتقرع شديد اللهجة على العلم الطبيعي ، ففيها يمثل لنا حياة طبيب دائب على النشاط ، مندلع الحماس ، متوقد الحركة ، مشتعل الذكاء . يكتشف هذا الطبيب مرة مرضا وبائيا خطيرا ، فيطير ويرقص فرحا عندما يرى مرضاه وهم يشكون ويتلوون من شدة المرض وآلامه ، ولكن سرعان ما يختفي الامل البراق الذي لمع أمام ناظره فجأة ، فينّ الطبيب أنين الشكلى عندما ما يكتشف أخيرا أن هذا المرض لا وجود له .

فهو يطرق هنا ناحية فريدة ، قلما يظرقها غيره من الروائيين المعروفين ، فيصور بقلبه الساخر اهتمام الاطباء وفرحهم وجزلهم اذا اكتشفوا مرضا ، خطيرا وتخاذلهم وإهمالهم للمريض نفسه الذي يقع فريسة بحوثهم وتجاربهم القاسية . وهذا في نظره مناف للانسانية في معناها الذي يفهمه كل مفكر حر وهذا أيضا جوهر الابدسية . يشرحه ويفسره شو في قالب أكثر وضوحا وبساطة عما يشرحه أبسن نفسه . يمثل لنا فيها خطر المثالية وتضحية الناس بالمبادئ الانسانية الشريفة.

فالرواية اذن أبسذية النوع ، فيها الكثير من التهمك والسخرية لذلك الصراع القائم بين الابسذيين الحدائي . والرجال المتقدمين الذين لم يصلوا بعد إلى ما وصل اليه أبسن . .

وفي الرواية أيضا حوار فلسفي بين طيب وجندي حول طبيعة مهمتهما وهل عملهما هذا إنساني أم مجرد عمل بهيمي ؟
فهو يثير في موضوعه اخطر المشاكل وأعمقها فتيجا للعقول . ويتنقل بك من موقف إلى موقف بلباقته ورشاقته اللتين تتجلى فيهما شخصيته وتدفق منهما عبقريته . . .

مهمة مسز ورن

ثم نجى مسرحيته « مهمة مسز ورن » وقد مثلت في عام ١٩٠٢ أى بعد ثمانية أعوام من كتابتها ، وذلك لأن الرقيب لم يسمح بنشرها حينذاك لأنها تبحث في مسائل الدعارة والتهمك . ويقول تشسترتون في نقده لمسرحيات شو ان فعلة الرقيب هذه أثارت حنق شر فأنبرى له يصب عليه جام غضبه ويأعنه بشتي ما كان لديه يومها من كلمات اللعنة والغضب والحنق .

ولعل أطرف وأوقع ماقاله شر بالذات عن وقف تمثيل هذه الرواية ما تنقله عن اسانه بالحرف الواحد « لقد منع الرقيب تمثيل هذه الرواية لأنها لم تصل إلى درجة الانحطاط والدناءة اللتين تحركان شهوة الرقيب وتسيلان لعبابه بدليل انه كثيرا ما يبيع روايات أخرى فيها الخليعة وفيها العاهرة والوسيلة تنعم جميعا بهناء الحياة ورخاوتها . أما روايتي القبيحة التي لم تصادف هوى في نفس حضرة الرقيب الفاجر فليس فيها ما يلذه أو يستويه . . »

ويعلق تشسترتون على حديث شو بقوله « الواقع أن الفن لا يعرف عاراً بيد أن حسن الذوق يحول دون عرضنا لمسرحيات من طراز « مهمة مسز ورن » فن الخطأ مثلاً أن نصرح للمرضى بالقى على خشبة المسارح ولكن شومن عادته ألا يراعى حسن الذوق أو اختياره ، فهو من المتصوفة الذين لا يتورعون من استعمال الكلمات البذيئة يطلقونها اطلاقاً من غير ما تروا وبصيرة ! »

« الأسلحة والرجل »

وفي عام ١٨٩٤ أخرج روايته المشهورة « الأسلحة والرجل » وفي هذه الرواية بالذات ظهر برنارد شو على المسرح لأول مرة بين تصفيق المعجبين ، ولكنه ما كاد يظهر حتى أرسل أحد الشبان علامات انكار وجحود ، فما كاد شو يسمع صوته حتى انتهز الفرصة فأنبرى للكلام وأجابه عاليا ، انى معك يا صديقى ولكن ماذا فعل نحن الاثنين ازاء جمع غفير له رأيه المخالف ! . صادفت هذه الرواية عند اخراجها نجاحا منقطع النظير ، فقد تجلت فيها عبقرية برنارد شو بوضوح . وشهد له النقاد يومها ببراعته ودقته وحسن تصويره للحقائق والوقائع أحسن تصوير . .

فبجانب ما تثيره الرواية من مسائل ومشاكل ، ترى قوى الابداع فى سير حوادثها ، فالمسرحيات الكلاسيكية التى تمثل لنا البطولة ، والمسرحيات الهزلية ذات الصبغة التهكمية لا تساوى شيئا مطلقا اذا قسناها بمقياس هذه المسرحية العالمية

فالرواية تبدأ بالهزل ، ثم تتطور إلى حساسية مرهفة ، ثم تنتهى إلى حمية مطلقة تثير عواطف الانسان وتملك عليه مشاعره . .

وحسبك ما يقوله أكبر النقاد الانجليز المرحوم تشسترتون فيها « لن ينسى المرء ذلك التصفيق الحاد الذى لا يزال يطن فى آذان الكثيرين ممن حضروا أول عرض لهذه المسرحية المشهودة . . نعم . . أقول إنه فى هذه الرواية بالذات انتصر الفن الأصيل على الفن الدخيل . فقد كانت هذه المسرحية آية فنية دقيقة من نوع جديد لم يكن ليألفه رواد المسارح منذ عهد طويل ! انها رواية عجيبة لذلك اللعين . انها حوار متواصل يفضى بالنظارة إلى المجنون ويردهم عما كانوا يمتسكون به من عادات وآراء وتقاليد موروثة . فيجعلهم ينسون ماضيهم وحاضرهم ويعيشون فى جو غريب لم يألفوه ولن يألفوه فى أى وقت . هل أقول انه انتحل الكثير من آراء تولستوى ونزع منه كثيرا من أفكاره . لا بأس اذن لانه يقول معه ان الحرب مجزرة بشرية والغرام شبق ولكن تولستوى يعترض على الكريهة والحب لأنها من الحقائق الثابتة التى يتبنى زوالها وأما شو فلا يعترض عليهما لأنها فى نظره من المثل العليا التى يحاربها جهده

كانديدا

وفي ديسمبر عام ١٨٩٤ أخرج شو رواية «كانديدا» وحدث أن قرئت هذه الرواية على شارلس وندهام ، فبكى عند الفصل الأخير ، وأكد لمن حوله ولشو إن هذه الرواية قد كتبت لخسة وعشرين عاما قبل أوانها . . وعرضت في ربيع عام ١٨٩٧ ثم في عامي ١٩٩٨ و ١٩٠٠ ودرت عليه ثمانمائة جنيه ربحا حلالا

وجدير بنا أن نذكر ماقاله تشسترتون أيضا في نقده لروايات شو في كتابه يقول « هذه الرواية من خير ما كتب شو بل إنها أفضل من شو نفسه فقد سرد فيها حقائق لم يتسن لغيره أن يسردها أو يفسرها بوضوح . فلقد تناول فكرة الزواج بالصقل والتهديب . فيثبت لنا أن الزواج ليس مجرد اغلال تقيد بها الحب كما يزعم الفوضويون ، ولا تاجا يكلل به الحب كما يتوهم اصحاب العواطف والمرهفين ولكنه علاقة بشرية عملية أكثر منها نظرية واقعية لانصيب للخيال فيها ، فالزواج رباط مقدس كالامومة تماما لا استعباد فيه ولا هيام هو اتفاق بين الأفراد كالمعاهدات بين الأمم والشعوب . إن رباط الزواج ليس رباط غرام أو صداقة أو رهبة ، وذلك لأن التأثيرات النفسية لها أكبر الأثر في العلاقات الزوجية فقد ينظر الزوجان لبعضهما احيانا نظرة ملؤها الاستهتار أو نظرة كلها احترام أو نظرة تفيض حبا وعطفا وحنانا في قترات أخرى . . فعند ما خيرت الزوجة الفاضلة أو الصريحة « كانديدا » بين زوجين أولهما مبدع لبق قوى ، والآخر شاعر مرهف الحس ضعيف البنية فضلت الأول على الثاني لاشئ سوى أن الأول كان من القوة والهيام بها بمكان انه كان يخاف عليها ويكاد يلتهمها كالوحش الضارى ...

فوقف الزوجة العادية إذن حيال زوجها العادى موقف بسيط لا هيام فيه ولا أنانية مع انه يتطوى على تضحيات بشرية كبيرة قد لا يعرفها الزوجان ...

رجل الأقدار

في خريف عام ١٨٩٥ كتب شو رواية «رجل الأقدار» ومثلت فيها «الن ترى» دور «السيدة الأجنبية» عام ١٨٩٧

والرواية عبارة عن كوميديا صغيرة عن نابليون بونابرت .
فالحوار الذى يجرى بين بونابرت والسيدة الارلندية ينتهى باعتراف
الجنرال بأنه سيهزم حتما عند ما يحارب جيشا انجليزيا يقوده جنرال
ارلندى . وفى هذا سخريه وازدراء بالعقل الانجليزى لانه كما يقول شو: من عادته
أن يصدع دائما للامر فى حين أن العقل الارلندى له القوة والسيطرة على تمليه
الأوامر .

« لن تستطيع التنبؤ »

ثم تبع روايته الأخيرة برواية جديدة من نوع جديد لن تستطيع التنبؤ
بدأ كتابتها عام ١٨٩٥ وأرسل إلى الن ترى رسالة يقول فيها: روايتى الراهنة
تتناول الحياة والفن معا . وبين الحياة والفن زناد يقده الشر ويصلح لمضاء
السكين ...!!

واستمر عرض الرواية عام ١٩٠٠ اسبوعين كاملين . وكان هذا رقيا
قياسيا تضربه رواية فى انجلترا حينذاك بالنسبة لما تضمنته من نكات لاذعة
وكوميديا راقية ساخرة .

« تابع الشيطان »

وفى سبتمبر عام ١٨٩٦ كتب رواية أخرى «تابع الشيطان» مخالفة لما
قبلها تماما . وقد ترجم هذه الرواية الى العربية الأستاذ كامل النحاس ومثلت على
مسرح ويلز فى ١٦ سبتمبر ١٨٩٩ ثم أخرجها مانزفيلد فى نيويورك قبل هذا
التاريخ بعامين تقريبا .

ولاقت الرواية نجاحا كبيرا فى انجلترا وأمريكا ، ورجح منها شوثلاثة آلاف
جنيه كاملة وساعده هذا المبلغ على أن يهجر النقد وينقطع انقطاعا تاما لكتابة
الدراما . .

يعالج برنارد شو فى هذه الرواية ناحية من أهم النواحي الفلسفية التى تناولها
كثير من الفلاسفة من قرون . هذه الناحية هى البحث وراء ماهية الخير والشر
فاذا أوجدنا تعريفا صادقا لكل منهما كان من الهين جدا أن نسمو بالخلق

الانسانى درجات ودرجات ..

ويطبع برنارد شو هذه الرواية بطابعه التمهكى المعروف، السخرية بالتقاليد الموروثة وبالعادة المكتسبة ..

لماذا يقبل الناس الاشياء على علاتها ؟

لماذا لا ينعمون النظر فيما يحاورهم ويحيط بهم من أشياء ..

لماذا يعبت المرء ويلهم والحياة جادة لا تلهو ؟

فهو يتخذ قسيما ليمثل الفضيلة . وتابع الشيطان ليمثل الرذيلة ويصور لنا قصة علاقة الخير بالشر أحسن تصوير .

فالخير مثلاً يستدرج في روايته الشر إلى حظيره ليصلح من أمره .

وقد كان تابع الشيطان من السذاجة بمكان أن أجاب للخير طلبه وسحرته بلاغة الراهب فضحى نفسه في سبيله وذهب إلى المشقة راضى النفس رابط الجأش

« الإنسان وإنسان المستقبل »

يقول تشسترتون : في هذه الرواية يكشف برنارد شو الفيلسوف نيتشه فهذا السفسطائي الفصيح ومدرسته لها أكبر الأثر في حياة شو ..

فنيته من أصل بولندي وربما يكون بولندياً نبيلًا وإذا قلنا انه كان بولندياً نبيلاً فعنى هذا انه كان ضعيفاً هشاً ، متأنقاً ، فوضوياً غير مجد أو نافع . ولكن نيتشه كان من اصحاب البيان الرائع له قوة على صياغة الألفاظ والمعاني ، وذكا . خارق وملكمة شعرية نادرة .. ألا ترى معنى أن قوله « حياتك لا تحتل من غير خلود ؟ ! ولكن لماذا لا تكون حياتك غير محتملة ؟ !! » فيه الكثير من التلاعب بالألفاظ والعقول ؟

« فبرنارد شو أحد هؤلاء الذين تأثروا بنيتشه وبأمثال نيتشه ولكن نيتشه على كل حال نجح في أن يغرس في ذهن شو خرافة العصور الظلام وأعني بها خرافة السبرمان !! »

يقول نيتشه إن القرد هو الذى أوجد الإنسان ! فالإنسان إذن يمكنه أخيراً وبعد طوال الوقت أن يوجد انساناً أعلى من الإنسان الحالى !
ولكن اذا كان القرد لم يكن جاداً أو مهتماً بإيجاد ذلك الانسان فهل لنا أن نهتم في إيجاد إنسان أعلى وأفضل ؟

وإذا كان لهذا السبرمان أن يأتي من طريق تنازع البقاء أفليس من الأفضل أن نتركه لتنازع البقاء! وإذا كان السبرمان يأتي عن طريق اختيارنا البشري فأى نوع من السبرمان يجب أن نختار؟

هذا رأى تشسترتون ولندعه لحكم القارىء.

وعلينا أيضا أن نستعرض رأى بيرسون الكاتب الأنجليزى المعروف . . . يقول بيرسون: فى برنارد شو رعونة قديمة كامنة فيه ترجع إلى أيام صباه . فقد تجلت هذه الرعونة بوضوح فى رواية الإنسان والسبرمان ، قرى فيها مثلاً جاك ثايرينى ، فيوليت هو يتلفيد ، على شجاعتها بأن أصبحت اما قبل أن تكون زوجاً .

فـ هذه الرواية هى البعيدة بين رواياته عن مستلزمات المسرح فى أيامه . فى الفصل الثالث المعروف بدون جوان فى الجحيم محاولة دقيقة لكتابه سفر تكوين لانجيل علماء التطور . . فزبدت فلسفة شو الدينية يعبر عنها دون جوان على لسان شو: أقول لك مادمت قادراً على إدراك شىء خيراً منى . فلن أرتاح أو تهدأ إلى ساكنة حتى أبرزه إلى الوجود أو أن أمهد له الطريق . . فهذا هو قانون حياتى . وهذه هى رغبتي المستمرة الكامنة فى نفسى للبلوغ إلى أعلى مراتب النظام . عن وسع وعمق . . إن هذه الرغبة هى التى تحكم فى نفسى الكبيرة . . إنها أبعدتني عن الانفاس فى ملذات الشباب . . مدرستي هى الفن ، والدين عندى التراخي والكسل والفتور . وما التراخي والكسل والفتور هنا غير الهدوء والسكون والرجوع إلى النفس للتفكير . . نظرت إلى العالم فإذا بكل ما أراه فى حاجة إلى الترميم والإصلاح . ولست أدري كيف نظر إليه الآله فوجده حسناً !!!

ولنكتف بهذا القدر الآن لتناول فلسفته بأكثر إيضاحاً وأبسط موضوعاً عند الحديث على فلسفته ...

درت عليه هذه الرواية عند تمثيلها أرباحاً طائفة . . وقد كانت فى أمريكا أكثر نجاحاً ورواجاً منها فى إنجلترا . . مثلاً تابع له هو المستر روبرت لورين وقام بتمثيل دور (تاجر البطل) ، فى اليوم الخامس من سبتمبر عام ١٩٠٥ على مسرح هدرسون بنيويورك . وقد استمر عرضها تسعة أشهر كاملة . . بلغت الأرباح فى الشهر السابع منها أربعين ألف جنيه فقط لا غير !! ..

« جزيرة جون بول الأخرى »

طلب منه المستر يقس كتابة مسرحية خاصة للسرحد الأيرلندي الأدبي فكتب شو روايته (جزيرة جون بول الأخرى) وقد أعجب بها يقس كثيرا وقال انها أولى روايات شو التي يستعمل فيها علم الجغرافيا . . .
ولكن الناقد تشستر تون لم يتركها بهجوه ونقده الشديد فقال فيها (إن شو يسخر بالانجليزى كمادته في الاستخفاف بالعرف والتقاليد . ويظن أنه في روايته هذه يبذر بذور نظام اجتماعي شامل للأيرلنديين أمثاله . ولكنهم لسوء حظه يضحكون منه ويرون في نظامه أكثر من موضع للسخرية والاستخفاف به)

(ماجور باربارا)

ثم تبعها برواية أخرى ماجور باربارا وأعجب بها رئيس وزارة إنجلترا في ذلك الوقت — مستر آرثر بالفور — اعجابا شديدا وشهدا أربع مرات هو وقادة الاحزاب الأخرى . ثم شهدا الملك ادوارد السابع في الحادى عشر من مارس عام ١٩٠٥ وأعجبه الرواية أيضا إلى حد كبير وضحك أثناء عرضها طويلا حتى تكسر من تحته المقعد الذى كان يجلس عليه .

وهنا الدرامى المعروف الفرد سترو على عبقرية ونبوغه ! وبلغ عدد تمثيل هذه الرواية ٢٢١ مرة وروايته لن نستطيع التنبؤ ١٤٩ مرة وروايته الانسان انسان المستقبل ٢٧٦ مرة . .

ورفعته روايته الأخيرة إلى عنان المجد ، وأصبح شو معبود الجيل الناشئ . فقد تأثر به شباب كثيرون في ابتداء القرن العشرين إلى ما بعد الحرب العالمية الاولى وكان تابعوه أكثر من هؤلاء الذين تأثروا بولز وتشستر تون وبلوك وجالزورثى وبنت وغيرهم . .

فشورته على التقاليد ، وعدم مبالاته ، وسخريته بالمرايين الانجليز خاصة ، وأصحاب الشهرة الكاذبة ، ونقده الشديد ، ودفاعه عن مضموى الحقوق ، وحيويته ، ومزاحه ، وشخصيته الجذابة القوية ، جعلت الشباب يتعلق به ويتخذوه مثله الاعلى للرجل الكامل الموهوب . .

يقول تشسترتون في نقده لهذه الرواية : محتوى هذه الرواية على عنصر ديني قوى ، ولكنك إذا ما انتهيت منها ترى ان ذلك العنصر الديني قد انزوى وانهمزم وارتد على اعقابهِ خاسراً . فاصطلاحاته الوثنية التي يستعملها للتعبير عن آرائه بعيدة كل البعد عن الاصطلاحات الدينية الاصلية .

فبطلان القصة مثلاً تقترح أخيراً بأنها ستسبح بحمد الله من غير أمل . حتى تكون قد استوفت ما عليها من دين لله . ويكون الله اذن مديناً لها بكل شيء . فروايته هذه تظهر لنا شواهداً من ناحية رومانيتها الجديدة . بل من ناحية ماديتها القديمة .

ويمكننا من غير لاي أن نحكم على رواياته بأنها نكات شعرية لا آخر لها فمثلاً نكسته الشعرية لروايته ماجور يرباراً يمكن تلخيصها في الآتي :

يقول الناس ان الفقر ليس جريمة . اما هو فيقول إن الفقر جريمة . جريمة اذا تحمله الانسان . جريمة اذا رضينا به . وهو بالاجمال يدخل في دائرة جرائم الوحشية والفساد والخوف ...

ولو قال انسان لشو ان رجلاً ولد من ابوين فقيرين لكنهما كانا مستقيمين لرد عليك شو فوراً ! إن كلبة (لكن) تبرهن لك على أن والديه ربما كانا غير مستقيمين أو بهما ناحية اغفلتها انت في حديثك ولم تذكرها لحكمة ما ...

ففي نظره أن كل ما يحتاج اليه الناس في هذه الدنيا ، لا الوطنية أو الدين أو الحكمة ، بل المال ! فالمشكلة ليست وليدة الانحطاط أو الجهل أو التشاؤم بل البلية كلها في الفقر .

وليس بغريب على شو أن يحول الحماسة والوطنية المتدفقة من الضابطة ويفسرهما بأن مرجعها حب الفتاة لمال ابيها الرأسمالي المحدث ...

(حيرة الطبيب)

والغريب أن رواية حيرة الطبيب ، التي ابتدأ كتابتها في صيف عام ١٩٠٦ لها قصة عجيبة . فقد حدث أنه كان في احدى المصايف مع زوجته ولم

تكن لديه أية فكرة لكتابة رواية جديدة . فذكرته امرأته المناقشة التي دارت بينه وبين السير (المروث زيت) وبين أحد اطباء (مستشفى مارى) عن أحد نزلاء المستشفى . فقد سأل الطبيب السير ريت عما إذا كان فى الامكان أن يضيفوا إلى مجموع مرضى السل الذين يعالجون بعلاج جديد خاص مريضاً آخر ! فأجاب السير ريت فوراً : أهل يستحق هذا المريض إضافته وعلاجه ؟ فأوحت إليه هذه الحادثة كتابه مأساة خالدة عن الأطباء والموت . وساعده على كتابة هذا المؤلف القيم صداع شديد ألم به ، ولم يبرأ منه بالرغم من جهود الأطباء معه .

فتناول بقله وسخريته الأطباء ، وعجزهم عن شفائه من صداعه بكلمات تثير الضحك والأغراق فيه . وصب عليهم جام غضبه ، ورماهم بالجهل والشعوذة وعدم المعرفة وتجردهم من الانسانية أحيانا إلى غير ذلك . .

مثلت هذه الرواية فى العشرين من نوفمبر عام ١٩٠٦ واعتبرها النقاد هجوا بالغاً للطب حينذاك . وعابوا عليه مزاحه الكريه ما جعل الممثل يموت وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بكلمات التجديف التي فاه بها ، واعتبروها الحاداً منه حينذاك . فقد هتف البطل بثلاثة أسماء عند موته قائلاً (أومن بميشيل انجلو ، وفلازكو. وريمراندنت)

وانبرى له فريق منهم يتهمونه بالجهود وخيبة الأمل ، ولكنه لم يدعهم يسترسلون فى غيهم بل فاجأهم بقوله : إن الخاتمة قد اقتبسها من قصة فاجنر (نهاية باريس) حيث يموت الموسيقار وهو يلفظ (أومن بالله وبموزارت وبتهوفن) وصعق النقاد يومها وعلى رأسهم تشسترتون لاجابته المفحمة إذ أظهرت جهلهم الفاضح لعدم معرفتهم قصة فاجنر . وحاول احدهم التخلص من الموقف بقوله وعلى كل فان موسيقار فاجنر ذكر الله فى أنفاسه الاخيرة . فرد عليه شو قائلاً وبسرعة البرق . : اهكذا يا صاحبي ؟ ولكنك ترى أن (دوبدات : لم يؤمن بالله يوماً واحداً !!

وارتداد الكابتن راسبونده

مثلت الن ترى هذه الرواية فى ٢٠ مارس عام ١٩٠٦ وهى الرواية الوحيدة

التي اعتبرها شو فاشلة ، والفشل هنا كما يقول شو نشأ من ناحية النظارة لا من ناحية الرواية نفسها .. نجحت الرواية وسقطت النظارة !! . ولكن الأرقام تدل على أنها نجحت في أمريكا أكثر مما نجحت في إنجلترا .

ينفر شو في هذه الرواية من القتل ويعالج بها هذا الموضوع الاجرامي الخطير ، وينقده تشسترتون بقوله ، إن شو يشتمن من القتل لا لفقر القتل بل لضياح وقت القاتل ، وقد كتب هذه الرواية من وحي مراسلاته مع الن تری ورحلت الن تری بعدها إلى أمريكا . .

مسرحيات سارة وغير سارة

وهذا مجلد مسرحي قيم طلع به شو على الجمهور فبهره بروائع ما عالج فيه من مسائل عويصة حادة . .

يقول تشسترتون : إن كلمة سارة من الكلمات التي لا يفهم شو لها معنى واني أعتقد أنه لا يستطيع أن يميز السار من غير السار في هذا المجلد المسرحي ومع هذا فقد نجح في بعضها لأنه ذكر من الحقائق الصادقة أكثر مما يعلم هو بل وأكثر مما تحيط به نفسه العارية . .

ولا شك أن تشسترتون كان يرميه بنقده اللاذع في حين أن شو لم يكن ليعبأ بما يقوله تشسترتون وقد كتب عن كتابه الذي نقل منه هذا النقد لكل مسرحية أخرجها : إن تشسترتون لم يفهمني بعد ويظهر أنه لم يجيد دراسة رواياتي الاجادة التي يتطلبها كل ناقد حر يعمل على التوجيه لا الاساءة . .

« بوليوس قيصر »

يتناول تشسترتون هذه الرواية بنقد لاذع وهجو بالغ . وامل نقده لهذه الرواية بالذات هو أبلغ ما كتب لأنه يحلل لك شخصية شو تحليلًا بارعا، وإن كان فيه خروج عن الواقع، لأن تشسترتون يمثله بوليوس أو بمعنى آخر يمثله بالشخصية التي يتخذها شو في روايته . وبرنارد شو ضد هذا الرأي وقد ذكرنا أنه إذ يتهم شكسبير بمثل هذا الاتهام الذي يتهمه إياه تشسترتون ويقول : إن

شخصيات روائية لا تعبر عن كامن آرائى، أو تفصح أو تستشف ما انطوت عليه نفسى . انه مقياس خاطئ للنقاد أن يقيسون بمقياس هذه الشخصيات . . يقول يشسترتون : إن بوليوس قيصر هو ذلك البطل الذى تنطبق عليه نظريات شو، بل لعله يكون شو نفسه فى رداء ذلك الابله قيصر .. فهو مثال للرحمة البعيدة عن الرأفة .. هو مثال الفاتح الغازى المجدد فى روح البسالة والاقدام . ومثل قيصر كمثل شو معبود الجماهير ولكنه من طبقة غير طبقتهم أو من جلدة غير جلدتهم .. أى أنه ليس ديموقراطياً . وقد كان السيد المسيح مثال الرجل العظيم المتواضع الرءوف . وكذلك كان قيصر مثال الرجل العظيم وكذلك شو العظيم أيضا . والاثنان الآخران تنقصهما ولا شك حلقات كثيرة فقد كان قيصر مثلاً يعفو ويغفر عن سعة ورخاء ولكنه كان يعوزه حمية الانتقام وقد كان يكره النزاع لأن العقل فى نظره اثم حقير ..

ثم يختم تشسترتون حديثه عن (شو الروائى) بقوله: هذه هى آراء ذلك العبقرى شو الذى يفاجئنا من وقت لآخر بأفكار خارقة للعادة وليس أدل على عتبه وجنونه من قوله إن ميلاد المسيح وُلِدَ مؤامرة دبرها الدجالون والمشعوذون لمواع تجارية ..

كان يحذر به أن يقول أيضا إن الصياغ هم الذين ابتكروا فكرة الذكر والأنثى ليبيعوا أختام الزواج، حقا انه مزح ولكن المزاح قد يدعو صاحبه إلى الحكم عليه بخفة العقل وقد يكسبه كثيرا من الخصوم وما أكثر خصوم شو . . . !

(قيصر وكيلوباترة)

قيصر وكيلوباترة هى خير ما انتج شو، بل هى رواية أدبية فنية رائعة ودرية فريدة نادرة تتجلى فيها قوة أسلوب شو ورائع أدبه وولست أغالى إذا قلت إنها قطعة من الأدب الرافى وخير مقياس لسمو الأدب الانجليزى فى الفترة التى ظهرت فيها (١٩٠٦) تكشف لك الرواية عن عبقرية شو يمزج فيها الفلسفة والحكمة فيقول على لسان قيصر مثلاً (ذلك الذى لم يأمل مطلقا لا يمكن له أن يئأس !!) .

أو قوله: سنة في روما تشبه الأخرى تماما !! لقد تقدمت في السن وأخاف على نفسي من الهرم والشيخوخة في حين أن الذين يعيشون في الحضر تراهم دائما في سن واحدة !!

إلى غير هذه العبارات الطنانة التي تنطوي على كثير من الحكمة والسخرية والندم على مافات. وهو ينصف فيها شكسبير، ويعتبره من كتاب الدراما — ولعل يحمل آرائه في شكسبير في مقدمة هذا الكتاب قد تدحض كثيرا من الإشاعات المتضاربة حول كراهيته لثني الإنجليز وباعث نهضتهم الأدبية شكسبير مثلت هذه الرواية في أمريكا في خريف ١٩٠٦ فكتب له المخرج الأمريكي (فروربس روبرتس) يرجوه أن يعبر الاطلنطي ليحضر عرض روايته فرد عليه شو يقول (أخاف إذا أتيت إلى أمريكا أن أشتير فوق شهرة وأصبح رئيسا للولايات المتحدة وهذا ولا شك يعجل على حياتي ...)

وبين العامين ١٩٠٧ و ١٩١١ لم يكتب روايات تستحق الذكر غير أربع منها، ليست في حاسة رواياته الأخرى

ثم كتب عدة روايات أخرى في فصل واحد لمناسبات خاصة أو للممثلين الذين كانوا يصادقونه طمعا في الشهرة والجاه ..

وفي عام ١٩١١ كتب شو روايته أول مسرحية لفاني ومسرحية اندروكل والاسد ومثلت في أول سبتمبر عام ١٩١٣

ثم ييجاليون وأخرجت في ١١ أبريل عام ١٩١٤ وترجمها إلى العربية الأستاذ الكبير توفيق الحكيم .. وكان صافي أرباح هذه الرواية بالذات ثلاثة عشر ألف جنيه ...

اهم مؤلفاته الحديثة

أصبح جورج برنارد شو بعد جولاته الموفقة هذه في عالم التأليف من أشهر الكتاب وأبرزهم وأحقهم بالزعامة . فقد خلدت له رواياته شهرة عالمية كبيرة وتوجته باكاليل من المجد والغار . واختارت له مكانا ممتازا بين كبار الكتاب في التاريخ

ابتدأ في عام ١٩٣٠ ينشر أولى مؤلفاته النقص *Immaturity* وهي الرواية التي كتبها عام ١٩٠٤ تقريبا ورفض الناشر نشرها والرواية كلاسيكية من نوع ممتاز اسلوبها فيكتورى صميم .. وبجانب رواياته التي بدأ يخرجها واحدة تلو الاخرى . كان يكتب على صفحات الجرائد في كل مناسبة لها قيمتها ..

حدث أن هرب احد المسجونين من سجن « باكهرست » وقبض عليه ثانيا وقيد في سلاسل ثقيلة لمدة ستة أشهر ، كما تقضى بذلك لوائح السجون .. فأرسل شو رسالة مطولة إلى الدبلي نيوز يقول فيها:
حكم على الرجل بالسجن ، لاليسجن نفسه لان الغريزة الرياضية لكل رجل رياضي تحتم عليه أن يهرب اذا مكثته الفرصة من ذلك..
وكم أعجب من تصرفات رؤساء السجون . تلك التصرفات المقلوبة الاوضاع فالسجن وبنادقه وجدرانها ومطاريسه كيف تقف كلها ضد رجل واحد اعزل كان يحب على الشعب أن يصفق بحرارة لبراعة الرجل ومقدرته على الهروب ولم تذهب تعليقاته ادراج الرياح . فقد فككت عنه الاغلال سريعا ...

في مايو عام ١٩٢٨ كتب الدكتور باسن مقالا في الدبلي نيوز يقول فيه «إن غدة القردة التي يستعملها بعض الناس للتصاني خطيرة جداً ، لانها تورث الانسان خصال القردة ، كما تورث نسلهم خصال الهمجية والوحشية . وهذه الخصال بالاجمال هي القسوة والشهوانية ...»

فكان هذا مجرد نداء لبرنارد شو الذي انبرى له على الاثر في الميدان ورد

عليه بمقال قاس طريف ابتدأه بقوله « هل حدث أن قردا ما قطع غدة لرجل
ليطعمها قرداً آخر ليجعله يعيش مدة أخرى غير طبيعية أو إضافية ، فوق
حياته ١٤٤ !

هل كان « تركماد » قردا ؟ أكانت الحرب الماضية حرب قرودة أم حرب
رجال ؟ أكان الغاز السام من اختراع القرودة أم من اختراع البشر ؟
فكيف اذن يستخدم الدكتور باسن كلمات قسوة ، ووحشية ، وهمجية من
غير أن يخجل ...

لقد فاتك الكثير يادكتور باسن ، لاننا نحن الذين حرقنا ادمعتنا على
مذبح العلماء ومعاملهم ، أصبحنا صرعى لقسوة علماء البشر !!
فهو في هذه الناحية يكره العلماء الذين يعذبون الحيوان سعيا وراء الفائدة
العلمية أو السيكولوجية . فهو يلاحقهم بهجائه القاسى ونفده اللاذع وتعريضه
القوى . . .

ولا يسعنا اذن ما دمنا قد سقنا الحديث عن كراهيته للعلماء وعطفه وحده
على الحيوان أن نذكر جزءاً من روايته :

« البربرية تبحث عن الله »

كتب برنارد شو هذه الرواية عند زيارته لجنوب افريقيا في أوائل عام
١٩٣٢ . وقد حدث لوجه في هذه الزيارة حادث اصطدام بسيارة فمكنته
الفرصة من المكث شهرا كاملا استجم فيه استجماء وافراً ، ثم شرع يكتب هذه
الرواية وفيها يامن العلماء جميعاً وعل رأسهم العالم الروسى المشهور بافلوف فقد
سخر منه ومن تجاربه القاسية التى كثيراً ما كان يجربها على الحيوانات الضعيفة
كالكلاب والقطط ...

وفىها يدافع شو دفاعا مجيدا عن الحيوان المسكين الذى يقع فريسة مباضع
هؤلاء العلماء الذين يظنون انهم كثيرا ما يصلون اما معرفة حقائق الاشياء
وماهيتها ، ولكن الواقع انهم كثيرا ما يحيدون عن الطريق السوى بل ويتجردون
عن انسانياتهم فينقلون الى ابالسة ، أو وحوش ضارية ...

وما ذنب ذلك الحيوان المسكين ، وما هي جريرته ؟ فقد يصاب المسكين
بعاهة مستديمة أو بنقص دائم . وقد يموت بينما ذلك الانسان الذى سبب له الموت
المبكر ينعم بالراحة والسعادة والطمانينة . .

لماذا لا يجرى العالم تجاربه على الانسان ... لان القانون يمنعه ، ولماذا
لا يكون هناك قانون مماثل يحمى الحيوان المسكين شر العالم الطاغية ...

وتبحث البربرية عن الله فلا تجده ، ولعل هذه الرواية تظهر الحاد شو
وسخطه ونقمته على ما فى الحياة من نقص التكوين الى غير ذلك من
البحوث الدقيقة التى يثيرها ليجث عن رد مقنع لها ؟!

وله غير ذلك روايات حديثة كثيرة منها (عربة التفاح) اتما عام
١٩٢٩ وكتبها فى ستة اسابيع كاملة ...

ثم روايته *Too true to be good* ومثلت عام ١٩٣٢ وتدور الرواية حول
الكولونيل لورانس بطل بلاد العرب المشهور

وكان امير دمشق — لورانس كما يسميه شو — من اصدقائه المقربين ،
وتوطدت علاقته بشو وزوجه واعجب بها اعجابا كبيرا ورسائله مع زوج شو
لا تزال محفوظة فى المتحف البريطانى الى اليوم

وفى عام ١٩٣٣ اخرج رواية اخرى سماها « على الصخور » لا تقل روعة
عن سابقتها

وفى عام ١٩٣٥ اخرج رواية اخرى « ابله الجزر غير المنظورة » وقدمت
كل هذه الروايات فى « المالفرن » تباعا . ثم « المليونيرة » عام ١٩٣٧

ثم « جنيت » عام ١٩٣٨ وقد نقلت الى العربية ايضا ...

ثم « وفى ايام الملك تشارلس الذهبية ... » عام ١٩٣٩

واحدث مؤلفاته هي كتابه الجديد عن السياسة الدولية وقد لخصه الاستاذ

حلى مراد فى اوائل هذا العام ...

ويعد الكتاب الانجليز دراماته « قصر وكيوباتره » ، « روكلاس » ، « الاسد
والقدسيه جان » ، من خير ما انتج عبقرى . بل ويعدونها جميعا من ادوع
رواياته الخالدة ...



برنارد شو النبي
في نظر الالمان !!

رحلاته

قام برنارد شو برحلات كثيرة حول العالم، وسأله أحد الصحفيين مرة عن رأيه في البلاد التي زارها فأجابه : «سيام جديدة بالزيارة لأن الجيل الجديد هناك يحترم كلمة الكبار العارفين ... بل ويستمد نصحه من كبارهم المجرين ... وهذا هو عكس ما نراه في إنجلترا ... فهاأنذا دائب لنصح مواطني الاغرار ... ولكن نصحي دائما يذهب في الهواء ولا يحاول احد أن يصغي الى ...»

وفي اوائل عام ١٩٣٢ زار جنوب افريقيا مع زوجته ، وحدث أن وقعت له ولزوجه حادثة سيارة ، مكث يعالج زوجه أكثر من شهر ، إذ انه لم يصب بسوء يذكر عمد الى الاستجمام والراحة وأخذ يكتب رواية «مغامرات الفتاة السوداء» في بحثها عن الله، ولعله استقى وحى كتابته من هناك ...

وزار روسيا لأول مرة عام ١٩٣٦ ، ولم تكن زيارته لها مقصودة بل بدعوة من اللورد أستور ليرافقه هو وعائلته .. وهناك قاده حسن حظه إلى مقابلة ستالين ، وكانت مقابلات ستالين في هذا الوقت غير ممنوحة مطلقا للأجانب ، ولكنه بنفوذ اللورد أستور نفسه هيأت المقابلة له ولاصداقه .. وسنحت الفرصة له أن يرى ستالين عن قرب ويتحدث اليه وكتب يقول عنه. إن ستالين لا يشابه الدكتاتوريين الآخرين فله اتجاه مزاحي نادر وبديهة وسرعة خاطر ... إنه ليس روسيا بل جورجيانيا . ظريف لطيف ... عيناه سوداوان ورشهما عن جنسه .. وفيه مزيج من البابا والفيلد مارشال .. انه ستالين ما أروع من بطل ظافر ...

ولعل من طريف ما ذكره شو عن هذه المقابلة الحديث الذي دار بين ستالين وبين ليدي أستور ...

وجهت الليدي أستور نظر ستالين إلى أن السوفيات لا يعرفون كيف يعاملون الأطفال ويروونهم التربية اللائقة ...

وترجمت الجملة الى ستالين الذي تجهم وجهه فجأة واجلبها على الفور ... في إنجلترا يضربون الاطفال ياسيدتى ...

وكان برنارد شو صديقا لتولستوى ويقول تولوستوى فى خطاب ارسله لشو على اثر اهدائه رواية «الانسان والانسان المستقبل» انك لم تكن جادا الجد الكافى فى روايتك وبالرغم من انها تعالج نواح فلسفية عميقة إلا انك ايها المداعب الكبير قد اضحكت الناس كثيرا ...

فرد عليه قائلا : ولماذا نحرم الناس من الضحك والمزاح ؟ ولنفرض أن العالم هو احدى نكات الله الممتازة ؟ فلماذا اذن لا يضحك الانسان ؟ ...!

وزار بومباى أيضا فى يناير ١٩٣٣ ، كما زار نيوزلندا فى ٢٨ ابريل ١٩٣٤ وفى ٨ ابريل ١٩٣٥ قام برحلة فى البحر الاحمر قريبا من « باب المندب » وزار الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٣٣ هابطا لها من طائرة .. ويقول عن الامريكيين « إنهم أمة قرويون وان فى المائة منهم تسعة وتسعون أغبياء بله ، ولكنهم مع ذلك يعبدونى ... »

ثم ذاع عنه عند مقابله للكاتبة الامريكية الذائعة الصيت « هيلن كلر » البكاء الصماء الضريرة أنه قال : الامريكيون قوم عمى ، صم بكم ... ولكنه وضح قوله بعد ذلك .. بعد مقابلي لهيلين كلر وددت لو كان الامريكيون عميا وصما وبكيا !!

وحياته الخاصة ، كما اسلفنا ، فريدة فى نوعها . فهو اجتماعى بطبيعته ولكنه يخالف الناس فى عدم ظهوره فى المؤامرات والحفلات والمجتمعات الصاخبة ويقول أنه ليس لديه رداء سهرة مثلا .. ويتنصل من المواقف بمثل هذه الحجج الواهية التهمكية المعنى ...

ومن عادته أن يرسل شيكا بمبلغ اربعة عشر جنيها كهدية إلى صاحب الدعوة بدلا من شرائه رداء سهرة يحضر به الحفل مثلا ...

ويبدل شو جهدا جبارا فى كتابة مقدمة رواياته ، ويكلفه ذلك عناء كبيرا اكثر من كتابة الروايات نفسها ، وهو يؤمن بأن المقدمة هى زبدة آراء المؤلف وعنوان عبقريته وشخصيته

برنارد شو في عالم السياسة

لم يكن اهتمام جورج برناردشو بالسياسة الخارجية كبيرا حتى صادفت محاولة الكونت هاري كسلر للتوفيق بين إنجلترا والمانيا هوى في نفسه ..
فقد كتب الكونت على صفحات الجرائد يقول : ما دامت الدولتان قد اخرجتا للعالم شكسبير وجوته ونيوتن وليبنز فان علاقة الدولتين ببعضهما يجب ان تكون ودية وقوية ...

وسئل شو يوما عن رأيه في الاقتراح، وليعلن رأيه على صفحات الجرائد هو الآخر فكتب يقول : بالرغم من أن القرائن والدلائل تظهر لنا عظمة شكسبير وشركاه فمن يمنع هذا من وجود حرب شعواء بين الدولتين ، لا سيما والمانيا تدعى أن شكسبير كان المانيا، وأن الانجليز لم يفكروا في وجوده مطلقا واختتم مقاله بقوله: إن مواطني شكسبير لن يهدأ لهم بال حتى يروا بأعينهم الاسطول الالماني وهو يغوص الى اعماق بحر الشمال ..

وكانا لمقاله اللذين نشر اولهما في الديلي كرونكل في ١٨ مارس ١٩١٣ والثاني في الديلي نيوز في أول يناير سنة ١٩١٤ صدى كبيرا وفتيحا لاذهان الناعسين من اقطاب الساسة والدبلوماسيين ...

وهو يكره الحرب وما تجره على الانسان من دمار وخراب ، ولما فيها من صبغة اجرامية بحته ما دام يتسلط على العالم حكام مجرمون سفاكون ..

وكان له رأى في سياسة إنجلترا قبيل الحرب العالمية الاولى ، ونشط ككل سياسي وقدم اقتراحين اولهما : أن تقوم إنجلترا باقتراحين لدى فرنسا والمانيا بمعاهدة ثلاثية تلخص في أنه اذا هاجمت فرنسا المانيا يتحد الانجليز مع المانيا ويسحقان فرنسا وإذا هاجمت المانيا فرنسا فعلى الانجليز أن يؤازروا فرنسا ويبيدوا المانيا من الوجود... واذا فرضنا وهاجمت قوة أخرى إحدى الطرفين، فرنسا أو المانيا، فيجب على الثلاثة أن يتحدوا ضد هذه القوة الغشوم ويعملوا على ابادتها ...

ثانيهما : إذا لم تغلح إنجلترا في كسب أحد الطرفين فعلها أن تقوى نفسها بنفسها وتتزود بالسلاح استعداداً للعركة، وعليها أن تجعل التجنيد إجبارياً وأن تمنى الروح العسكرية بكافة الطرق والوسائل ..

ولكن للأسف لم ينصت أحد لاقتراحه، بل لقد داعبه بعض الدبلوماسيين وعلقوا على اقتراحه بالسخرية فقال أحدهم: إذا قدر لشو أن يتبوأ مركزاً مافى وزارة الخارجية فاني أراهن أن حرباً طاحنة قد يستعر أجيجها في اسبوعين من تاريخ خدمته... رحمنا الله من شو ودبلوماسيته ..

وعلق برنارد شو أخيراً على ذلك بقوله: «لاني لم اكن في وزارة الخارجية اندلعت نيران الحرب العالمية في ثمانية عشر شهراً فقط !! ..»

اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى في اغسطس عام ١٩١٤ فانطلق شو يدون حقائق هذا الصراع السياسي بين الدولتين فضمن آراءه في كتاب قيم يعد بحق آية رائدة في عالم المؤلفات السياسية وسماه «فطرة الاندفاع الى الحرب» وطبع من هذا الكتاب ٧٥٠,٠٠٠ نسخة . ويتكلم فيه المؤلف بأسهاب عن الاعتداء على حياد بلجيكا وأن الانجليز كانوا سببه وأن توسطهم كان توسطاً رديئاً ...

ثم يطرق شو في كتابه ناحية فلسفية فيناقشك عن الحرب وماهيتها واسبابها وفضاعتها فيقول: «لو كان جنود الأمم عقلاء لتعاونوا على قتل ضباطهم ، ورجعوا الى اوطانهم آمنين ... ولو كان المدنيون عقلاء لرفضوا أن يدفعوا ثمناً للحروب الدبلوماسية ... فالقواد والأسياذ وكبار الرجال العسكريين في إنجلترا كما هم في المانيا ... فسمعة الانجليز خارج بلادهم لا تتعدى معرفة الناس برائهم وحبهم لتجديد انفسهم ، والتشهير بالعدو ليس طريقة سليمة لكسب الحرب .. فقد كان يمكن ان تمنع الحرب لو كان السير ادوارد جراي — سكرتير خارجية إنجلترا — قام بمهمته خير قيام من غير لؤم أو رياء وأوضح خطة إنجلترا مفاداة للمصادمات العنيفة والحروب الطاحنة التي قد تستجد وتهدد اركان السلام في كل وقت ...»

الى غير ما جاء في هذا الكتاب الخالد من نفحات ونسمات ...

ثم دأب يعلق على حوادث الحرب بسخريته اللاذعة وبنقده الدقيق فقد حمل حملة شعواء على البحرية الانجليزية ، عندما اغرقت غواصة المانية الباخرة لستانيا

ولما كان شو يعتبر في ذلك الوقت خطرا محسبا فقد رفضت جريدة دى نيو ستيمان نشر مقالاته وتعليقاته ، ولما كان شو قد ساعد صاحبها بمساعدة مالية عام ١٩١٣ هو وعائلة وبلاخاج جريدته ، فانه انقطع عن مراسلتها إلى عام ١٩٣٩ وأنكر على صاحبها فعلته الرديئة . ولما شبت نيران الحرب العالمية الثانية قامت الجريدة بنشر كل مقالاته وتعليقاته باهتمام زائد ويظهر أن مخاصمة شو لصاحبها تركت في نفسه أثرا كبيرا ، كفر في هذه المدة الطويلة عن خطيئته فرحب بمقالاته شو أخيرا ونشرها عن آخرها ..

والجريدة الوحيدة التي ساعدته حينذاك على نشر مقالاته هي جريدة دى نيشن ..

قام الكتاب الانجليز في أوائل عام ١٩١٤ بكتابة مجلد فخم عن « البرت » ملك بلجيكا يثون فيه الشعب الانجليزى والشعوب الأوربية الغيرة بمديد المساعدة إلى بلجيكا ، وساهم في كتابته قادة الفكر والأدباء في إنجلترا وقامت بجمعه ونشره جريدة « الديلى تلغراف » واتجهت الفكرة أولا إلى ضرورة كتابة شو فيه ولكن جريدة التلغراف كغيرها من الجرائد المعاصرة اهتزت أمام كتابات برنارد شو عن الحرب فساهم في تحرير الكتاب ولكن لم يظهر اسمه فيه ويقول شو في ذلك .. « كتبت عرضا قويا مثيرا للعاطفة ، حتى اننى لما قرأت ما كتبت لم اتردد مطلقا في أن ارسل مبلغا جسيما لمساعدة منى للمشروع الجليل ! ... »

ثم حدث بعد ذلك مباشرة أن طلب البلجيكيون من شو أن يكتب لهم طلبا آخر إلى أمريكا ، مما ادهش الديلى تلغراف يومها وكتبت تندد عن عبقرية ذلك الرجل ، معبود الملايين من الناس ...

ثم يحى بعد ذلك حادث آخر له اهميته في تاريخ السياسة الانجليزية كان لجورج برنارد شو الضلع الاكبر فيه ..

والحادث هو رسالة بعث بها شو إلى شيوخ مراکش يقول فيها ..

في بداية الحرب العالمية الاولى حاول الالمان بذور ثورة ضد الفرنسيين في مراکش والجزائر وقاموا بتوزيع منشورات كتبت بلغة عربية فصحي يدعون

فيها اننى — جورج برنارد شو — نبي عظيم ومبعوت العناية الالهية في ذلك العصر الغابر، ويعزون نبوتى إلى حديث سابق لى مع أحد الشيوخ الامريكيين حيث قلت فيه إن اغتصاب حياد بلجيكا كان حادثاً حريياً بحتاً وليس سبباً مباشراً لاندلاع نيران الحرب ...

ومن العسير على أن أفهم منطق هذه الحركة الالمانية الغربية، التى قد تحمس أى شيخ مراكشى وتجعله يثور ويهجر لكلمة لم تخصه أو تسترع اهتمامه على الاطلاق ولكن الألمان قاموا بلبعتهم وركزوها فى عقول المراكشيين وصرفوا على دعايتهم المال الكثير . .

فجاءنى فى يوم ما زميل لى هو المستر ا.ا. و. ماسون وكان قد ساهم بقسط وافر فى الحرب وكانت مهمته أن يراوغ الألمان حول البحر الأبيض المتوسط وما حوله ويتجسس على مدى نشاطهم فى هذا الاقليم ، وسألتنى أن أكتب كلمة أنكر بها ما ينسب لى وأنقض هذا الادعاء السخيف ، وخصوصاً وقد قال عني الألمان إننى من أصل المائى وبالنسبة الى زيارتى لمراكش وصداقتى لبعض الشيوخ المراكشيين لم تكن المسألة عقيمة أو صعبة على ولا سيما وأنا نهاز الفروسة الذهبية . .

والمسائل النبوية لها فألها الحسن أحياناً ، ففقت أنا وماسون لتونا وكتبنا رسالة اقتبسنا أسلوبها من أسلوب الكتب المقدسة والليالى العربية وصغناها فى قالب نبوى والرسالة — كما ارجو — لا تزال محتفظة بمكانها السامى فى الأدب العربى، كصورة اضافية من صور القرآن .

ثم ترجمت الرسالة ووزعت ، فبدأ بال المراكشيين ولم أذكر أنهم قاموا بحركة ما فلقد كانت برداً وسلاماً عليهم . . إذ كانت مليئة بالمفاجئات مطولة إلى أبعد حدود الطول والمادة . . .

وإذا كان نشاطه السياسى كبيراً . . ونقده لسياسة بلدة أكبر هاجمه بعض الجرائد وأشاعت عنه أنه سجين منزله، ولا يمكنه أن يتركه خوفاً من قيام الرعاع عليه ، فالرأى العام غير راض عنه وأن رسالته قد خبت وأن شهرته قد ماتت وأصبح متروكاً تحت رحمة الشياطين تعيره وتحط من قدره إلى غير ذلك من تشنيع لا يخلو من سفه وجهالة . . .

ونشرت هذه الأقوال في جرائد برلين وفيينا ...
والواقع أنه كان في هذه الاثناء يرتاد الأندية الأدبية يخطب في جماهير
المستمعين المعجبين به ، وأطلقت الجرائد وراءه فريقا من الصحفيين والمخبرين
ليوفوا جرائدهم عن أخبار فشله وانهاره فكانت النتيجة عكسية وجاءوا بأخبار
فوزه وانتصاره في كل ميدان ارتاده وخطب في ناسه . .
بل لقد تكندت لديه في شهور قليلة آلاف الرسائل من المعجبين بكتبه
عن الحرب والمولعين بخطاباته الرنانة . .
وانطفأت نيران الحرب العالمية الاولى ولم ينقطع نشاطه السياسي بل استمر
يعبر عن آرائه مرسلا نصائحه لرجال السياسة والأحزاب .
وبالرغم من أنه لم يحضر اجتماعات مجلس الشيوخ البريطاني طيلة حياته
فقد حضر أولى جلسات عصبة الأمم عام ١٩٢٨ ولم تحز العصبة إعجابه ، بل
أبدى رأيه فيها بصراحة . . في جو جنيف الهادئ . . الوطنية تموت والوطني
هناك جاسوس لا يمكن قتله . . !!
ولكن اتجاهه الأدبي كان عماد حيويته وسر وجوده ، فقد اختفت وقامت
حكومات وعقدت معاهدات وانتصرت الديمقراطية واندحرت الدكتاتورية .
وميله إلى المسرح كان لها الغلبة في هذا الصراع السياسي الطويل . فالمسرح لا
يزال قائما على صخوره القوية لا تعصف به العواصف أو تهزأ به الاقدار . .
أوريبيد وأرسوفان ، وشكسبير وموليير . وجويته وأبسن بقوا صامدين في
مقاعدهم الخالدة . . .

برنارد شو وفرانك هارس

كان فرانك هارس كما عرفناه رئيس تحرير «الستراي ريفيو» وكان برنارد شو ناقدا للدراما تحت رئاسته في عام ١٨٩٥، ٢٨٩٧. وخصه هارس باكثر من التفات وتوطدت بينهما الصداقة إلى درجة بعيدة .

وكان هارس مرحا فوق العادة ، مسرفاً إلى ابعد حدود الاسراف ، فقد حدث انه بعد أن باع «الستراي ريفيو» قامر بالثمن وبما لديه من مال حتى أفلس ثم أخذ يحرر في جرائد مختلفة وتعرض لتقد برنارد شو بأسلوب تهكمي لاذع مما جعل برنارد شو يقرأ نقده بلذة ويقول « لا شك أن نقده كان يكتبه أحد السعاه عنده .. فهارس في هذه الأيام يعمل بشتى الطرق لكسب عيشه !! .. » وبعد ابتداء الحرب العالمية الأولى نزح هارس إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث رأس تحرير جريدة «بير سون مجزين» وأخذ يكتب سأسلة طويلة عن الأدباء المعاصرين ومن بينهم برنارد شو ..

والف فرانك هارس كتابه المعروف « حياة واعترافات أوسكار وايلد » كتب مقدمته برنارد شو .. ثم كتب آخر عن برنارد شو ، وارسل الناثرون يومها الكتاب إلى شو ليأخذوا رأيه فيه ويوافق على ما جاء به . وكان شو على وشك أن يرفضه ، لما جاء فيه من مفتريات واكاذيب عن حياة الكاتب العظيم . عندما جاء خبر موت هارس ..

فأخذ اعادة الكتاب من جديد وتصحيح مواضيعه وحقائقه . مساعدة منه إلى أرملة هارس التي تركها بعلمها في حالة فقر مدقع ...

وكان لكتاب هارس عن اوسكار وايلد رد فعل شديد في انجلترا ، إذ اتهمه النقاد واصدقاء وايلد بأسرافه الشديد ومغالاته في سرد حقائق حياة وايلد واتهموه بالكذب الصريح ، وانبرى له في الميدان « شيرارد » واخرج عام ١٩٣٧ كتاباً عنوانه « برنارد شو وفرانك هارس واوسكار وايلد » حمل فيه حملة شعواء على هارس واتهمه بجملة الاتهامات السابقة ..

واستفسر النقاد يوم ظهر الكتاب عن السبب الذي دعا برنارد شو
لكتابة مقدمة لكتاب مليء بالكاذب والمفتريات عن حياة وايلد ...
وقام بحملة النقد دسمند ما كدنى في السنداي تايمز و هارولد نيكلسن في
الديلي تلغراف وهسكت بيرسون في الابرر فر ...
فاجاب شو في رسالة ارسلها إلى «السنداي تايمز» يقول فيها : إن كل ما تركه
هارس لزوجته كتابان فقط من تلك الثروة الضخمة التي كانت تحت يده في يوم
ما و ابادها عن آخرها ...
أنتى اقترح على زوجات دسمند وشيرارد وبيرسون وشركاهم أن يساهموا
في شراء حقوق طبع الكتايين من مسز هارس ويقمن بطبعهما على حسابهن
إن كانت عندهن غيرة نحو زميلتهن !!...

عرض عليه فرنك هارس وهو في امريكا ان يزور الولايات المتحدة حيث
يتعاقدان مع احدى الشركات السينائية الكبيرة لاجراج إحدى الروايات يظهر
فيها شو ازاء عرض سخى لا يقل عن ربع مليون دولار ...
فكتب شو يقول لهارس ... « لا يا صديقي ... انى امضائى ج. ب. ش.
كفيل بأن يحصل على مليون دولار فى غمضة عين ... لا ربع مليون كما
تقول ... »

شو والحرب العالمية الثانية

في عيد ميلاده الثالث والثمانين عام ١٩٣٩ اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية فسلته «الدبلي» كسبريس» رأيه في الحرب والسلام فأجاب: السلام الآن محفوظ بالمخاطر والاهوال. والسلام الدائم أصبح حللا لا يمكن أن يحققه الايام ثم قال إن هتلر سوف يسوم اليهود عذابا كبيرا، وقد حدث هذا بالفعل وبعد شهر حدث أن وصل هتلر إلى تفاهم مع ستالين فكسب شو في جريدة التيمس يقول: من أسبوع مضى كتب العميد أنج في الايفننج ستاندرد يقول ان الهر هتلر ذهب إلى كانوسا وبعد أيام قلائل جاءت الاخبار بأن العميد كان محقا وان الهر هتلر أصبح تحت أصبع ستالين القوى . .
وهاجم هتلر بولندا فسحقها واقتسم الغنيمة مع روسيا فأعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على المانيا لغزوه بولندا . .

وفي نهاية أغسطس سافر شو إلى فرتون ومن هناك كتب إلى التيمس مقالا يقول فيه إن انجلترا مدينة لستالين صده المانيا .

ثم كتب شو في هذه الحرب روايته: العقل غير السليم في الحرب: يمدح فيها ستالين ويعرض فيها للموقف السياسي في انجلترا و ألمانيا ويقترح فيها أن يتفاوض الانجليز مع ألمانيا للصالح حتى لا تتكرر المهزلة ويعم الخراب الديار من جديد . .

وهاجم هتلر روسيا في يونيه عام ١٩٤١ وكان الرأي العام أن روسيا لن تقاوم كثيرا بل قدر لها بعض القوادسة أساسا ويعتقد الصلح . وقامت بعض الجرائد تقول إذا أمكن روسيا أن تقاوم ولو لمدة ثلاثة شهور فسيكون لدينا فرصة قوية لمهاجمة المانيا والقضاء عليها ولكن برنارد شو ذلك الفطن البعيد النظر كان الوحيد في انجلترا الذي أعلن أكثر من مرة انتصار روسيا فكسب في « نيوزكرو نكل » في ٢٣ يونيه عام ١٩٤١ يقول: أن الاخبار طيبة جدا لتكون حقائق فبالامس فقط واجهنا نحن وأمريكا الموقف وعزنا على سحقه. وروسيا في مكانها جالسة تضحك . . واليوم تباعا لمهازل هتلر وخطه الخادعة — ليس لدينا شيء الا أن يجلس ونضحك في حين أن ستالين يسحق هتلر — فقد ضاعت الفرصة من ألمانيا

ثروته في الميزان

درت عليه رواياته اموالا طائلة . وقد ذكرنا الارقام التي وصلت اليها في الحديث عن مسرحياته ...

ودخل برنارد شو كبير جدا ، وخصوصاً اذا أضفناه إلى دخل زوجه ... كتبت الجرائد تقول عن فيلم مسرحية ييجاليون إن صافي ارباحه كانت ٥٥,٠٠٠ جنيه ويقول شو .. اقسم هذا المبلغ على اربعة لتتخلص من المبالغة، ثم اخضم قيمة الضرائب الانجليزية والامريكية . ثم استثمر الباقي بسعر ٢ ونصف في المائة اذا امكنتك استخراجه . ثم اخضم من الربح ضريبة بمقدار ١٢ شلنا عن كل جنيه وهذا يعطيك العيش اخيراً من غير زبد ... إن تسعة اعشار الناس لا يعرفون شيئاً عن المال اذا جرى في عددٍين أو اكثر ... فما بالك إن سار على طريقتي هذه؟! ..

وفي يناير عام ١٩٤٢ قال برنارد شو عن فيلم «ييجاليون» ثانياً ... وإن أرباحي الخاصة من فيلم ييجاليون وصلت ٢٩,٠٠٠ جنيه وكلفتني ذلك دفع ضريبة مقدارها ٥,٠٠٠ جنيه ... حفظتك السماء من نجاح كهذا، وكفاني بآخر يبعث في الى عالم الخراب المحقق ...

سئل لماذا اقترض مناجم درهام ٣٠,٠٠٠ جنيه لبناء بيوت عمال فاجاب (٦ في المائة !!) وللقارىء ان يفسرها التفسير المناسب ...

وفي عام ١٩٢٨ اخرج كتاب المرشد النسائي الثمين عن الاشتراكية، ويخلص فيه آراءه التي جمعها خلال اربعين سنة . ولا يمكن لكاتب معاصر أن يأتي بمثل هذا الكتاب الفريد في نوعه لما احتواه من موضوعات فنية تكتبكية ..

ففي نظره الى المال يخالف الاشتراكيين جميعاً ... ان المفكرين الحقيقيين يقولون لك انه لا دخل للبال في السعادة أو الشقاء الانساني ... فالمال يمنع الجوع ولكنه لا يسبب السعادة ... كالطعام تماماً يكفي الشبهة ولكنه لا يغذي الروح ...

وبالرغم من انه ليس من الماديين إلا انه يستقى حكمته من منبع اوسع خيالاً مما تصور ... والخلق الكريم هو احترام تدين به نفسك ... والناس ينجحون نفسياً بملكهم لهذا الاحترام الشخصي .. فهناك شيء فينا اسمه (الروح) التي تعمل جاهدة على نقل الرذيلة ، التي بدونها لا يمكن للمادة ان تتحمل حياتنا فالخلق الطيب هو غريزة فينا لا يملية السبب بل هو غريزة وراء السبب. والسبب فقط يكتشف الطريق القصير ولكنه لا يكتشف المكان.

وضعت الحرب العالمية الآلى اوزارها ، فعاد نشاط شو إلى المسرح والمسرحيات ، فقام تشارلس ماكدونا بعرض وتمثيل روايات شو فى الأقاليم فلاقته نجاحاً منقطع النظير ...

وفى اوائل عام ١٩١٣ ابتداء يكتب روايته الخالدة «هارت ريك هاوس» التي يقول عنها .. إن شكسبير لا يمكنه أن يخرج رواية تضارعها .. وكتب روايته الأخرى «ميثوزيلا» ومثلت لأول مرة فى الكورت ثيتر فى خريف عام ١٩٢١ وربحت الرواية ٥٠٠ جنيه فى الاسبوع واستمر تمثيلها اربع ساعات كاملة كل يوم ..

وكان برنارد شو يرغب فى كتابة دراما عن حياة النبي محمد ولكن اللورد تشمبرلين رفض أن يرخص بالرواية خوفاً من حدوث مشاكل أو يغضب السفير التركى ..

ولكنه فى رواية ميثوزيلا كتب عن النبي العربى يقول .. «وانه رجل حكيم حقاً لانه أوجد ديناً من غير كنيسة !!»

وإذ منع الرقيب روايته عن محمد خوفاً من أن يثور عليه أحد المسلمين المتعصبين كتب شو روايته «جلن دارك» بدلا منها فى عام ١٩٢٣ ..

ولعل من طريف ما يذكر أن الممثلة سيسيل ثورنديك ارادت أن تمثل رواية كانديدا فنصحها شو بقوله .. «خير لك أن تذهبي لمنزلك وتعلمي تديره جيداً ، ثم تنجبي اربعة اطفال أو ستة اذا قدرت على ذلك ، ثم تأتى اخيراً ، تمثلي كانديدا !!!»

بل ولعل الاطراف أن الممثلة قبلت تصيحته وعادت له بعد سنين ومثلت

كانديدا : ومثلت الرواية القديسة جان في ٢٦ مارس ١٩٢٤ في لندن ثم بعد ذلك بشهور قليلة في نيويورك ...

وتوجت الرواية الاخيرة حياة شوبل وغيرت رأى الكثير فيه ، ذلك الذى اضحك العالم سنوات طويلة بنكاته المستملحة وفكاهته الراقية ذلك الذى هز اوتار البرق بكلماته الخالدة التى يتناقلها الناس فى كل مكان وزمان... وقف يحاضر مرة عام ١٩٢٨ فى طلبة الاكاديمية الملكية لفن الدراما يقول... «مما آسف له حقا ، اننى لن اكون يوما ما مؤلفا عظيما.. فاذا ما وصلت إلى اوج مجدى ، تظهر لى نكتة ، لا اتمالك نفسى من قولها ... فلدى ملكة التمثيل الفنية القوية ، بل ولدى قوة على المزاح .. هذا المزاح الذى يسقط من هيبتي إلى حد بعيد...»

وفى عام ١٩٣٥ منح شو جائزة نوبل فى الأدب ، ولكنه رفضها بحجة انه لم ينتج شيئا فى هذه السنة يستحق عليه جائزة نوبل أو غير نوبل.. وكتب الى سكرتير الاكاديمية السويدية يقول : « المال كحزام النجاة .. التى به إلى السباح فى وقت وصل فيه إلى الشاطئ ، سالما. اننى اقترح أن تستخدم المال لمساعدة الأدباء الذين يعملون على توثيق صلاته بين السويد والجزر البريطانية »

وحدث بعد ذلك مباشرة ، بعد أن علم الناس خبر رفضه ، أن قام الأمريكيون بدعاية واسعة يقولون فيها « رفض الجائزة لثرائه الفاحش وما دام غنيا فنحن نطمع فى ان يقرضنا بعض ما لديه ... »

فرد شو قائلا ... « هؤلاء الامريكيون ... انهم همجيون حقا... ليس على أن اتخذ الامريكى من الخراب بنقده بضعة دولارات ... فاللائمة يجب أن تقع على عاتق نوبل واختراعه الديناميتى ... وليذهب نوبل وجائزته إلى صتير إن شاء ... »



برناردشو فیلسوف مبدع ...

۱۹۰۶

فلسفته

تطالع فلسفة جورج برنارد شو في رواياته الفلسفية ، واعل أقربها وأوقعها في النفس روايته الانسان وانسان المستقبل ..

ففي هذه الرواية بالذات يدخل شو في طور الكاتب والمفكر ، فالرواية مزيج من الكوميديا والفلسفة ، أو بمعنى آخر الفلسفة الكوميديّة - إن صح هذا التعبير ...

يتناول فيها شو الحديث عن التطور الابداعي الذي خطا خطوة كبيرة على يديه وعلى يدي برجسون. فهو يتناول به التهذيب متمشياً على هدى صمويل بطر الذي كان له الضلع الاكبر في اظهار المذهب الدارويني الجديد .

ودراسة عابرة لهذه الكوميديا ترينا أنها تحتوى فقط على أربعة فصول. أهمها الفصل الأول والثاني والرابع . أما الفصل الثالث دون جوان في الجحيم ، فهو نوع من الفلسفة الترفية الذي لا حاجة له مطلقاً في كتابة الكوميديا الاجتماعية ولكنه على كل حال يلقي شعاعاً على المذهب الشفياني الحيوي الجديد .

أما جوهر فلسفة شو فيحتويها الفصل الثالث. لأنه مجموعة من الأمثلة الحكيمة أو بمعنى آخر هو أروع وأبرع ما كتب في الدراما من أدب وفلسفة ودين .

والعجيب ان الناس ظنوا عندما ظهرت هذه الرواية أنها من ذلك النوع الرخيص الوقح لما احتوته عباراتها على كثير من السخرية القاتلة والسفور المتساهل . فمن هذه العبارات مثلاً قوله : الرجل هو الصياد . . . والمرأة هي الصيد . . .

ويسمى شو القوة الخفية المدبرة لهذا الكون والمسيطرة عليه ، قوة التطور أو قوة الحياة ، ويستدل على ذلك بقوله بان المرأة هي قوة الحياة المتجسدة . بل وهي القصد البدائي الهام لتكميل غرض الحياة وقانونها . المرأة هي التابعة والمدبرة والرجل هو المتبوع والمتصرف . . .

ويعتبر برنارد شو روايته هذه هي الوحيدة في التاريخ التي كتبت عن أصل الجنسيتين (الرجل والمرأة) .

فالعالم كله في انتظار ذلك الانسان أو السبرمان الذي هو في طريق النشوء والارتقاء .

وهو في بحثه عن ذلك المخلوق المزعوم إنما يبحث عن فلسفة جديدة ، فنراه
يعتمد إلى نفس الطريقة التي عمد إليها مفكرون معاصرون له

فبه يثير مشكلة خطيرة ألا وهي مشكلة الإله الناقص . وقد تبع شو هذا
الاعتقاد ليشرح مشاكل الخطيئة وما يزرع به العالم من متاعب وآثام . وشو
صوفي بحث لا يعترف أو لا يعترفه شعور بوجود إله يسيطر على هذا العالم .
ولكنه يفسر قوله بأن هناك قوة كبيرة تحرك هذا العالم الذي نعيش فيه . فهذه

القوة — وهي قوة الحياة تسير بقدرة ثابتة تجاه الكمال المطلق . ويكون من
نتيجة هذا السير الجدي السريع المتزن أنها تخلق سربا ما أعلى مرتبة من الإنسان
الحالي نتيجة حتمية لهذه المقدمات التجريدية التي ابتدأت بالأميبيا حتى وصلت إلى
نظرية انتشتين النسبية .. إذن فقوة الحياة هي الله في طريق خلق نفسه ونحن
البشر كعدده والآله ومساعدته تستمد منه أكبر قسط من الشجاعة والاقدام
للنهوض للاندفاع إلى الأمام والسير بنظام تجاه ذلك الكمال المطلق المنشود
تخلق ذلك الإنسان الأعلى مرتبة منا والاقوى شخصية وحيوية عنا ...

فجوهر فلسفة برنارد شو هو ما يقوله على لسان دون جوان: أقول لك الحقيقة
أنه طالما أدركت شيئا أرفع مني ، وأعترف في قرارة نفسي أن هذا الشيء قد
يكمل أكبر قسط من نقص هذه الحياة فلن اتهاون حتى أنجح في اخراج هذا
الشيء إلى الوجود أو أن أعبد الطريق له حتى يسير على مهل ويترو ونظام ..
هذا هو قانون حياتي ، هذا هو المعمل الجدي الذي لا بد منه تمشيا مع رغبة الحياة
المستمرة الوصول إلى مرتبة أعلى وأفق أوسع وأعمق ، بل وللوصول إلى ضمير
شخصي حاد قوى أو إلى فهم نقي واضح ...

«فالتطور أو قوة الحياة لن تقف عند الإنسان . بل ستعداه إلى انسان
افضل منه إلى سربان أقوى وانفع ثم أخيرا إلى الإله كلى القدرة ...»

إذن فهو في بحثه عن ذلك الإنسان إنما يبحث عن عالم أكثر نبلا وارتفاع
اثرا . يرى من المظالم والافتراء والكذب معصوم من المادة القاهرة التي ضيعت
على الإنسان أحسن الاوقات لرقيه واعتداله ..

فيمكننا إذن أن نقول بأن عقيدة برنارد شو ورأيه ومعتقداته في الحياة
هي أن «هناك إلهما وهذا الإله يكمل سببه عن طريق التجربة والخطأ . فالله كما
تصفه كنيسة إنجلترا ، ليس له جسم أو أجزاء أو عواطف إذن فالله غاية ابداعية
وجميع المخلوقات الحية ماهي إلا تجارب لتكمل هذا النقص وتسمو به بل وهي

مقياس لحفظ القوى في المواد. وقد ينجم عن قوة الحياة أو شهوة التطور مشاكل
سلبية أو ما نسميه بالشیطان. ولهذه المخلوقات أن تصلح من هذه الاخطاء عن
طريق تقويم نفسها ومعالجة هذه الاخطاء «الشیطان» للقضاء عليه وللوصول بعده
الى طريق أسلم ...

و للعقل حس وذوق فكا هي اكتسبه بخلق المضحكات والاعاجيب التي
يمكن رؤيتها في كل فلك. كما ان له حسا بالجمال الذي يمكن مشاهدته في اماكن
حفظ الطيور أو في التماثيل الاغريقية ...

والخلق لا يمكنه أن يتوقف بدليل أن السبب أو العلة تعتبر الحاضر نتيجة
حتمية للماضي. ومستقبل الحاضر هو جريمة الماضي أو نتيجة لخطائه. أما
العقل المحي فهو دائما في المستقبل اذا كان هناك امل وشعور بحدوث المعجزة.
وقد يكون في هذا كثير من الغموض والأبهام. ولكن هذه هي فلسفته لا
يمكن تبسيطها بأكثر من ذلك. لأن الغموض من مستلزمات الفلسفة. والفلاسفة
على اختلاف نزعاتهم أكثر الناس غموضا في شرح نظرياتهم أو ابداء آرائهم
في الحياة

وقد ظهر كتابه الفلسفي هذا الذي يلخص فيه زبدة آرائه ومعتقداته .
في عام ١٩٠٣ وقد تناوله كثير من الكتاب والأدباء والفلاسفة بالنقد الشديد
الساخر ولكنهم اجمعوا بأن برنارد شو قد دخل طور الناقد الاجتماعي النابه
والفيلسوف المكتمل النضوج والحكمة .

والى القراء نسوق نقد تولستوى ثم تتبعه بنقد تشسترتون وقد تناول الاخير
نقد فلسفته باستيفاء في كتابه (جورج برنارد شو) وقد خصه باللغة العربية
الاستاذ محمد جلال ...

ولنقرأ الآن رسالة من تولستوى إلى برنارد شو على اثر استلامه كتاب
(الانسان والسبرمان) لنقف على رأيه . ففيه ايضاح ونقد لطريف لفلسفة
شو

عزى شو :

ارجو الا تؤاخذني إن لم اكن قد شكرتك على كتابك الذي ارسلته مع
المستر مود ...

والان وقد قرأته ، وخصوصا تلك الفقرات التي تركت تحتها خطوطا فانا مقدر لدون جوان خطبه الحماسية في جحيمة «ومن رأى انك لو كنت عالجت الموضوع كقصّة استطرادية في كوميديا لكان ذلك أوفق وأحسن»

أولا — ولكنني بالرغم من هذا فقد كنت بادئ الامر اتفق مع ملاحظة دون جوان عندما كلن جادا للعثور على ارادة العالم . وكان يحذر به أن يتذكر — على حد تعبيرى الخاص — ان ارادة الله في الواحد نفسه وكان يجب أن يعمل بها ..

ثانيا — لقد سرتنى محاولتك وبحثك عن عالم نظيف وحضارة عمليه ومدنية أرقى . ولن يعرف الواحد كنه هذا كله الا اذا ارتقى نوع البشرية وغير الانسان من حالته والفرق بين وجهات نظرنا هو كآلاتي:

فوجهة نظرك أن تقدم البشرية لن يأتي الا اذا تحول الانسان الى سبرمان أو إذا استخرج سبرمان طازجا .

في حين أنه في رأيي أن هذا يحدث اذا خلص الرجال الأديان الصحيحة بما فيها المسيحية من جميع الزيادات التي تشوهها واذا اتحد الجميع لفهم الحياة التي تفسرها بل وتستقر عند قاعدة كل الديانات ..

فاذا أفهموا قراءهم الى أصل العالم الأبدى ، وتقبلوا ارشاد الحياة التي تطلقو وتعبر لهم في غموض ..

وطريقتي في تحرر الناس من ربة الشيطان أزيدها على طريقتك للوصول إلى عالم الشرف والنبيل والفضيلة ..

إن الانسان ممكنه سواء أكان على قسط كبير ام صغير من التعليم أن يفكر تفكيراً صحيحاً وفي وسعه ، بشيء من الهدى والرشاد ، أن يقبل الدين الصحيح ويتبعه ، في حين أن محاولتك لاجراج سبرمان من الناس الاحياء الموجودين في هذا العالم اليوم ، أو تربية اناس جدد . يتطلب كل هذا كثيرا من الشروط القاسية بل الشاذة العسير وجودها لاصلاح حال البشرية ، أو لتقدم المدنية ..

عزيزى شو :

إن الحياة مسألة عويصة ، وكلنا فى اجلنا القصير على هذا الكوكب يجب أن نعمل جاهدين وبسرعة نحو اهدافنا . وهذا ينطبق على كل فرد وعليك أنت خاصة . لمواهبك السامية وتفكيرك السليم المستقيم وادراكك جوهر المسائل العويصة التى حار فى فهمها فلاسفة مر قبلك وعليه فلن أسئ اليك ، بل سأصارك رأى فى نقط النقص التى جملت فى كتابك ..

وأولى هذه النقط هى انك لم تكن جادا كل الجد . إذ أن عرضك لأكبر مشكلة فى العالم كان يجب عليك أن تتفادى الهزل والمزاح ولا تتخذها مجالا للتعبير عن اغراض البشرىة ، واسباب تمرداها ، وما يلعبه الشيطان فيها من ادوار ويتسلط على الكثيرين من البشر انفسهم ..

وكذلك كان يجب الا تكون مقالات دون جوان مقالات خيالية بل كان يجب أن تكون من مقالاتك أنت ، حماسية ملتية...

وكذلك ايضا كتاب « الثورويين » كان يجب ألا يكون لشخصية مجهولة . كتازم ، بل كان يحذر أن يكون من برنارد شو ذلك المشول وحده عن اعماله .. ولنستعرض الآن بعض آراء تشسترتون ونقده لفلسفة برنارد شو فقد يمكنه أن يزيد ايضاحها ويكشف بعض ما جاء فيها من غموض وانهايم ...

نجح برنارد شو فى كتابة المسرحية « وتوجته روايته قيصر وكيلوباتره بتاج من المجد والغار وفتحت له أسباب الثروة والجاه العريض . وفى نجاحه ولا شك فائدة مزدوجة له وللمعشر المؤلفين والادباء والنقاد . وليس أدل على ذلك من أن الجمهور قد أخذ يتأثر بما يثيره شو من حرب الفكر فقد زاد حماسها واشعل لهيبها واصبحت له عقيدة واسعة الانتشار ، وان كان لا يدين بها غيره فالذنب لا شك ذنبه هو ، لا ذنب غيره ..

فكتابه الانسان والسرمان كتاب غامض من الفه إلى يائه لأنه هو نفسه كتازم من غموص . فهذه السلسلة التى تصل بين افكاره القديمة والحديثة هى

سلسلة تناقض حلقاتها بعضها البعض . . فالتاس تقول عنه — او لعل هؤلاء الناس هم رجال الصحافة — انه يثير في مسرحياته المشكلة ، ويناقض نفسه . ويتهمونهم ايضا بأنه اشتراكى صميم . وفي كل هذا خروج عن الواقع لأن مسرحيات شو تختلف اختلافاً بينا عن روايات شكسبير . فررايات شكسبير مثلاً وأذكر منها هملت وهنرى الرابع ، وهنرى الخامس وضعت لتحل مشاكل الجيل الذى ظهرت فيه ولكن روايات برنارد شو جميعها من غير استثناء حلقة واسعة للدعاية والتبريح لآراء معينة يعتنقها ..

و قد جرت العادة بان كتابة القصص التمثيلية التى ترمى إلى حل مشكلة معينة يقدم كاتبها عناصر تأييد الرأى ودحضه وهذا هو ايسر قواعد الكتابة الصحيحة . ولكن روايات الدعاية والاعلان لا يكتب فيها مؤلفوها الا ما يقوى حججهم التى تنقض بعضها البعض وهذا ما حدث مع شو نفسه . وبرنارد شو لا يفهم الحياة الفهم اللائق أو الصحيح . ولست مع هؤلاء الذين يتهمونهم بالتناقض . فهو ليس متناقضاً ولكنه جاهل . جاهل بأسرار الخلق والحياة . فهو لا يفهم ايسر قواعد أصول الحياة . لا يفهم مثلاً بأن الزوجة هى ربة منزلها وأن زوجها هو رئيس المنزل المباشر . فشو لا يعترف بما فى الحياة من متناقضات وذلك لأنه قادر على سحر العقول بما يكتبه ويصوغه من عبارات منمقة معسولة . . .

ويقولون انه اشتراكى وهو ليس بالاشتركى بمعنى الكلمة الاصلى . انه يكره العوام ويتمنى أن تزول من أمامه هذه الطبقات المتراسة للوصول إلى انسان افضل يسميه السبرمان !!!

انه يسخر بالجمهور وبالتقاليد وبكل عرف . ويتجلى استخفافه بكل شئ . فى رواية « الانسان والسبرمان » انه ينفر من معالجة مشاكل الأمم الخلقية ويهرب من تقديم الحل المناسب . وكأننى به يريد أن يمحو كل شئ . فى العالم لخلق عالم جديد يدين بمذهبه وبعقيدته ويخضع لسلطانه وعظمته . . . ويمكننا أن نقول إن فلسفة برنارد شو هى الوضع المقلوب لفلسفة شو بنهور الفيلسوف الالماني الذى يقول : « الحياة غير معقولة . وفى هذا الكبر الضرر للاحياء » ويقول شو « الحياة غير معقولة — وفى هذا ضرر كبير للعقل » وهذا هو

اعتقاد شو . فاذا قال العقل بان الحياة فاقدة التمييز فان الحياة يسرها أن تحجب
بأن العقل جامد لاحياة فيه . الحياة شيء ابجدي ابتدائي . فاذا كان العقل يفوقها
فيجب أن يداس في الوحل اذا حال بيننا وبين الحياة ...

« وكل ما يطلبه شو من الانسان أن يصبح حيوانا . . فهو يريد أن يتعلق
بأهداب الحياة اولا وآخرا . . ويدعوه إلى الاستمتاع والانتعاش بملاذها
على أن يترك الحيوان وشأنه فلا يقربه أو يعتدى عليه احتراماً لارواحها . وهو
لا يريد ذلك الانسان أن يكون فيلسوفاً أو فنانياً . . بل انه لا يريد أن يكون
رجلاً بل كل ما يطلبه منه أن يكون حيواناً لا أكثر ولا اقل .

فعليه أن يتبع راية الحياة من مهده إلى لحدّه كما تتبعها كل المخلوقات
بغرائزها وميولها الفطرية التي غرستها فيها الحياة . .

واخيراً يمكننا أن نلخص فلسفة ذلك الرجل الارعن في كلمتين خالف تعرف .
« فاذا قال الناس مثلاً بأن الفقر ليس من العار في شيء . . اجابك هو على
الفور بأن الفقر جريمة لا تغتفر !

« واذا قلنا إن الرحمة فوق العدل اجابك بأن الرحمة مصدر ضعف فهي
تبعث في الناس روح الفوضى وتفشي فيهم روح الهمجية والخرول
واذا قال الناس إن الانسان يتقدم بخطى واسعة تجاه الكمال بل وانه قد
خطا خطوات واسعة في سبيل الرقي . اجابك ايضا بانه لم يتقدم خطوة واحدة
منذ خلق أو وجد — بالطريقة التي وجد بها — على هذه الارض . .
فهو يريد أن يستخلص من الناس احسنهم لخلق ذلك السبرمان المزعوم
والفكرة لاشك قد بثها فيه روح نيتشه — فيلسوف الالمان المجنون فصادفت
عنده هوى وجنوناً فصقلها في كتابه هذا . . .

« لقد افسد برنارد شو المجتمع الانجليزي فقد شجع الناس على الانانية
وبث في الشباب روح الفوضى الفكرية وبلبل عليهم افكارهم فأخذوا يلقون
انفسهم في غياهب المجهول

« وآخر سيئات هذا الرجل انه شجع رهطاً من المشعوذين الذين يمتازون عن
غيرهم بسلطة الايرلنديين على مدح انفسهم واعتناقهم افكاراً جديدة خارقة
للعقل ومن ثم يحكمون على انفسهم بأنهم أدباء حقاً ، يمتازون عن الرجل العادي

بسعة الافق وكنية الادراك .. وذلك في مظهرهم الغامض المخجل !!
والآن وقد قسونا عليه في هذا التقدير البريء لا مانع من ان نذكر له بعض
حسناته :

اولا — أنه قد عمم الفلسفة فيقول : إن الفلسفة ليست من خاصية هؤلاء
الذين يدرسون اللاهوت . ولكنها من خاصية هؤلاء الذين يولدون ويموتون
— ويقصد كل امرئ يعيش في هذه الدنيا —

ثانيا — مزج الفلسفة بالدراما وعممها في مسرحياته
ثالثا وأخيرا — قضى على الميخنة والخلاعة والوقاحة بحروبه الشعواء
التي شنها عليها !!

ويقول تشسترتون ايضا : إن السبب الهام في نظرية شوا التعليمية واعنى
فلسفته اننا يجب ان نتم مسائل الحياة الثلاث : يجب أن نأكل ونشرب ونحب
وهو بفلسفته هذه انما يقضى على شباب الأجيال القادمة ويغرس فيهم روح
الاستهتار كما أنه قد أكثر من فوضى الفكر الذي يسبب دائما هدم الفكر . فعظم
كتاباته الاولى أفسدت كثيراً من الشباب . بعكس ما كان عليه الشباب في العصور
السابقة . فقد كانت معظم هذه العصور ارسقراطية السياسة ، اكليريكية الديانة ،
وكانت جميعها ديمقراطية الفلسفة ..

برنارد شو فيلسوف مبدع

والآن وقد وقفنا على الكثير من آراء ونقد كل من تولستوى وتشسترون
يجدر بنا أن نتحدث من جانبنا عن فلسفة برنارد شو، على ضوء دراستنا الدقيقة
له ، ونبسطها بقدر المستطاع ...

فبرنارد شو فيلسوف مبدع ، يميل الى التجديد . فهو يعبد للأجيال القادمة
اضمن الطرق واسلكها للوصول إلى اهداف الكمال الذي تنشده الحياة ،
وتستخدم الانسان سبباً أو آلة أو وسيلة تعبر عليه قنطرة الوصول إلى بر ذاك
الكمال المطلق المنشود ...

فهو يسخر بالتقاليد والعادات الموروثة ، لأن الجود في نظره لن يؤدي إلى
نتيجة حاسمة . كما أن الأخذ بأفكار الاقدمين أصبح ضرباً من الخضوع والاستهانة
من المجتمع الحديث الذي لا يجب أن يتقيد بالماضي أو يقيم لذكره وزناً ...
وعلى الانسان ألا يهبط إلى دركها ، ما دام له عقل سليم ، وله تفكير منظم
يؤهلانه إلى الوصول إلى غايته ...

إن مصائب الرجعية ، بل إن مآسيها في كل جيل ، وفي كل صقع من اصقاع
هذا العالم ، لا تزال تتفاقم خطراً ، وتزداد تهوراً ، وتتوافر نمواً . وعلى الاخص
في الامم المقيدة التي لا تعيش إلا على غذاء تقاليدها الوهمية ، ولا تستنشق غير
هواء التقاليد المسموم المشبع بروائح الماضي الكريهة .
الست ترى معي أن الأمة التي لا تتقيد بتقييد ما ، هي انجح أمة وأوفق من
غيرها في مضمار البلوغ إلى ذرى الكمال ؟؟

ولا يفوتك أن الأمة التي لا تتقيد بتقييد ما هي أمة حرة نزيهة . تفهم
الحرية بمعناها المجرد ، وتستमित عادة في الدفاع عن هذه الحرية حتى لا يسلبها
اياها سالب أو ناهب ...

وهل اسوق لك مثلاً ، وها هي امريكا امامك أمة حديثة . لا تتقيد أو
تخضع لسلطان التقاليد .. قراها تشق طريقها اليوم بقدوم ثابتة تجاه الكمال المطلق ؟

وهي أكثر الامم سرعة وحضارة. وما سرعتها وما حضارتها إلا مكتسبتان من تحررها ، وما يطرأ على مرافق حياتها من تجديد كل يوم .
لقد خطت امريكا في الخمس سنوات الأخيرة ما لم تخطه غيرها في خمسة قرون لأنها تنزع دائماً الى التجديد وتطرق ابواب التقدم والحضارة بعنف وبغير هوادة ..

فالحياة في نظره ، هي تلك القوة التي تعمل في الحقاء باستمرار وبنظام وتستخدم الانسان وسيلة ، وقد يكون هذا الانسان من خلقتها ، وهو على كل انسان ناقص الحلقة ، بدليل ما يرتكبه من اخطاء جسام قد لا تصدر عن غيره من المخلوقات الاخرى .. تستخدم الحياة الانسان ، وهو ذلك المخلوق الناقص في سبيل تهذيبه وصياغته من جديد حتى إذا ما صقلته وهذبتة اخرجت منه مخلوقاً آخر خيراً منه واجدى وأكثر كمالاً وأوفر عقلاً .. وذلك المخلوق الجديد هو بلا شك ذلك الانسان الفاضل «السرمان» الذي تنبأ به نيتشه في أخريات القرن التاسع عشر وأخذ عنه الفكرة وعمل على تشذيب اطرافها جورج برنارد شو في اوائل هذا القرن العشرين ...

«إذا كان الكمال من خصائص هذه القوة الخفية ، قوة الحياة ، فلماذا اذن لم تخلق انساناً كاملاً منذ البدء ؟ !

«ولنفرض انها خلقت ذلك الانسان الكامل ، وأودعته جنة فيحاء وطلبت منه أن يعيش ويتنعم بما فيها من سحر وجمال . فلماذا بالله لم تتركه رداً طويلاً من الزمن لترى ماذا يكون منه ؟

«لماذا تعجلت عليه ، والفته في سبات عميق ، ثم انتزعت منه ضلعاً لتخلق منه انسانة طرية لدنة ، تسوق ذلك الانسان الكامل إلى طريق الغواية ، وتلدغه لدغتها المعروفة في التاريخ قهبط به إلى أرض الرذيلة والشقاء . وتطردواياه من جنة الله ليهيما على وجهيهما في الأرض طلباً للرزق بعد وفترته ، والضنى والالم بعد الراحة والهناء والنعيم ؟!

N.B
فبرنارد شو إذن يتهم هذه القوة الخفية بالنقص ويقول إن وجود الانسان في الدنيا انما يوجد ليصلح من اخطاء هذه القوة ؛ أو بمعنى آخر عليه أن يصلح

أخطاء هذه القوة بشئ ما غرسته فيه من قدرة وطاقة على التفكير والتمعن في ادراك ماهيات الاشياء وتقديرها التقدير المناسب ..

وهو في اصلاحه لحاله انما يتدرج من طور إلى طور : من طور النقص الى طور الكمال : أو من طور الانسان إلى طور السبرمان !!

وعلى كل فيمكننا أن نقول إن هذا المسلك الفلسفي الذي يسلكه برنارد شور بما يكون قد وصل اليه بعد جهد التفكير وعنايه . فالرجل ينظر الى العالم نظرة تخالف نظرة الانسان العادي . . إنه لا يلقى حكمه جزافا بل بعد ترو وامعان . .

فهو إذن فيلسوف مبدع من غير شك . . وكثيرا ما يتهمه الناس بالكفر والالحاد ، والواقع انه ليس كافراً أو ماحداً ، بل دليل انه يعتقد اعتقاداً جازماً بل ويصرح ويعترف بتلك القوة التي تسيطر على العالم وتسيره في الخفاء لتصل به الى آخر درجة من سلم الكمال المنشود . .

هذا ، وسأصدر قريباً جداً ترجمة مسرحيته الفلسفية الخالدة (الانسان والسبرمان) وسأتناول دراسة فلسفته دراسة دقيقة ، وسأبسط نواحيها . لأن المقام هنا ضيق محدود . . .

الملك... والدستور... والسيدة...

— مسرحية في فصل واحد —

يذكر القارئ الدور الذي لعبه الملك اداورد في تاريخ العرش الانجليزي ، وقصة حبه للسيدة الامريكية (مسز سمسون) وما ترتب على ذلك من انتصار التقاليد ونزول الملك عن عرشه الخ...
وقد رأيت أن اترجم المقال الذي كتبه جورج برنارد شو في (ذي ايفننج ستاندرد) حينذاك ليقف القارئ على ما تضمنه المقال من نكات لاذعة وسخرية قاتلة بالعرش والجالس عليه ..

مقدمة بقلم جورج برنارد شو

الملك الجديد وقد زاد على الاربعين بقليل لم يتزوج بعد ..
والآن وقد اصبح ملكا ، يريد أن يضرب لشعبه مثلا أعلى لحياة رجل العائلة ...

وهو والحالة هذه لني حاجة ماسة الى زوجة لطيفة ، لأن اعصابه سريعة التأثر ، لم تعد تحتل محادثات وزرائه الصاخبة ..
وقد حدث وتعرف الملك على سيدة من هذا النوع ، واسمها كما اتذكرها مسز ديزي بل . ولما كانت السيدة امريكية فقد تزوجت مرتين قبلا .. وفي مقدورها إذن أن تصبح زوجا صالحة لملك حديث العهد لم يتزوج ابداً .. كان كل هذا طبيعياً ومعقولا جداً ، ولكن في بلد نصفه جنون ، لا يمكنك ان تعتمد على شيء أو تطمئن لشيء يحدث ويذهب في هدوء ..!

فالحكومة مثلاً يمكنها أن تدمر نصف المملكة بدون مبالاة . وحينئذ تعلن
في جراءة أن نهاية العالم قد جاءت لأن احد الدكاترة الأجانب قال في جفاء ، إن
هناك جبالا من صخور صماء على طريق دوقر !!

وهكذا لم يندهش الملك عند ما قيل له فجأة في ظهر يوم من الأيام ، إن
رئيس الاساقفة ورئيس الوزراء يصران على مقابله في الحال !!

ولما كان جلالتة قد أمضى الصباح مع مسز بل ، كان طبعاً في حالة جيدة ،
فاذن لها بالدخول فوراً ، وقدم لها سجاثره الفاخرة ، ولكنهما ، لسوء نيتهما ، لم
يرفضا فقط هذا الكرم العظيم ، بل ظهرت على ملاحظهما علامات الغضب والتفور
والفتور ايضاً ، فسألها الملك في دهشة واستغراب : ماذا هناك ؟!

الزمان والمكان معروفان

رئيس الوزراء — كيف تسأل ياسيدى ، والجرائد تطفح بها... وهناك
صور ... حتى كلب السيدة له مكانه على صفحات الجرائد ... فاذا جلالتكم
فاعلون !!؟

الملك — لا شئ خارج عن المعقول ... سأزوج فى مايو ... وفى ابريل
سأزوج ديزى .

رئيس الوزراء — ديهتز هذا عنيفا ، مستحيل .. جنون !!

رئيس الاساقفة — وبصوت جهورى نتيجة فنه الطويل ، اليك الجواب ..
لا يمكن أن تتزوج هذه المرأة
الملك — لا أسمح لك أن تنادىها بغير اسم مسز بل — أو ديزى ، إذ أراؤك
ذلك ...

رئيس الاساقفة — اذا قدر لى ، وكلكت لك هذا الزواج المقترح ..
فسأدعوها وهذه المرأة ،

رئيس الوزراء — وصارخا ، وسأستقبل ..

المك — واسفاه .. يكون جانفا اذا ذكرتم أن هناك آخرين .

ساندى ماك لوسى سيقوم بعمل حفلة ملكية رائعة لى . . والشعب ورا ..
ولكما أن تستقبلا مبكرين قبل التتويج ..

رئيس الاساقفة — انذارك لا فائدة له معي . فالكنيسة لا تعترف بزواج غير دستوري . . .

الملك — سيخرجني هذا من صعوبات جمة . . فالمسائل الدينية ليست بسيطة لدى كما كانت عند ويليام الفاتح الذي يظهر أن احدا منكم لم يعرف أنه مات . . كانت لويليام مغامرات كثيرة . ولى انا وحدي أن أقرر مصير ٩٥ مليوناً من الناس . . سمهم ٥٠٠ مليون . وفيهم فقط ١١ فى المائة مسيحيون وحتى هذه الاقلية منقسمة الى مذاهب عدة . لا تدعوني اكلمكم عن الدين لكي لا أخرج احساس احد . .

والآن بما أن كل الطقوس الدينية الخاصة بالتتويج سابقة لاوانها فلا يمكنني أن اغير منها شيئاً . هذه مسائلكم اتم . ويمكنني على كل حال أن اتزوج شرعاً بدون ما حاجة الى جرح شعور أى انسان فى الامبراطورية . سأزوج ملكيا على يد مسجل الاقليم . . وماذا يكون قولك فى هذا ؟

رئيس الاساقفة — ان هذا فاضح غير لائق بكم . وستضعنى فى مأزق حرج رئيس الوزراء — يارئيس الاساقفة هل تخليت عني ؟

رئيس الاساقفة — لا يمكنني فى هذه اللحظة الدقيقة أن اجد رداً مقنعاً على صاحب الجلالة ، فركسته هذه كانت غير متوقعة . . وعليك أن تعالج الناحية الدستورية البحتة حتى اتبصر فى الأمر

رئيس الوزراء — من المستحيل لجلالتكم أن تهزأ بالدستور . فالبرلمان قوى . . .

الملك — للبرلمان هذه الصفة ما دام لا يعمل شيئاً . وعلى كل فانا مكرس للدستور مثلك . . ولك أن تفهم جيداً أنك اذا دفعتنى الى انتخاب عام لتأخذ رأى شعبي فى المسألة ، فانا على استعداد لمواجهة المشكلة وسوف تهزك الحقائق إذا عرفتها . . ولك جرائدك تقول ما تشاء من سخافات وأوهام فليس لهذا عندى اهمية مطلقاً .

رئيس الوزراء — ولكن ليس هناك اقتراح بانتخاب عام . وهل أنت مستعد أن تعمل بنصيحة وزرائك أم لا ؟ — هذا هو السؤال البسيط بيننا .

الملك — حسنا ، وما هي نصيحتك ، ومن تنصحنى بزواجها ، لقد عرفت
اختياري وعليك أن تختار انت . ولا أريد الأطناب عن الزواج . لا أريد كلاما
في الهواء . اختصر كلامك وسم سيدتك .

رئيس الوزراء — ولكن الوزارة لم تبصر في ذلك بعد . لا أخالك لاعبا
دورا ياسيدى .

الملك — أتعنى أنك قاهرني فيها .

رئيس الوزراء — عفوا ياسيدى . ولكن لا يمكننى أن أختار لك زوجة
يمكننى !!!

الملك — اذن فلا يمكنك أن تنصحنى في الموضوع — وإذا لم تنصحنى
فلن اصدع لأمرك

رئيس الوزراء — يظهر لى انها مراوغة.. ولم انتظرها مطلقا من جلالتم
وتعرف جيدا اننى اعنى من الأسرة المالكة . غير أمريكية ..

الملك — واخيراً وصلنا لنتيجة

رئيس وزراء إنجلترا . أنك تسب أمة تعتمد الإمبراطورية على صداقتها
وقرباتها ، بل وتعتمد على جنودها . وكل الاصدقاء السياسيين يعتبرون الزواج
بين ملك بريطانيا وسيدة أمريكية خطوة سياسية مباركة .

رئيس الوزراء — كان يجب أن لا أقول ذلك . انها فلتة لسان .

الملك — حسنا جدا .. سننسى ذلك .. ولكنك مازلت مصمما على زوجة
من العائلة الملكية . أنك رجعى ياسيدى .. أنك تحلم بزواج ملكى فى القرن السابع
عشر .. هل تريدنى ، أنا ملك إنجلترا وإمبراطورها ، أن اذهب كالشحاذا فى
أوروبا باحثا وراء « ابنة عم » من البربون أو هابسبورج أو هونزولدن أو
رومانوف ، لا يعبرهم أحد فى هذه الأمة التفاتة صغيرة . اننى لن أفعل شيئا
صغيرا كهذا .. وإذا كنت مازلت عائشا فى القرن السابع عشر فانا عايش فى القرن
العشرين . أنا عايش فى عالم الجمهوريات ، عالم يحكمه نقاشون سابقون وحجارون
وجنود وابناء عمال احذية . هل أتزوج احدى بناتهم . عليك أن تختار لى
الصهر الصالح . فهناك شاه إيران وهناك اتاتورك افندى وهناك السنيور

« بوماردون ، وهناك الهر بامكر .. وهناك ايضا ملك الفولاذ فى روسيا
هذه هى الاسر الملكية اليوم . — ولست اعرف جيدا ان كان احد هذه
الاسر يسمح لابنته ان تزوج من ملك رجعى .. انى اشك فى ذلك ..
أقول لك انه ليس فى اوروبا اليوم منزل ملكى يمكننى ان اتزوج منه الا
ويضعف ذلك مركز انجلترا .. واذا كنت لاتعرف ذلك فانت لاتعرف
شيئا على الاطلاق ..

رئيس الوزراء — انت تظهر لى كالمجنون تماما ..
الملك — اظهر كالمجنون امام عصبة من اشقياء رجعية الآراء . تعيش فى
زمن يتأخر قرنين او ثلاثة .. العالم الحديث يعرف اكثرها البلهاء
وعلى كل لاضرورة للجدال .. سم سيدتك ..
رئيس الوزراء — لا يمكننى ان افكر فى احد الآن .. فى حين ان هناك
كثيرات .. اهل تقترح احداهن يارئيس الاساقفة ؟
رئيس الاساقفة — لا .. الطلب غير المتوقع بترك رأسى فارغا .. وخير
لنا ان نتناقش فى موضوع الاقالة ..

رئيس الوزراء — نعم .. نعم يا صاحب الجلالة .. يجب ان تتنازل عن
العرش وهذا كفيل بحل الموضوع .. واراحتنا من العناء والمتاعب
الملك — واجبى نحو الشعب — سبب لنا متاعب كثيرة — لأن من
الصعب ان اتخلى عن مركزى فقد يهز ذلك المملكة كلها ..
رئيس الاساقفة — عرشك سيهتز الى قاعدته .

الملك — هذا شأنى فانا جالس عليه . ولكن ماذا يحدث لقاعدة الكنيسة
اذا أجبرتني على الزواج بمن لا أحب وتركنى أحيا حياة الزانى الفاسق مع
السيدة التى أحبها بحق وحقيق .
رئيس الاساقفة — لا تحتاج إلى عمل ذلك .

الملك — أذك تعرف أنى سأفعل إذا سمعت نصيحتك فهل تجرؤ على الاصرار ؟
رئيس الاساقفة — أظن — يارئيس الوزراء — انه خير لنا أن نذهب فاذا
كنت أو من بالخرافات فلا بد أن يكون الشيطان قد دس كل هذا فى رأس

صاحب الجلالة. ان هذا خارج عن نطاق التعليم والفكر الانجليزين فهم لا يعيشون في دنياى أو دنياك .

الملك — يقوم عند ما يقوم زائراه .

بجانب ذلك فأخى الذى سيخلفنى قد يعارض هو الآخر بشدة . ولما كان هو متزوجا من سيدة عظيمة مشهورة أكثر من أى أميرة أخرى فانه لن يكون الملك الحقيقى ما دمت أنا فى الطريق معارضا . ولكما أن تطيحاً برأسى ولكما أن تهزأ بالعرش . ولكما أن تلغياه أو تحترماه .

رئيس الوزراء — لقد قلت الكفاية ياسيدى ولك أن تفقدنى الى الأبد

الملك — انتظرا للغداء كلاكما . ستكون ديزى هناك أو هل لى أن أمركا ؟

رئيس الأساقفة — لقد فاتت ساعة غذائى فانا جوعان . فاذا كان أمرا

فأنا لن أعارض..

الملك يمس فى أذن رئيس الوزراء المأخوذ عند هبوطهم الدرج

وأندرك يا عزيزى جولدين، فاذا سميت سيدتك ، فصورتها ستظهر فى اليوم

الثانى فى جميع الجرائد وصورة ديزى وكلبها الصغير بجوارها .

رئيس الوزراء — هز رأسه بحزن ويذهبوا جميعا للغداء :

لم يأكل رئيس الوزراء شيئا ولكن رئيس الأساقفة اتهم كل ما فى طبقه

لماذا لا اعيش ثلثائة سنة !!

لجورج برنارد شو

عن مجلة وليدر، اللندنية

من الخطأ أن نعتبر الموت طبيعياً أو لا بد منه . فبئس نموت لأننا لا نعرف كيف نعيش : نموت لأننا نقتل أنفسنا بما لدينا من عادات التشاؤم والتسرع والحذلان. الفناء في نظري يجب أن يدخل في دائرة القتل والانتحار وجميع حوادث القدر على اختلاف أنواعها .

كان هذا حديث برنارد شو مع مندوب جريدة ليدر الانجليزية المستر هايدن تشرش . يقول هايدن وزرت الكاتب الارلندي الكبير في داره بآبوت سانت لورانس من أعمال هارتس : والآن وهو في عامه التسعين يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الحياة البشرية يجب أن تمتد عمر الانسان فيها الى ثلثائة سنة ليصل الى درجات الكمال والسؤدد ، إلى معارج النبوغ السياسي ، وأخيراً إلى ذرى المجد والتبيل والشرف .

إن الحياة الآن قصيرة جداً بحيث لا يحسن أن تؤخذ دائماً بعين الجد . تذكر جيداً بأن حياتنا لا تتأثر بتجاربنا ، ولكن بالأمل والأمنية والرجاء ، اعطى رجلاً مثلاً سبعين سنة ليعيش فيغني لك في الحال ، دعنا نأكل ونشرب لأننا غدا نموت . !

أعطه ثلثائة سنة كاملة ، فيتحول ذلك الانسان المستهتر على الأثر رجلاً جديداً ، لماذا؟ لأن جميع آماله ومعرفته لقيم الاشياء تتغير في الحال ولهذا التغيير الحتمي نتيجة حتمية للتحكم في الحياة !

لست أذهب بعيداً . وقد اقترحت قبلاً في روايتي «سوزولاء» — القديس الذي يقال عنه — عاش ٩٦٩ سنة — مد الحياة الى ثلثائة سنة للوصول إلى معارج الكمال سواء كان هذا الكمال كلاً سياسياً أم غير سياسي : وقلت ان جميع الأوضاع التي تقوم عليها الحكومة لا فائدة أو ثمرة فيها . وقد قلت عن

نفسى عندما بلغت العام التاسع والثمانين من عمرى باننى استحق الآن أن اشغل
وظيفة ساع فى مكتب وزير . فانا الآن ما زلت اميل كالأطفال إلى الملاكمة
والتصوير والكتب والافلام وقصص الجان والاساطير ..

سأله — ولكن كيف وصلت إلى الرقم ثلثمائة واختبرته بالذات ؟

اجاب — لقد عشت تسعة وثمانين سنة ولم ابلغ سن الرشد السياسى
بعد .. اعطى قرنين آخرين اتمرن فى الأول كطالب لوظيفة حاكم ، وفى نهايته
اكون قد دربت لاكون شيخا فى البرلمان ، ولا بدلى من التفاوض فى نهاية هذا
القرن الثانى لأن اعيش قرناً ثالثاً مرتاح البال ..

ولست ادعى أنى أحد من حياة البشر أو اضع لها ميزانا ، وذلك لتدخل
حوادث القدر وعبتها فى اقدار الناس فهى لا تركهم ، ولن تركهم إنما
تلاحقهم إن آجلاً أو عاجلاً ..

« كان ويزمان أول من قال ان الموت ليس طبعياً ، ولكنه نتيجة حتمية
للظروف والملايسات والتأثيرات القهرية التى تمر فى حياة الانسان . ولكن
صاحب رأى ويزمان — والأسف يملأ جوانب النفس — لم يعمل برأيه أو
ياخذه . فقد كانت مجرد ملاحظة .

ولكننى بعكسه اخذت الموضوع جدياً وتناولته بالبحث والتفنيد فى روايتى
« سوزولا » فقد بدأت كيبولوجى عام ١٩٠٦ بمحاضرة عن دارون . وكانت
هذه المحاضرة عماداً مقدمتى عن « سوزولا » بعد عشرين عاماً تماماً ...

كان العلم وقتها دراوينى — أو متأثر بالمذهب الدراوينى الجديد . وهو للان
لا يزال أعمى بل وتحت تأثيره ورد فعله أو بمعنى أصح يخالف الجوهر .. ومع
ذلك كله فقد دار العلم قليلاً قليلاً حول نقطتى ومن ثم تعهدا كل من جوزيف
بندهام (وهو مثلى ابن لام موسيقية) فى مقالاته ، (ألكسز كارول) فى كتابه
« الانسان ذلك المجهول » ، وموريس ارنست فى كتابه « الحياة الطويلة » فقد
تحققت نظريتى حتى وصلت قاعدة روكفلر !!

وعندما ظهرت روايتى « سوزولا » أول ما ظهرت فسرهما كثير من النظارة
بأن بقائى أو طول عمرى نتيجة لرغبتى وارادتى لحياة طويلة . وذلك بعكس

منطقه سوزولا ، فان الذين كانوا يطلبون حياة اطول ماتوا واندثرت اخبارهم
أما الذين عاشوا ابعدهم ، فقد وجدوها تحدث لهم طبيعيا ومن غير تكلف لانهم
كانوا أكثر الناس صفاء ونسيانا وبعدا عن القدر ...

سأله : — ولكنك لم تقل مرة انك انت نفسك خفت أن تعمر
مائة سنة ، وهذا الخلود قد يرهق نفسك ويحملها مالا طاقة لها بحمله ؟

اجاب : — لا ، ان نفسي لن تمل أو تعب .. فانا اتركها دائما ورأى
بل وعلى استعداد للحصول على نفس جديدة كل عام . كحلة جديدة في الملابس
فقد يبلى الجسم داخل الحلة . ولكن الخلود الشخصى لا يمكنه ان يخضع لظروف
ك هذه الظروف التى نحن حيالها . .

سأله : — ولكنك انت الذى تدعى وانت فى عامك التاسع والثمانين
بحدثه سنك ، تصرح بأن الجسد يبلى داخل الملابس ، فإذا يكون رأى الآخرين
أو بالأحرى هؤلاء الضعفاء الذين لم يصلوا إلى ما وصلت اليه انت اذا ما قارناهم
بك .. وعلى أى حال يعيشون ؟

اجاب : — انك تثير بسؤالك عن احوال الجنس الاستراديورجى مشكلة
خطيرة فالسرعة والزمن قد وضعا حدآ له . . والاستراديورجيون هم القوم
الذين لعنوا بالخلود وطول العمر فى قصة جلغر .. وقد كانوا أكثر الناس بؤسا
وشقاء فقد عمروا طويلا وأصيبوا بفقدان الذاكرة .. ،

وكل ما عنيه بالحياة السياسية الطويلة . هى تلك الحياة التى تستلزم ثلاثة
قرون . فالقرن الأول منها قرن الطفولة والشباب ، والثانى قرن النبوغ السياسى
والثالث قرن العصمة والحكمة والكمال .. أو بمعنى آخر القرن الأول للطلبة
والثانى للاداريين والثالث للشيوخ والحكماء . فالرجال الذين هم فى سن
السبعين اليوم أكثر شبابا وأوفر حيوية ومناعة من الرجال الذين فى الستين .
وكذلك النساء ايضا فهن اقوى واذكى والمع اليوم فى سن الخمسين منهن فى
سن الثلاثين

قلت : — اذا فرض وطلب منك أن تكتب أو تضع فلسفة اخيرة لهذا
الجيل .. فماذا . تكتب وى موضوع تتناول ؟

أجاب: — لا أكتب شيئاً أخيراً . فليست إلهاً قادراً متخفياً أو مستترافياً
رداء جورج برنارد شو . وعلى كل — مادمت قد سألت — فاني أقترح
وضع برنامج سياسي أخرق للسنوات القلائل القادمة !

فمثلاً انصح النساء بضرورة التصويت مرتين عنهن وعن أزواجهن وذلك
لتتيح لهن الفرصة لشغل مناصب الدولة لمزاومة الرجال اذا احببن ذلك أو لم
يحبينه . كما انصح الأمة بأجمعها أن تطالب باقتراح جديد لحروف الهجاء . على
أن تكون هذه الحروف ٢٤ حرفاً . وليس هذا فقط بل أن يكون حديثنا
حرفاً واحداً لكل صوت أو نبرة . ولا شك ان في هذا اقتصاداً كبيراً بل حديث
فلدي له خطره اذا ما تهجيت اسمي في اربعة حروف فقط بدلاً من عدة حروف
ومقاطع لا ضرورة لها . . وهذا الاقتصاد المفاجيء . كفيلاً بأن يسد ثمن
القنبلة الذرية في شهور قلائل ! ! !

— كيف نكتب؟ —

وتحدثنا عن أصوب طريقة للكتابة . وهنا سألته كيف يكتب رواياته
الطويلة؟ فاجاب برنارد شو:

إن الكتابة عادة تعتمد على القياس ، على الطول مثلاً ثم على مستلزمات الشئ
المسرحية . وطول المسرحية لمسارح الوسط اذ تتطلب عادة . . . ١٨ كلمة . .
أما مسرحياتي وقد كتبت لتخلق جمهوراً مثالياً بأثمان باهظة كشلن أو
بنسين فهي ثلث أو نصف هذا المقدار . .

فالمثل الذي يتعلم كلمات أو عبارات مصوغة صوغاً طبيعياً ، لا يقف ليفكر
بل يسردها كالبيغاء ، يمكنه أن يكتب آلاف الكلمات يومياً بمساعدة الحز مثلاً
أما عندي فتوسط عدة آلاف كلمة يومياً كافية بعد تفكيرى وحصر زناد فكرى
فيها أن تخرج للعالم أية لاشك دقيقة . وهذا المجهود فقط يأتي بين ساعات الفطور
والغداء (احب الاوقات وانسبها للكتابة برنارد شو رواياته وقد ذكر ذلك في
رسالته الثالثة معى انظر صفحة ٢٣)

قلت — ولكن رواياتك تكتب بالاختزال . فكيف تعلمت الاختزال ومتى

اجاب — كان ذلك قبل امكاني استخدام سكرتيرة خاصة . فانا استعمل طريقة بتمان لانها الطريقة المعروفة للسكرتيرات . ويمكن الكتابة بها بوضوح وجلاء وليس على طريقة الصحفيين طريقة النقش والحرفشة — وقد تعلمت طرقا اخرى ، ولكنني نسيتهما كلها . . .

« إن الكتابة أيا كان نوعها تعجبنى . فانا مغرم بها . وقد يصور كثير من الرجال صور الفعش والبذاءة على حوائط بيضاء ناصعة بدلا من الكتابة والعمل الجدى . ومهما يكن من امر فالعمل الجدى والكتابة الحسنة ناحيتان لا بد منهما لتكوين الكاتب !

قلت — اى رواية من رواياتك تعجبك انت شخصا ؟

(سألته هذا لعلنى بأن روايته « هارتبريك هاوس » هى الوحيدة التى يعتر بها . .)

اجاب — ليس هناك رواية بالذات . .

لأن رواياتى ليست خيول سباق . فليس لدى الوقت لقراءتها أو مداعبتها أو تمييزها عن بعضها البعض بعد انتهاء منها . .

قلت — لماذا لم تكن رواياتك الأولى ناجحة كرواياتك الأخيرة ؟ فهل الفارق بين الاثنين كبير ؟ أم انك لم تكن راضيا عنها ؟

اجاب — من ادراك أن رواياتى الأولى كانت اقل نجاحاً من الأخيرة ! إن رواياتى ظلت لاتتمثل — مدة سنوات طويلة . ولكن الناس كانوا يداومون على شرائها ولعلمهم كانوا يقرأونها

ولنعد الى السؤال .. لماذا لا أكتب المسرحيات بنفسى ؟ هل تظن ان هذا من السهل على الانسان ؟

وكل انسان قد يكتب رواية

ومن الهزل حقا أن كل انسان يمكنه أن يكتب رواية

ومن المحتمل جدا اذا وصلت التسعين أو مئتي رواية أن أكسل واعدود إلى اللعبة الفكتورية القديمة !!

ويختتم المستر هايدن تشرش حديثه مع برناردشو بقوله « ويجوز جداً أن تكون هذه اللعبة الفكتورية القديمة هى آخر ما يكتبه أو يخرج شوفى المستقبل القريب

الجندي في نظر برنارد شو

« من رسالة له لجريدة باريد الانجليزية التي تصدر في القاهرة ،

كتب «سدرىك داي» المحرر الحرنى لجريدة باريد الانجليزية التي تصدر في القاهرة إلى جورج برنارد شو يسأله رأيه في الجندي على وجه عام ، وفي الخدمة العسكرية على وجه خاص .

ويؤكد سدرىك أن برنارد شو قد جلس في الحال يجيب على اسئلته الثمانية لأن الرد وصله في أربع وعشرين ساعة فقط ..

وهذا هو نص الاسئلة والاجابة عليها :

س — هل تظن انه لا تزال للجندي ذى السنبطة ضرورة للقضاء على حرب الطاقة الذرية ؟

ج — بالطبع لا .. لأن الذرة ستييده !..

س — هل تظن أن التجنيد الاجبارى لا يزال ضروريا لانجلترا ؟

ج — في الاشتراكية التي لا تزال نحن من رجالها ، يتحتم على كل فرد أن يتمرن على الاعمال الحربية أو الاجتماعية أو المدنية . ولكن ليس لكل انسان أن يصبح جنديا . والتجنيد الاجبارى لا بد منه إذا وقف سيل المتطوعين أو نضب عددهم ..

ومهما يكن من أمر ، فانه في عصر الطاقة الذرية لن تكون هناك معارك

كبيرة دامية تستنزف الكثير من العدة والرجال !

س — هل العمل مع القوات المحاربة يخلق مدينين نافعين ؟

ج — كل عمل اجتماعى تعود عليه له فوائده ومراميه ، سواء أكان هذا

العمل حريا أم مدنيا !

س — هل تظن أن فكرة تسريح الجيوش عادلة مجدية ؟

ج — لا ادري . فلم يتسن لى أن سرحت أو جندت والفكرة على كل حال

مبهمة لى أو بمعنى أوضح (Greek To Me)

س — هل من الأصوب أن تظل الشارات على اكتاف الجنود لمعرفة فرقهم أم يجب أن تقتصر فقط على الشجعان من حاملها ؟

ج — الشارات من عاداتها لا تميز أو تفصح عن شيء معين إلا إذا كانت نادرة ونادرة جداً حتى تصبح فريدة أو شاذة . وهذا بالطبع يلغى شارات الجنود . . .

س — ما رأيك في الجندي الكامل ، بحاراً كان أو طياراً ؟

ج — يوسفني أنني لم أقابل جندياً ولم أسمع عن جندي مطلقاً . فالكمال صفة إلهية إذا تداولت فقد نزلت إلى مستوى الحطة والهوان . وحتى الإغبياء الكاملون ليسوا كاملين ولكنهم أغبياء منحطون !!

س — لو قدر لك أن تلتحق بالجندي فأى نوع تختاره ولماذا ؟

ج — ابدأ بالأسئلة « لو ، فلو كانت « لو ، قدورا وأواني فلن يكون هناك حاجة إلى « اللحامين »

س — كيف يجب أن يعامل هتلر في التاريخ ؟

ج — قد لا يذكره التاريخ كشخصية قوية . فقد ابتدأ جيداً ولكن القوة قصفت رقبته وأبادته . ومن العسير أن يصف هتلر في صفوف قيصر ، ووليم الفاتح ، وكرومول ، وناپليون .

وكل ما عرفناه إلى اليوم هو قدر كبير عن سيئاته وليس عن حسناته . وقد يذكره التاريخ من الناحية الباثولوجية فقط !!

جورج برنارد شو

ارحمني يا برنارد شو

— عن مجلة الساعة ١٢ —

نقلا عن مجلة الصياد البيروتية

رسائل متبادلة بين الكاتب الايرلندي الأشهر وأحد الشباب اليافيين

بعث أحد الأدباء الشباب بالرسالة التالية الى جورج برنارد شو :

عزيزي المستر شو ...

دقت الساعة السادسة مساء ، وها أنذا على ضفاف «التايمز» متأملا مشاهد الطبيعة ، وقد تصاعدت الأمواج ، وعصفت الرياح الباردة ، وسارت مواكب الناس بمعاطفهم السميكه مسرعين الى بيوتهم خشية البرد . فاستندت ظهري الى النهر ورحلت أخط هذه الرسالة ... رأيتك قبل دقائق تصعد درجات الجسر الكبير مستعينا بعصاك ، وقد احمر أنفك ، وبدت عليك مظاهر الشيخوخة ، ولكنك رجل قوى وذكى ، ولودعنى ...

أما أنا ، الشاب المسكين ، فقد اتخذت من النهر سميرا ، وحاولت الكتابة . ولكن الجدار متجلد والريح باردة ، والقلم الذى اكتب به صغير حتى ان أصابعى قد تجمدت ولم تعد تقوى على الكتابة .

ها أنت ذا تقف فى منتصف الطريق ، وها هم أولاء الناس يمرون قربك مسرعين الى دورهم فلكل واحد منهم بيت يأوى اليه وتضمه جدراناه . أما أنا — أنا المسكين — فان رجفة البرد تهزنى هذا ، ولا عمل لى ، ولا بيت آوى اليه ، وعلمت أنك تملك شقة فى «وايت هول» فهل تأذن لى بها ؟

الخلاص : الفرد ريدغوى

عزيزى ريدغوى

لا أريد الدخول فى تفاصيل لا طائل تحتها ، بخطبك هذه ليست عملية على كل حال ، ولنفرض انها كذلك ، فلا أنصحك باتباعها ، فهذه السياسة من شأنها تعقيد الأمور بشكل لا ترغب فيه أنت ...

كم عمرك يا صاحبي ؟!

هل أنت فى الواحد والعشرين ...

إن كنت كذلك فى إمكانك الحصول على بطاقة للدخول إلى المتحف البريطانى فتجعل من غرفة القراءة ملجأ تأوى اليه كل يوم .. كما فعلت أنا فى كثير من السنين .

وكما فعل من قبلى «كارل ماركس» وصامويل بطر طيلة حياتهما .

ثم يا عزيزى ، عليك أن تكتب مقالاتك بالخط و «الريشة» . فالآلات الكاتبة لا يسمح باستعمالها إلا فى مكاتب الصحف ، وهى على كل حال لم تكن فى عصرى .. تعود الكتابة فى دور المتاحف والمقاهى التى يكثر فيها الضجيج والحركة وإذا عجزت ، فلا يمكنك الكتابة فى أماكن أخرى .

فقد كتبت معظم مؤلفاتى فى محطات السكك الحديدية وعربات النقل ، وعلى ظهور السيارات الكبيرة «أوتوبيس» ...

ثم تعلم كيف تسجل آراءك بسرعة على الآلة الكاتبة بنسبة ١٥٠ كلمة فى الدقيقة الواحدة .

فقد بدأ «ديكنز» حياته مخبراً فى إحدى الصحف ، وكان ينسخ جميع مؤلفاته يده . وطالما عجز عن حل رموز ما يكتب وقراءة مخطوطاته لأن الآلة لم تكن من مخترعات عصره .. اقض معظم أوقاتك فى المتحف إذا استطعت .. وهناك كثير من المكاتب التى يمكن الاستفادة منها إذا كنت دون الواحد والعشرين ...

أما إذا كنت قد تجاوزت هذه السن ، فلا تنس خدماتك العسكرية ..

المخلص : برنارد شو

اشهر اقواله

وآرائه ونبذ من طرائفه ..

- سبيل في الفكاهة أن أقول الحق — فان هذه اطيب فكاهة في العالم ✓
- انجلترا وامريكا بلدان تفصل بينهما لغة واحدة !
- حبي المثالي هو الحب عن طريق البريد ... ✓
- الحياة ليست مشعلا قصير الاجل في نظري .. انها مشعل براق امسكت به في الحال، واريد ان يزداد توهجا واشتعالا قبل أن اسلمه للاجيال المقبلة !!
- سر نكدك أن تفكر في وقت فراغك اسعيد أنت ام لا ؟ !
- الرجل الخاذق يقول للمرأة انه يفهمها ، والغبي يحاول أن يثبت ذلك !.
- إن تقلب النساء اللواتي احبهن لا يضارعه إلا سعيه وقاء اللواتي يحببني
- الامريكيون أمة من القرويين ، والامريكي الحق هو ذلك البشع المفتون بنفسه .. وإن تسعين في المائة منهم بله أذعياء ولكنهم يهيمون بحبي !!
- مملكتي ليست في هذا العالم، فانا عائش في مملكة خيالي نظريا، قابعا في مملكة الموت القوية عمليا ...
- كم يؤلمني أن اعيش في عالم يعتقد أن صوت الشعب هو صوت الله ...
- وأن الكفاية السياسية مرهونة ببلوغ الشخص سن الواحد والعشرين !..
- ليست هناك ديموقراطيات في الغرب ، بل هناك ديكتاتوريات فردية فاشية إلى اقصى حد .. أن انجلترا الآن تقوم على أعظم قوة فاشية في اوروبا
- انا مثلا عبقرى في كتابة القصة المسرحية ، وعبقرى كفيلسوف فنان ولكنني في الوقت نفسه لا اجيد العزف على المزمار أو الكمان ، بل اني لا اعرف أن اعزف عليها على الاطلاق ، فانا في هذه الناحية جاهل !!.

• يجب على الجميع أن يجعلوا المدنية دينهم الحقيقي !
وكل خطوة نحو المدنية قد تلغى الحرية ، أو تنص على واجب ، ولكنها
على كل حال تزيد من اوقات الفراغ التي هي كنه الحرية !..

• ميثاق الاطلنطي ميثاق وقعه المستر روزفلت عام ١٩٤٢ وأعان فيه حقوق
الدول في الحرية والاستقلال ولكن نسي أن يوقعه روزفلت

• الكلام عن حكمنا لالمانيا بينما نحن لا نعيد حكم انفسنا كلام سفيه .فلندع
المانيا تحكم نفسها بنفسها وما من شك أن يقع رد فعل طبيعي ضد الهيترية والنظام
النازي ... إن الجواد عند ما يمر على الأرض سهل على أى انسان أن يطاء
رأسه ولو لبضع دقائق قبل أن يفيق ، ولكنك لن تستطيع أن تطاء رأسه خمسين
عاما متوالية . لأن الجواد لا بد أن ينهض والخطر يومئذ لا شك فيه .

لا بد أن تجلس المانيا واليابان مع انجلترا وامريكا والصين وروسيا في
عصبة الأمم المقترحة جنباً إلى جنب ، فان لم يكن هذا فلن تكون عصبة الأمم
الجديدة المقترحة أكثر من تحالف عسكري لكبت هاتين القوتين
والكبت يولد الانفجار كما تعلقون !

• في رأيي أنه لا توجد في العالم أمة يمكن أن تحكم حكما موثدا الاركان
بواسطة الغير ...

• لقد كان اجتماع «الائمه» خرافية خالية من الذوق ... فهل اتفق فيه
على أن يعلن ستالين الحرب على اليابان في مقابل تسليم تشرشل وروزفلت في مسألة
بولندا واعترافهما ببلجنة «لوبيين» ارضاء للزعيم الروسي ؟ أم هل اتفقا على
شيء آخر ؟ ...

هذا ما لم نعلم عنه شيئا ... وكل ما عرفناه عن المؤتمر لا يعدو الحدس
والتخمين والقصص الخيالية .. فانا مثلا اود أن اعلم حقيقة ما حدث في «الائمه»
ولا أظن أن شيئا من هذا سينشر إلا بعد عشرين عاما عند ما يكتب ستالين
مذكراته عن الحرب الحاضرة .. ويومئذ لن أكون على قيد الحياة !

وهكذا لن يقدر لى أن اعرف حقيقة هذا المؤتمر الخيالى !!...

« ليس هناك أكثر جنونا من الاعتقاد بأن كل من يرشح نفسه في الانتخابات عبقرى في المسائل السياسية ! أو يصلح لأن يكون رئيسا للوزراء لمدة خمس سنوات ، ليكون على رأس حكم العالم اعطوا للناخبين حق الاختيار الجدى لممثلهم وهم يخضعون لبعض الشخصيات العبقرية ، كأدولف هتلر مثلا ، أو اى خطيب بارع ، أو جنرال ناجح ، أو نجم سينمائى ، أو موسيقى موهوب ...
إن حق الاختيار يحتاج إلى ارشاد ، فإن الطبيعة نفسها والقوى المسيرة للحياة لا تنتجان فقط المشرعين الذين نحتاج اليهم ، بل تمنحنا الناخبين ايضا حق الاختيار الذى يخولهم الاشراف التام على الحكمة ..

طرائف عن برنارد شو

— اعتاد الكاتب الايرلندى الكبير برنارد شو أن يسير فى انحاء منزله ويحدث نفسه ، وقد سأله أحد اصدقائه عن سبب كثرة محادثته لنفسه فاجاب : لذلك سببان : اولها : انى احب أن اتحدث الى انسان ذكى ، والثانى : اننى احب أن استمع الى انسان ذكى ايضا !

— المعروف أن برنارد شو يتمتع بلحية ناصعة البياض ، ورأس مجذب اصلع . . .

سئل مرة كيف يرى العالم ؟

فقال مشيرا إلى رأسه ولحيته : العالم بين رأسى ولحيتى ، غزارة فى الانتاج وسوء فى التوزيع ...

— يصف برنارد شو الجنتلمان بقوله « هو ذلك الرجل الذى يتردد بكثرة على الترنزى والحلاق !! »

— كتبت جريدة «النيوز كرونيكل» اخيرا مقالا تقول فيه ان الكاتب الايرلندى الكبير جورج برنارد شو قرر أن يهدى مخطوطاته الاولى إلى الشعب الايرلندى.

وقد جاء في المقال أن شو قال «إن المكتبة الأهلية في دبلن طلبت مني أن ابعث اليها ببعض مخطوطاتي الأولى، واني كاي رلندي أجعل لهذا الطلب صفة الأمر ثم قال «انه لا يوجد قدر كبير من مؤلفاتي مكتوب بخط يدي لكي اهديه إذ اني الان اكتب بطريقة الاختزال ثم احرق المسودات بعد أن تكتبها سكرتيرتي على الآلة الكاتبة وإن ما سأعطيه قد كتب عند ما كنت من الفاشلين غير المرغوب فيهم ، وعند ما لم يكن في وسعي اقتناء آلة كاتبة أو حتى ورق جيد وقال ايضا «إن بعض الحمقى وكثيرا من الناهين ايضا على استعداد لدفع ألف جنيه ثمنا للمخطوطات التي سأهديها ...»

« . »

معلومات عامة عن برنارد شو

- كان يوقع مقالاته في النقد الموسيقي باسم «كورنودي باستيو»
- يرفض برنارد شو اقامة الحفلات الرسمية لعيد ميلاده .
- يعتبر برنارد شو من اغنى كتاب ومؤلفي العالم
- يهتم كثيراً بالكتاب المعوزين ويرى من واجبه أن يساعدهم
- يعزو نشاطه في سنه المتقدمة هذه إلى كثرة جلوسه في قفص من الزجاج يدور مع الشمس ويكتب بداخله مسرحياته ...
- توفيت زوجته في شهر سبتمبر ١٩٤٤ فكتب في وصيته يقول «لاهمني مطلقا ما سيحل برفاتي ، وكل ما اریده هو أن يمتزج برفات زوجتي ...»
- يرفض أن يصرح للمخرجين السينائيين عرض مسرحياته على الشاشة البيضاء وخصوصا بعد عرض مسرحيته المشهورة «بيجاليون»
- ابرق له الكاتب الانجليزى فرانك هارس وهو في امريكا يقول :
- «يعرضون عليك ربع مليون دولار اذا ظهرت في تمثيل إحدى مسرحياتك .
- فهل تقبل ؟»
- فاجابه فوراً بالطبع لا... فالامضاء ج.ب.ش كفيل بأن يصل إلى اضعاف .
- هذا المبلغ إذا اراد !!»

للمؤلف تحت الطبع

(٢) اقصيص الغروب :

مجموعة قصص عصرية طليقة ، يكتبها المؤلف بالاشتراك مع
الادبية الاستاذة أماني فريد

اقرأ فيها حديثا شيقا بين جماعة من الجان تنسجه لك الادبية «اماني»
باسلوبها الرائق الجذاب . كما تقرأ لها ايضا قصة صومعة الفكر ، وصراع الحياة
من القصص التحليلية المثيرة ...

وتطالع للمؤلف ايضا القصة الفرعونية القديمة (لعنة المصباح البرنزي)
القصة العالمية التي هزت اوربا وامريكا

(٣) قاموس السياسة (مترجم) لجورج برنارد شو ✓

(٤) قيصر وكليوباتره (مترجم) لجورج برنارد شو ✓

(٥) الانسان وانسان المستقبل (مترجم) لجورج برنارد شو ✓

(٦) اوسكار وايلد : ✓

قصة حياته ، رواياته ، اديه ... الخ ...

(٧) تشارلس ديكنز :

قصة حياته ، استعراض لرواياته الخالدة ... الخ ...

(٨) جلبرت تشسترتون :

قصة حياته ، روائع آيات اديبه ... الخ ...

(٩) طاغور :

قصة حياة الفيلسوف الهندي ، فلسفته ، انتاجه ، اديبه الخ ...

(١٠) تاريخ الحرب العالمية الثانية :

في اربعة اجزاء ، يقع كل جزء في خمسمائة صفحة مزودة بالخرائط
والصور الدقيقة

يسرد الكتاب قصة واسباب اندلاع الحرب العالمية الثانية

اوربا قبل العاصفة وبعدها ...

النازية واثرها في المجتمع الانساني الحديث ...

الفاشية في العالم .. اثرها .. مرماها .. نتائجها ..

الديموقراطية، والصراع القائم بين الدول الكبيرة حول تفسير الكلمة نفسها

الاشتراكية والشيوعية والانقلاب الحديث في الاوضاع والتقاليد الخ ..

ملحوظة : تظهر هذه الكتب تباعا من اوائل شهر مايو ١٩٤٦

كلمة شكر

إذا كان الشكر واجبا ، فإياك بواجب الطالب نحو استاذة ؟
في مصر استاذة ، قد يقول عنهم البعض ، انهم اكبر استاذة العالم ، لكننا
مع الأسف الشديد لانزال نرى تلك الهوة السحيقة التي تفصل بينهم وبين طلبتهم
فعلاقتهم بهؤلاء الطلبة ، أو علاقة الطلبة بهؤلاء الاستاذة ، مجرد علاقة وقتية
تنتهي بآتهاء الدرس . وتندعم نهائيا اذا ما انتهى الطالب من علمه وخرج
ليواجه الحياة ..

أما هؤلاء الاستاذة المشبعون بروح العلم والتدريس فهم حقا قلائل جداً ..
فن بين هؤلاء الاستاذة القلائل استاذ جليل ومرب فاضل وعالم رفيع الشأن
هو بلا شك استاذنا الكبير اسماعيل حسين .

وانه لمن دواعي سروري واغتنياطي ، ان اتاح لي الدنيا أن أتأثر بأراء
الاستاذ الكبير في العالم والوجود خاصة ، كما اتاح لي أن اتلذذ على يديه
فاكتسبت من خبرته وسعة افقه ما يكفل لي السير بانتظام في طريق الجهاد
الأدبي ..

تكرم الاستاذ وقدم لي هذا الكتاب . وكان هذا بلا شك عن طيب خاطر
لما عرف فيه من حب وعطف وحذب دائم لتلاميذه في مصر والشرق اجمع ،
وانى إذ اختتم صفحات هذا الكتاب فانما اختتمها بشكري الكبير لاستاذنا
الفاضل ادامه الله للانسانية ذخرا وملاذا

المؤلف

دار نشر الثقافة

١٦ شارع محمد سعيد باشا

القاهرة

ما تصدره الدار من رسائل علمية وأدبية

واقتصادية وفلسفية عن عام ١٩٤٦

- | | | |
|-----|---------------------|----------------------------|
| (١) | جورج برنارد شو | بقلم ميشيل تكللا |
| (٢) | أرواح تتألف | للاستاذة جميلة العلايلي |
| (٣) | عائشة رضى الله عنها | الدكتور محمد وصفي |
| (٤) | علم الغد | الصاغ عبد الفتاح ابراهيم |
| (٥) | قلب حوا | الاستاذ طه عبد الباقي سرور |
| (٦) | فن النقد | الاستاذ رشاد رشدي |
| | | والاستاذ على الجبلاطى |
| (٧) | كيف تكون ... ؟ | الدكتور نقر الدين السبكى |
| (٨) | كيف تكسب الاصدقاء | الاستاذ سيد طير البر |

أرواح تتألف

— للاستاذة جميلة العلايلي —

قصة عاطفية مثيرة من روائع ما كتبه الادبية والشاعرة

الاستاذة جميلة العلايلي

تصدر في أوائل شهر ابريل ١٩٤٦

الاشتراك قبل الطبع ١٥ قرشا

وبعد الطبع ٢٠ قرشا

بادر باقتناء نسختك من الآن ...

ما يقوله برنارد شو عن هذا الكتاب

برنارد شو لا يستطيع زيارة مصر

عن جريدة اخبار اليوم الغراء

لندن في ١٠ - يناير ١٩٤٦ لمراسل اخبار اليوم الخاص

عندما قرأ الكاتب الكبير جورج برنارد شو مآثرته الصحف الانجليزية عن اقتراح النائب المصري بدعوته الى زيارة البلاد العربية والكتابة عن مشاهداته فيها - قال انه يشكر هذه الدعوة التي بوده ان يلبسها لولا ان السن قد تقدمت به كثيرا - هو الان في سن التسعين - فلا يتمكن صحته من ان يرحل الى هذا البلاد البعيدة ، وكان شو مغتبطا بان قراء العربية يقدرونه هذا التقدير .. فيقولون ان كتابا يضعه برنارد شو عن مطالب العرب ومشاكلهم اجدى عليهم من كل الجهود التي تبذلها مفوضياتهم وكذلك اغتبط شو عندما علم ان أحد المؤلفين سينشر كتابا عنه باللغة العربية . وقد اتصل المؤلف ، وهو الاستاذ ميشيل تكل جرجس برنارد شو يسأله عما اذا كان لزوجته اى اثر ، واى فضل ، فيما الفه من القصص التمثيلية . . . فرد عليه شو فى صراحة تامة ، قائلا انه عندما يعجز عن انكار موضوع لقصته ، كان يلجأ الى زوجته فتذكره بحادثة من الحوادث التي وقعت بينهما وتقول له هاك موضوعا طريفا أما عدا ذلك فليس لزوجته اى اثر من آثاره وجوده الادبية كما انها قلما تحدث معه عن قصصه ومؤلفاته وان كان هو على يقين تام بانها تكره بعض مسرحياته وترفض ان تقرأها او تذهب الى المسرح لمشاهدتها

ولا شك فى ان برنارد شو نال من الشهرة الواسعة فى ارجاء العالم كله ما لم ينله اى كاتب فى اثناء حياته بل ان معظم الكتاب المعروفين فى التاريخ كانوا نكرات مجبولة ، مغمورة ، حتى ماتوا .. وعندئذ عرف الناس قدرهم وخلدوا ذكراهم . اما شو فقد بلغ من الشهرة ان هناك مجلة خاصة بالكتابة عنه ، وعن قصصه وكتبه ، وعن فلسفته واراته وتصدر هذه المجلة فى مدينة دبلن بايرلنده وبرنارد شو ايرلندى الاصل ويتولى تحريرها الدكتور لونشتين الذى يعد ابرز تلاميذ شو وان شئت فقل احد حواريه المخلصين

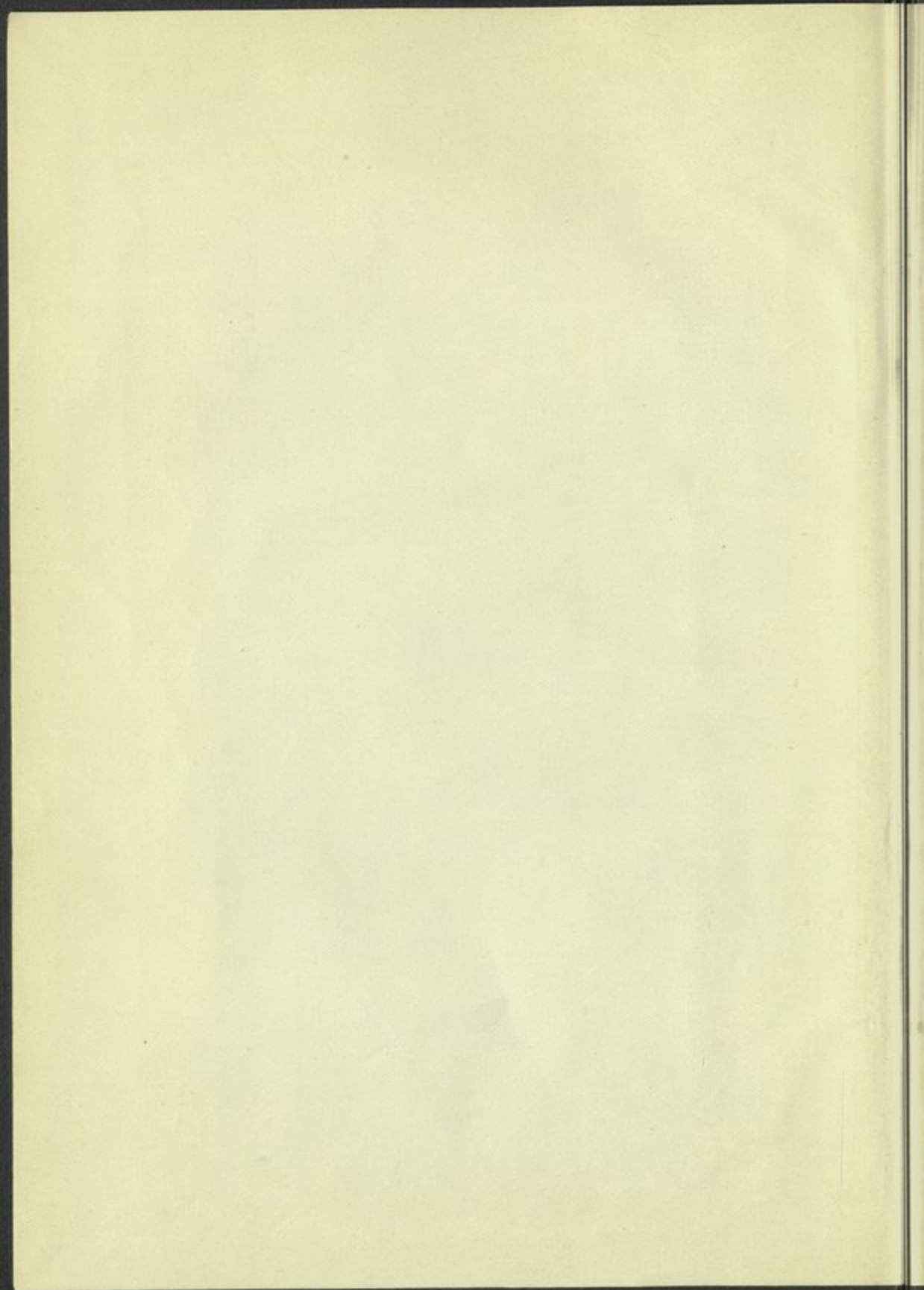
المؤلف : هذا وقد وقع تحريف عند ترجمة الاسم من الانجليزية فقد كان كما ترجم (ميخائيل نخله جرجس) وصححه جريدة اخبار اليوم الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٤٦

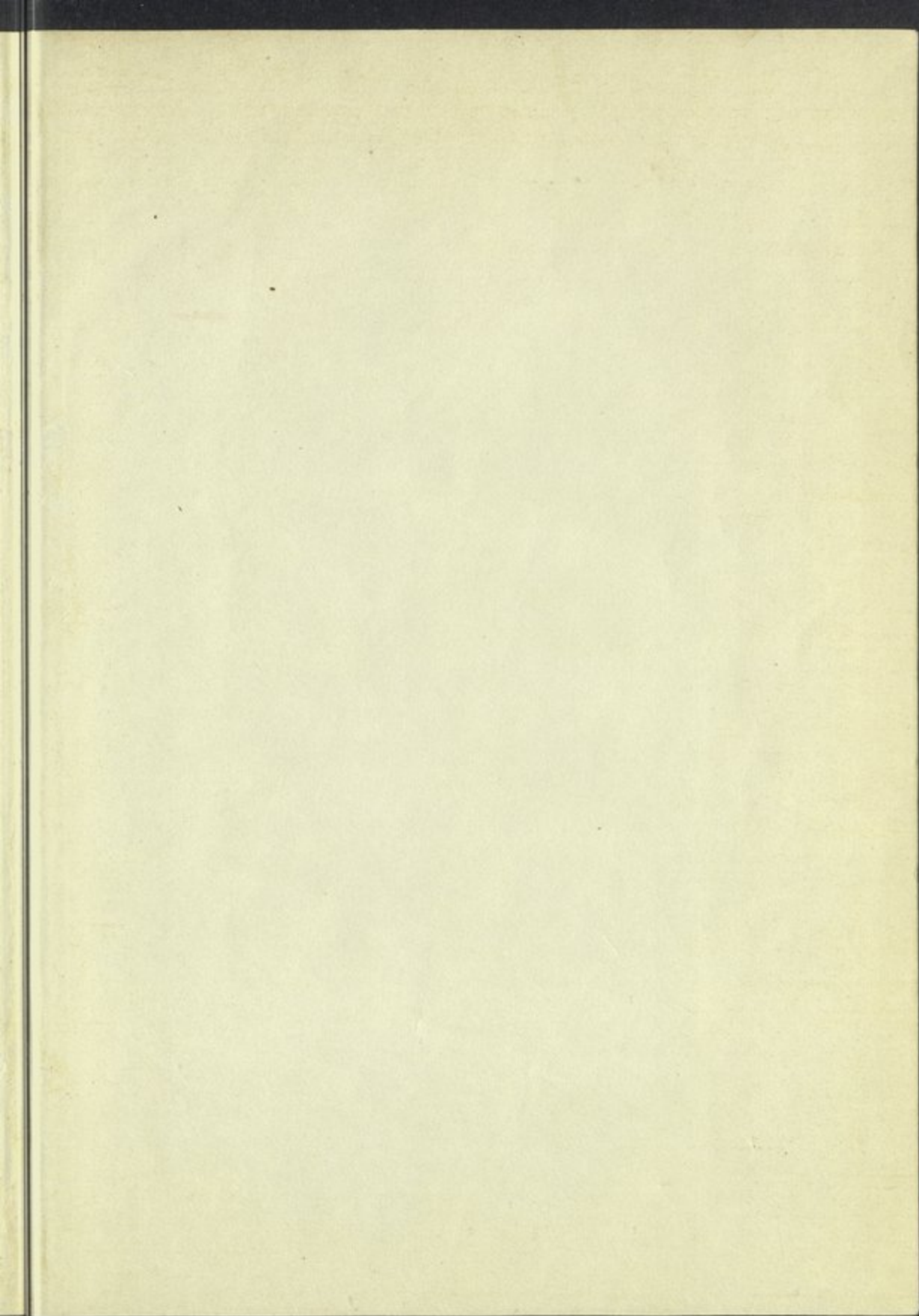
فهرست الاخطاء المطبعية

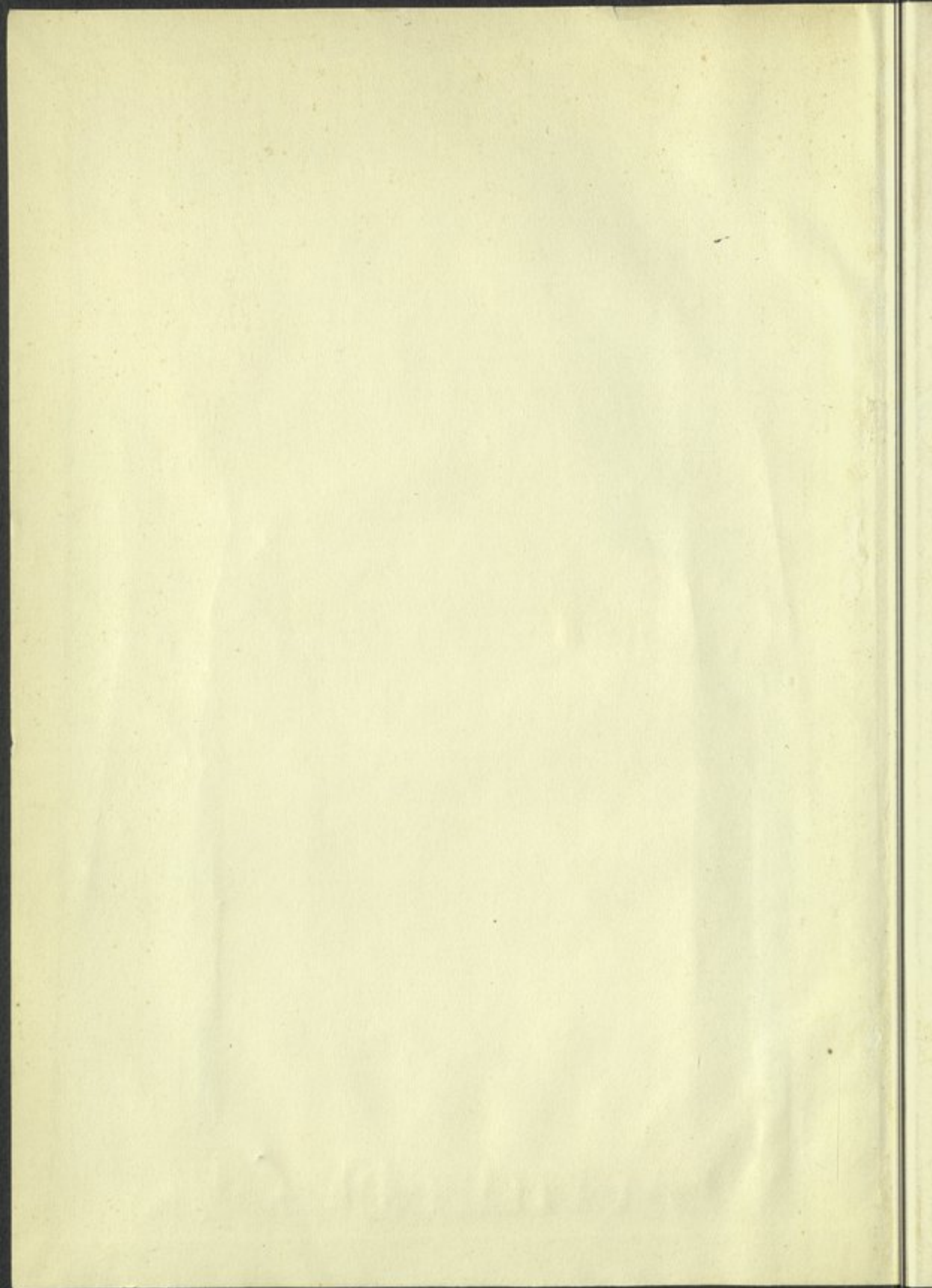
وقعت اخطاء مطبعية نأسف لها كثيرا ، وقد رأينا أن نصحح أهمها ونترك
الباقى لفطنة القارى وذكائه ...

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب	صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٩	بنت كيرف	بنت سيرف	٧٨	١٣	ابتدأت	ابتدأت
١٤	١	فيهما	مهما	٨٣	٩	عاصمة	ارض
١٩		لسكرتيرية	لسكرتيره	٨٥		جمعية الفايين	الجمعية الفايية
٢٢	٢	وكب	وكبير	٨٥	١٠	انجلترا	انجلترا
٢٧		الاخ	الاخير	٨٧	٨	وافقتحب	وافقتحت
٣٩	١٥	الفكر	المفكر	٨٨	٥	ماراكس	ماركس
٤٤	٢٦	كلكتى	كلكتنى	٨٨	١٠	تقول	اقول
٤٦	٥	أم	امير	٨٩	١٤	أو لجمعه	أو فى الجمعية
٤٦	٢٦	يعمل	يعمل بها	٩١		شو وويلر	شو وويلز
٤٧	١٣	١٩٤٦	١٩٤٦	٩١	١٨	ويبنى من لها	ويبنى لها من
٥٥	١٧	معزر	معزز	٩٢	٦	ويلاند	وبلاند
٥٦	١٤	تعاطيه	تعاطيها	٩٣	٥	فى وبجاة	وفى بجاة
٥٦	١٦	زملاته	زملاته من	٩٤	١	لكنى ان لشوانى	لكن أى لشوان
٥٦	١٧	كا	كان	٩٥	٢٥	خطها كان	خطها أن كان
٥٧	١٤	تجارتهما	تجارتهما	٩٦	٦	تماما كا	تماما كا
٦٢	١١	الجج	الحجج	٩٧	٢٢	ادوارد	ادوارد
٦٣	٥	عيشا	عيشها	٩٨	١٦	ولذا	ولذ
٦٤	٤	لذبة	بلذة	١١٠	١٦	بنوء	نبوءة
٦٤	١٠	وكنا	ونحن	١١٠	٢٠	يناد به	يناديه به
٦٦	٨	اليالى	الليالى	١١٠	٢٧	لا يعدم	لا يعبأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٢٠	لا تجبني	تجبني
١١٨	١٢	على خدمة	على خدمته
١٢٢	١٩	يحكموه	يحكموا
١٢٦	١٧	أن يفهمون	أن يفهموه
١٢٩	١٢	لما تضمنته	تضمنته
١٢٩	٣٣	من الهين	من الهين
١٣٥	١٥	الذي تقل	الذي تنقل
١٣٩	٣٣	أما معرفة	إلى معرفة
١٤٧	١٥	الفوصة	الفرصة
١٥١	١٧	وكان الرأي	وقال الرأي
١٥٣	٤	على تقل	على قتل
١٥٣	١٠	ابتداء	ابتداً
١٥٤	٢	في نيويورك	وقد ترجها إلى العربية
			الدكتور أحمد زكي بك
١٥٧	٢٨	فاآله	فإنه







828:S534YtA

c.2

تکلا

جسوع بزارد شو

DATE	Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
28. 8. 74	73-1573		
18. 3. 78	R-789		
7 APR 78	73-02956		
	S24		
31 JAN 81	S-602 J		
	6609		

828

S534YtA

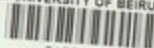
c.2 -

828:S534YtA:c.2

تکلا، میشل

جورج برنارد شو

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031888

DATE DUE

~~10 JUL 1987~~

JAFET LIB.

~~30 MAR 1988~~

~~J. Lib.~~

~~1 JUN 1988~~

JAFET LIB.

~~14 FEB 1991~~

828

S534YLA

C.2